تعنى بالإبداع الثقافي العربي

مجلة فكرية ثقافية تصدر عن جامعة

علمتني الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

ناقد كبير يقرض على شكسبير

عبد الحق فاضل

الطائر المهزوم في مهرجان كان

رؤوف توفيق

حسن البنا: صورة إنسانية بعيدة عن السياسة

الدكتور الطاهر أحمد مكي

"الفلاشا".. قصيدة جديدة للشاعر السوداني الدكتور صلاح الفضلي حسن

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2334 - DOHA
TELEX : 4121 MAGDO DH

الدوحة

العـــدد ١١٥ - شـــوال ١٤٠٥هـ - يونيو/حزيران ١٩٨٥م

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

رئيس التحرير : رجاء النعاش

المراسلات :

التحريـــر والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢١
الدوحة - قطر .
تلفزيون الدوحة :
الاتجاه - الدوحة
تلكس : MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٢٢٣٣١
التحرير : ٤٠٢٧٤
مدير التوزيع والاداري : ٤٧٠٢٨
القسم التجاري : ٤٧٠٢٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٣٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون ودول الجامعة العربية ٧٥ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٨٥ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٢٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مدير الإعلانات

الأسعار :

قطـــر ٩ ريالات
البحـــرين ١٠٠ فلس
الامارات العربية ٩ دراهم
عمـــان ٣٥٠ بيسه
الكويـــت ٥٠٠ فلس
الســـعودية ٩ ريال
الجمهورية اليمنية ٤ ريال
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العـــراق ٢٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٧٥٠ فلسا
ســـوريا ٣٥٠ قرشا
لبنـــان ٤٥٠ قرشا
مصـــر ٢٥٠ مليما
تونـــس ٥٠٠ مليم
الجزائـــر ٥ دينار
المغـــرب ٥ دراهم
باقي دول العـــالم :
ما يعـــادل دولارين امريكيين

محلات توزيع الدوحة

• قطر
دار الثقافة ص . ب ٢٢٣ ـ الدوحة

• الســـودان :
دار التوزيع ـ ص . ب ٢٥٨ ـ الخرطوم .

• مصـــر
مؤسسة التوزيع الحديث ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .

• ســـوريا :
الشركة العربية الحديثة للتوزيع والتصدير ـ برمانة ص . ب ٤١٠٩ ـ دمشق .

• العـــراق :
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع الرشيد ـ بغداد ـ ص . ب ٦٦٤ ـ بغداد .

• ليبيـــا :
الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ـ فرع طرابلس ص . ب ٩٢١ ـ طرابلس ـ فرع بنغازي ـ ص . ب ٣٢٦ ـ بنغازي .

• الأردن :
وكالة التوزيع الاردنية ص . ب ٧٢٤ ـ عمان .

• الجـــزيرة :
مؤسسة الوفاء للطباعة والتوزيع ص . ب ٢٢٤ ـ الدوحة .

• الســـعودية :
شركة السعودية للتوزيع الصحف ص . ب ٣١٦٩٤ ـ جدة .

• الكـــويت :
شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٣٩٠٥ ـ الصفاة ٢٤ تلكس

• لبنـــان :
الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٦٠١٥ ـ بيروت .

• الجمهورية العربية اليمنية :
دار الهدى ـ البيضاء ـ الدوائر ص . ب ١٤٠٠ ـ صنعاء .

• جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :
وكالة ٢٦ سبتمبر للتوزيع والنشر ـ ص ب ٤٩٢٢ المنطقة الأولى ـ عدن

• الامارات العربية المتحدة :
مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ شارع المطار القديم
أبو ظبي ص . ب ٣٩١

• سلطنة عمان :
وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٢٩ مسقط ـ سلطنة عمان

• تونس
الشركة التونسية للتوزيع ١ شارع فرنكلين ص . ب ٢٤١ ـ تونس

• المغـــرب :
الشركة الشريفة للتوزيع والصحافة ص . ب ٥٣٥ ـ الدار البيضاء
SHAEC
SOCIETE
P.O. Box
CASABLANCA

• الجزائـــر :
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٣ شارع العربي ـ الجزائر .
ALGERIE
S.N.E.D.
ALGER

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبع بمطابع علي بن علي ـ الدوحة

القرن الواحد والعشرون يدق الأبواب

فهل يستمع العرب إلى الطَّرقات العالية؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

انشـغال الفـكر العربي بهمـوم البيت العـربي الـكبير وشـئونه وشـجونه واجب يـومي لا مفـر منه . وإن فررنـا منه سـاعة أعادتنـا إليه نشرات الأخبـار المـدلهمة سـاعة بعـد سـاعة . غير أن إرسال النظر إلى ما وراء الحدود العربية . حيث العالم الانساني الرحب . يتفاعل ويتمخض بالمفاجئ والجديد والمدهش .. أمر نحتاج إليه أيضاً .. لنشم نسمة هواء نقي بين دخان الانفجارات العربية وحروب المدن والأحياء . خاصة وأن بيتنا العربي الكبير يقع في مفرق الطرق من الدنيا كلها بين آسيا وأفريقيا وأوربا . ويعنى الكثير للقوتين الأعظم ، ويقع في القلب من عالم اسلامي كبير يحيط به ، وعالم ثالث أوسع يشاطره همومه وأحزانه وتطلعاته .

ومنذ أقدم العصور وحضارتنا العربية الاسلامية تحـاور الحضـارات وتفتح ذراعهـا للأمم والثقافات ، متفاعلة ، هادية ، مؤثرة .. فلنطل قليلاً برؤوسنا فوق الجدار ، لنرى ما يدور هناك في الأفق الواسع .. لعله يعطينا بعض التبصر وبعض الحكمة فيما يعتورنا من شجون .

وأول ما يلفت النظر في المشهد العالمي الراهن وأبعاده الجديدة تلك الحيوية المستجدة التي أخذت تسري في اقليم أمريكا اللاتينية بعد عهود طويلة من التعثر والانقلابات والثورات المضادة والشقاء الطويل مع الجار الأمريكي الشمالي الثقيل الظل !

ففي بلدان أمريكا اللاتينية اليوم تصنيع يصل إلى مرحلة النضج ، رغم مشكلات الاقتصاد .

وفي بلدان أمريكا اللاتينية اليوم صحوة ديمقراطية ، تعكس نضج مجتمع التصنيع ، وتحاول أن تستبق العنف والعنف المضاد في بعض أطراف القارة الجنوبية ، بعد أن تنفض عن نفسها عبء المسلسل الطويل لانقلاباتها العسكرية في العقود السابقة .

غير أن أهم وأعمق ما يلفت في عالم أمريكا اللاتينية ، البعيد عنا مسافة ، القريب منا معاناة ، هو ذلك الأدب الجديد الذي أخذ يبهر العالم كله .

إن أدباً إنسانياً عميقاً وجديداً بدأت تتمخض به مجتمعات أمريكا اللاتينية بما يوحي أنها على عتبة تطور حضاري نوعي بحكم ما يحمله ذلك الأدب من ارهاصات ومؤشرات خصبة .

ولقد احتفلت أوساط النشر والترجمة لدينا ، في فترات سابقة ، بالأدب الأوربي الغربي في مدارسه المعروفة ، وبالأدب الروسي ، وبالأدب الوجودي .. على بعد المسافة الحضارية والنفسية والذهنية بيننا ــ في مجتمعاتنا العربية ــ وبين تلك الآداب ..

وأعتقد أنه سيكون باعثاً إيجابياً وحافزاً مشجعاً للغاية لو شهدنا حركة ترجمة ونشر في عواصمنا العربية تعنى بالأدب اللاتيني الجديد ، وتقدمه في ترجمات أمينة وفي دراسات شاملة فالمشكلات تكاد تكون متشابهة ، والمعاناة الانسانية لواقع التخلف والتطلع واليأس والأمل تنبع من خلفية مشتركة ، كما أن ما يحفل به ذلك الأدب الجديد في ذلك الطرف القصي ، من اصرار وصمود وصبر ووضوح يمثل افتراقاً نوعياً عن العبث واللامبالاة والغموض الذي وفد إلى أدبنا وشعرنا المعاصر من خلال المؤثرات الوجودية والسيريالية التي غزت المكتبة العربية في العشرين سنة الماضية .

أتمنى هذا وأنا أعلم أن واقع النشر في بيروت ، وواقع النشر في القاهرة ــ وهما عاصمتا الكتاب العربي ــ ليس بالواقع السهل الميسور .

ولكني ، مع هذا ، اعتقد بأمانة أن التفاعل الدافئ المنفتح ، العميق مع الأدب الجديد في بلدان أمريكا اللاتينية ، بمشاكلها المتشابهة مع مشاكلنا ، وتراثها الأسباني المتخالط مع تراثنا العربي ، ان ذلك التفاعل قد يكون منعطف التصحيح وشرارة التوقد ، الذي نأمله لأدبنا المعاصر الذي طال رقاده ..!

وطبيعي ان الحيوية تنبع من داخل الذات ، بلا جدال ، ولكن المؤثرات المواتية والمشجعة قد تكون باعثاً على اطلاق حيوية طال ركودها واستفقت من منابع غير ملائمة لها ..

ومن المؤشرات المهمة في عالم أمريكا اللاتينية ، قبل أن نغادره إلى مكان آخر ، ظاهرة « لاهوت التحرر » .. وهو فكر مسيحي انساني تقدمي وتحرري جديد ، يرفض الكثير من مواقف الكنيسة الرسمية وابتعادها عن معاناة الشعوب وتطلعاتها ، وسكوتها عن ظلم القوى الكبرى والنظم الاجتماعية غير العادلة .. (وقد اضطر البابا إلى حظر بعض تيارات هذا الاتجاه) .

انه فكر ديني ودنيوي يذهب بالرهبان إلى حيث يعيش الناس ويعملون ويعانون ليأخذ بيدهم ، بدل الانغلاق داخل الكنيسة بين المراسم والطقوس الكهنوتية .

وهذا التوجه التحرري المسيحي الجديد يحاول السير على خطى التوجه الاسلامي السليم في الجمع بين الدين والدنيا ، وبين الايمان والعمل ، وبين المثال والواقع ، وبين الروح والمادة .. كما أنه يرفض إلحاد الماركسية ومادياتها ، وان حاولت بعض أوساطها التقرب منه من حيث التكتيك السياسي . وبالطبع فإن المهتمين بدراسة الصحوة الاسلامية ومظاهرها المختلفة على الصعيدين الاجتماعي والسياسي ، يمكن أن يجدوا بعض المقارنات والتوازيات بين الظاهرتين هنا وهناك بما يوفر مجالاً خصباً لدراسة مقارنة مفيدة لظاهرة دور الدين في التأثير على حياة العالم كله في غربه وشرقه .

وإذا ما نجح « لاهوت التحرر » في تقديم بديل ثالث مستقل عن الرأسمالية والماركسية لبلدان أمريكا اللاتينية ، فإن ذلك سيقدم دليلاً جديداً آخر على أن شعوب العالم الثالث ستكون قادرة في عالم القرن الحادي والعشرين على السير في نهج حياتي وحضاري يستمد من روحها وتراثها وأصالتها رغم كل تحديات التحديث والتكنولوجيا المتقدمة .

ومن أقصى الغرب إلى أقصى الشرق .. حيث الظاهرة اليابانية وصمود القوة الشرقية الجديدة في اقليم الشرق الأقصى ، وهي ظاهرة تحدثنا عنها كثيراً ، ولن أمل من تكرار الحديث عنها ، ولفت نظر العقل العربي والوجدان العربي إليها ، لأنها تمثل ببساطة القوة العالمية الأعظم التي سيتوجب علينا التعامل معها في عالم القرن الحادي والعشرين الذي لم يعد بعيداً عنا .

فإذا كانت بلدان امريكا اللاتينية تمثل نموذجاً مشابهاً لأوضاعنا ويمثل تطورها نموذجاً لما يمكن أن يكون عليه الخط العام لتطورنا ، فإن قوة الشرق الآسيوي الجديد تمثل البديل الحتمي للقوة الغربية التي تعاملنا معها طويلا ، ووقعنا تحت سيطرتها ، والتي تعاني اليوم مشكلات ذاتية عميقة رغم ما يبدو عليها من اقتدار . فكيف سنتعامل مع القوة الجديدة ؟ وهل سنعرف ان نستفيد منها ، مع الوقوف بازائها موقف الند للند ، أم سيعيد التاريخ ذاته وتكرر الخطأ الذي وقعنا فيه في تعاملنا غير المتكافئ وغير الصحي مع القوة الغربية ؟

والواقع ان اطالة التأمل في مسار القوة الشرقية الجديدة يعطينا في أوضاعنا العربية الراهنة ، نماذج صحية لكيفية نهضة الأمم وصمودها وعملها وانتاجها ، ويقدم لنا دليلاً ينقض كل ما تعانيه من احباط ويأس .. دليلاً حياً تحت ضوء الشمس الشرقة على أن حياة الأمم ليست كلها تمزقاً وهدماً وعقماً واحباطاً .. وأنه يمكن أن تنهض أمم شرقية متخلفة وتلحق بركب التقدم ، بل وتتسلم قيادته .

لذلك فإن اهتمام الفكر العربي ، ليس فقط بتفوق اليابان ، وانما بنهوض الصين في ظل نظام آخر ، وبتقدم كوريا في ظروف أخرى ، وبتوحد فيتنام بمنهج مغاير .. كل ذلك من شأنه أن يقدم للوعي العربي شواهد حية وخيارات كثيرة لكيفية نهوض الأمم ، عندما تقرر أن تنهض .

أما البعد الثالث الذي أريد أن الفت إليه في هذه الاطلالة على الأفق الرحب وعلى الغد الواسع ، بعد البعد اللاتيني ، والبعد الآسيوي ، فهو البعد المتعلق بالثورة التكنولوجية الثالثة .. ثورة علوم الكمبيوتر وتقنياته .

فبعد الثورة الصناعية الأولى القائمة على البخار والفحم ..

وبعد الثورة الصناعية الثانية القائمة على الكهرباء والنفط .. تبدأ اليوم الثورة الصناعية الثالثة .. ثورة الالكترونيات .. ثورة الرقائق والدقائق المتناهية في الصغر .. ثورة الأدمغة الالكترونية التي تفوق ، في بعض الجوانب ، قدرة العقل البشري ذاته ، كما في العمليات الحسابية المعقدة الفائقة السرعة ..

ان ثورة الكمبيوتر كوسيلة معلومات واتصالات قد اخترقت حياة العصر كلها بالطول والعرض .. من العمليات الحسابية الى تسجيل أدق حركات القلب إلى التحكم في العمليات العسكرية إلى رصد حركات النجوم .

● أدب أمريكا اللاتينية أقرب إلينا من أدب الغرب

● قيعان المحيطات مليئة بكنوز أثمن بكثير من النفط

القرن الواحد والعشرون يدق الأبواب

فهل يستوعب العرب الطفرات العالمية؟

لن تستطيع أمة أن تهرب من حضور الكمبيوتر سلباً أو ايجاباً . وإذا تجاهلته فسيأتيها في عقر دارها بأيدي أعدائها الطامعين .

ولا أدل على ذلك من أن القوة الآسيوية الجديدة قد أدركت ـ في صراعها مع القوة الغربية ـ هذا السر .. فقررت أن تنازل الغرب في عقر داره بسلاح الكمبيوتر .

ان صناعة الالكترونيات وأجهزة الكمبيوتر هي الصناعة اليابانية الأقوى والأكثر صموداً حتى في الأسواق الغربية .

وقبل فترة قصيرة طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من اليابان التعاون معها في حقل الكمبيوتر الحربي والالكترونيات العسكرية ، وهي الدولة التي حرمت عليها أمريكا ذاتها التعاطي في شئون الحرب !

ورغم مدهشات الكمبيوتر فهو مايزال صبياً في خطواته الأولى . وسؤال المستقبل هو : ماذا لو تمكن الكمبيوتر من التحول إلى طاقة؟ طاقة تحل محل النفط والكهرباء والفحم ؟ أو على الأقل أصبح وسيلة ناجحة لتوليد الطاقة من الشمس أو الهواء أو الماء أو أية مواد مصنعة رخيصة ؟

ذلك سؤال للمستقبل .. عندنا نحن على الأقل . لكنه ـ لدى بعض الأمم ـ قد دخل حيز التنفيذ ، وتحول من علامة استفهام إلى فعل مضارع !

ويلي بُعْد الكمبيوتر ، بُعْد اكتشاف الفضاء .

ان البعد الفضائي سيكون أحد الأبعاد الأساسية لعالم القرن الحادي والعشرين ، تماماً مثلما كان بعد الكشوف الجغرافية في القرن السادس عشر .

ان مركبات فضائية تبحر اليوم في العالم اللانهائي عبر سنوات ضوئية ، إلى كواكب وأجرام ونجوم لا حصر لها ، وتبث صوت الانسانية في تلك الأصقاع الفلكية .

وتطور الكمبيوتر يعد الانسان بغزو أكثر ثمارا للفضاء . والمسألة ليست مسألة معرفة علمية فلكية . ان حرب الكواكب التي بدأت بين العملاقين الدوليين تدخل في صلب المسألة الفضائية . كما سيكون بالامكان اجراء تجارب على الكائنات العضوية وعلى تركيب العناصر والمعادن بعيداً عن جاذبية الأرض ومؤثراتها بما يفتح المجال لظهور تكوينات عضوية وكيميائية جديدة في منظومة الكائنات التي نعرفها . بما لا يمكن التنبؤ بشكله وخطورته منذ الآن ..

أما البعد الأخير ، الذي نود الالماح إليه في نظرة الطائر هذه ، فهو بعد استثمار قيعان البحار واستصلاح الصحاري واستغلال الطاقة الشمسية .

ان قيعان البحار تمثل مساحة أكبر وأغنى من كل القارات مجتمعة . وإذا كان العالم قد ذهب بعيداً إلى الفضاء الخارجي ، فإنه لم يهمل الاعداد للنزول إلى تحت مياه المحيطات لاستثمار قيعانها الفسيحة والغنية بميزات كثيرة .

ان استثمار قيعان البحار يحمل امكانات ثروة ووفرة ستقف منها ثروة النفط ووفرته موقف التواضع الشديد ! والعالم العربي محاط بأطول الشواطئ وأعرض البحار والمحيطات . وعندما سيأتي وقت استثمار قيعان البحار نأمل ألا تقوم بذلك ـ نيابة عنا ـ شركات أجنبيه للاستثمارات البحرية !!

وإذا جاء عصر الصحاري الخضراء .. فالعرب أيضاً أبناء الصحاري لا ينازعهم فيها منازع ..

وإذا جاء عصر الطاقة الشمسية الرخيصة ، فحرارة الشمس في بلادنا من أغنى ما يكون !

ولكن ..!

مع كل هذه الأبعاد الرحبة الواعدة أمامنا ، فإن البعض منا مازال يقاتل على مسافة أمتار لتحديد حدود كيانات الطوائف ! .. فهل من عاملين على امتداد هذه الأبعاد الجديرة بالتضحية ؟

وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

ورحمك الله يا أبا الطيب .. فها نحن كما تركتنا .

محمد جابر الأنصاري

أصبحت صناعة أجهزة الكمبيوتر هي الصناعة الأكثر صمودا حتى في الأسواق الغربية

● نحن بلاد الشمس المشرقة والشواطئ الطويلة والصحاري الضخمة .. فهل نتنبه إلى ثروة: الشمس والماء والصحراء ؟

● أمامنا أبعاد رحبة للنمو والتطور .. ولكن خصوماتنا الصغيرة تهدد المستقبل العربي كله

كتاب صغير ولكنه خطير

رجل يريد أن يصرخ بالحقيقة ولكنه لم يجد من يُنصت إليه!

بقلم : فتحي رضوان

ظهر فى مصر أخيراً كتيب صغير من تأليف الضابط الطيار حسين ذو الفقار صبرى ، الذى لم يكن من الضباط الأحرار الذين هيأوا ودبروا ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . الا أنه مع ذلك لعب دوراً فى حياة هذه الثورة ، وفى توجيه أحداث السياسة المصرية ، وفى تحديد بعض المفاهيم الوطنية ذات الخطر والقيمة ، وكان هذا الدور بارزاً ومؤثراً وباقياً فى تاريخ مصر والسودان معاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويتناول هذا الكتيب جانباً عظيماً من أحداث السياسة الكبرى التى وقعت فى النصف الثانى من القرن العشرين الحافل بأكبر التطورات ، ولكنه للدهشة الكبيرة جانب غاب فى أطواء التاريخ حتى لكأنه لم يقع ، ولكأن هذا الذى أحدثه تافه وضئيل القيمة . وهو مايناقض الحقيقة ويتحداها .

ولكيلا أُطيل على القارىء الكريم ، أقول ان عنوان الكتاب الذى أعنيه ، والذى أنا بسبيل تلخيصه وتقديمه ، هو « ثورة يوليو واتفاقية السودان » .

ولعل القارىء العزيز يذكر أن الشعب المصرى تشبث بالسودان ، واعتبره جزءا مكملاً لوطنه ، وأن الله خلق هذين الشعبين ليكونا وحدة لا تنفصم ، وكياناً لا يتجزأ ، وأن المفاوضات التى بدأت تجرى بين السياسيين المصريين أمثال سعد زغلول وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت ومصطفى النحاس ومحمد صلاح الدين وأحمد خشبة ، فى عهود وزارات متباينة الاتجاهات ، مختلفة النزعات ، كانت تتحطم على صخرة السودان ، فالانجليز كانوا لا يريدون أن يفرطوا فى السودان ، فلا يدعونه يرتبط بمصر ارتباطاً وثيقاً لأسباب عديدة أولها أن التسليم بارتباط هذين الشعبين أحدهما بالآخر يؤدى ان آجلا وان عاجلاً الى قيام امبراطورية ضخمة واسعة المساحة مترامية الأطراف ، ذات موارد اقتصادية هائلة فى موقع من الأرض ، هو أغلى المواقع وأغناها . وأعنى به موقع مصر فى الشمال الشرقى من أفريقيا المطل على البحرين الأبيض والأحمر وهما بحرا الحضارة والتجارة والحروب على مدى القرون المتعاقبة . وعند التقاء القارتين الضخمتين : أفريقيا وآسيا ، وفى طريق الحجيج إلى الحرمين : المكى والمدنى ، وطريق الحجيج إلى القدس وبيت لحم والناصرة ، هذا كله قبل أن يتفجر البترول فى السعودية والخليج العربى ، ويصبح عصب الحياة ، فى الحرب والسلم ، ومجال الصناعة والتجارة .

وكان السبب الثانى الذى عملت بريطانيا من أجله على عدم توطيد علاقة مصر بالسودان ، هو أن ايصال مصر بالسودان اذا توثق واشتد ، معناه ايصال مصر بأفريقيا السوداء ، بمدخراتها الطبيعية الهائلة واتصال العرب بهذه القارة العذراء . ولا يعدو أكثر من ذلك دواعى الاستعمار البريطانى والفرنسى ، للوقوف فى وجه كل صلة بين مصر والسودان ، والعمل على قطعها وقصمها وإلقاء الوقيعة بينهما . وكانت أحداث التاريخ المصرى السودانى ، وأثر فتح محمد على للسودان بجيش مصرى رأسه أحد أبنائه ، وهو اسماعيل ، تتيح فرصة للحكام البريطانيين والفرنسيين الذين وضعوا أيديهم على مصر ابتداء من سنة ١٨٨٢ ، وعلى أقطار أفريقية شديدة الاتصال بالسودان مثل الكونغو وأوغندا وكينيا وتشاد ، لاحداث الوقيعة بين المصريين فى شمال وادى النيل والسودانيين فى منتصفه وجنوبه فقالوا إن صلة مصر بالسودان كانت صلة غزو وفتح واستغلال بمعنى صلة استعمار شبيه بالاستعمار الغربى ، وإن تجارة الرقيق نمت وازدهرت فى السودان فى ظل الحكم المصرى ، حتى قامت ثورة سنة ١٩٥٢ ، كان الضابط حسين ذو الفقار صبرى أركان حرب القوات المصرية العسكرية فى السودان ، وكان من

رجل يريد أن يصرخ بالحقيقة
ولكنه لم يجد من يُنصت إليه!

تقاليد الحكم المصرى البريطانى فى السودان ، منذ الغزو الانجليزى لمصر ، أن ترسل مصر عدداً من الجنود المصريين ، وعلى رأسهم بعض الضباط ، وكانت هذه القوة العسكرية الصغيرة ، مجرد رمز للعلاقة بين مصر وبين السودان ، ولكنها قوة غير قادرة على أن تفعل شيئاً ذا قيمة ، إذا تأزمت الأمور ، وكان مؤلف الكتاب الذى هو موضوع حديثى ، أركان حرب تلك القوة العسكرية المصرية الصغيرة عندما قامت الثورة ، وكان عمله قليلاً فاستطاع أن يتأمل فى العلاقة التقليدية بين مصر والسودان وموقف الوطنيين المصريين من السودان ، وموقف الوطنيين السودانيين فخرج من تأملاته أن ما جرى عليه العرف عند الساسة المصريين من أن الوحدة بين الشعبين ، هى وحدة يؤكدها التاريخ ، وتؤكدها علائق الاخاء والمودة بين الشعبين ، هو خطأ كامل ، وانه لابد من إعادة النظر فى كل ما ورثناه عن سنى ما قبل الثورة ، لنحقق أمرين : الأول أن نخرج الانجليز من السودان ، والثانى ان نقيم علاقات بين مصر والسودان ترتكز على حقائق الواقع ، لا على تصورات وتمنيات .

ولما انتهى إلى نتيجة لتأملاته ، قرر أن يعرض هذه النتيجة على الضباط الذين قاموا بالثورة ، لكى يحذرهم من الاسترسال فى الأفكار السائدة فى أوساط الوطنيين المصريين والتى يحسبون العلاقات المصرية السودانية على أساسها .

ولم يكن ذلك سوى ثورة ، فقد كان ما انتهى إليه الضابط حسين ذو الفقار صبرى ، تصادماً صريحاً مع الفكر السياسى المصرى ، وهزم ذو الفقار أن يسافر إلى مصر ، ويحدث ضباط الثورة برأيه الذى اهتدى إليه وآمن به على ضوء إحتكاكه بحقائق الأمور فى السودان وعلى ضوء ما سمع ورأى فى السنوات التى قضاها فى هذا الاقليم . وسافر فعلاً ، فخوجئ بأن أعضاء مجلس قيادة الثورة ، غير مستعدين لاستقباله ، وغير مستعدين لسماع أى كلام بشأن السودان ، فقد استغرقتهم أمور السياسة الخاصة بمصر ، والمصاعب التى صادفتهم ، والمقاومة التى اعترضتهم والتى انبعثت من بعض زملائهم الذين لم يتح لهم أن يشاركوا فى الحكم ، وبقى حسين ذو الفقار ، واقفاً ببابٍ مجلس قيادة الثورة ، يروحون أمامه ويغدون ، ويتقدم لكل فرد منهم يخرج من قاعة الاجتماع أو يدخل فيها ، ويحاول أن يستوقفه ، ولو للحظة ، ليحدثه عن السودان ، وليعرض عليه مذكرة أعدها فى موضوع علاقات مصر بالسودان ويمضى الأعضاء إلى حال سبيلهم دون أن يلقوا إليه بالا وهو شاعر بخيبة الأمل وبالحيرة ، وبقلة الحيلة ، رجاؤه فى أن يسمع هذا المجلس الثورى رأيه يتضاءل

حسين ذو الفقار صبرى

محمد نجيب

ويضعف إلى درجة الذبول ..

ويسرنى أن انقل لك الصورة التى رسمها المؤلف لنفسه فى تلك الفترة ، قال :

« طرت إلى القاهرة ، حاملاً مذكرتى ، تحدونى الآمال مدفوعاً بحماس أى حماس ، فاذا بى أمام حجب كثيفة من أشياء .. مجلس قيادة الثورة فى حالة انعقاد مستمر أو يكاد ، دونه أبواب موصدة بالشبة والمفتاح .

أمكننى أن أتصيد بعضاً من الأعضاء ، أولا الذين كان لى بهم معرفة سابقة ، ما ان الح منهم خارجاً من قاعة الاجتماعات أو داخلا إليها ، حتى أسارع بفاتحته فى الموضوع ، ملحاً على ضرورة عرضه ودراسته ولكنهم لاهون عما أقول مشغولون يتمتمون بتحيات عجلى بينما كيانهم مشدود إلى اهتمامات أشعر أنها بعيدة كل البعد عن العالم الذى فيه أعيش .

كانت مشكلة السودان قد استحوذت على تفكيرى بشكل عميق ، وأصحو بها وعليها ، تلازمنى تداخلاتها ، فى غدواتى وروحاتى ، أتوه بخيالى الى احتمالاتها اذ ما جلست إلى طعام وتستهضنى اذا ما حاولت أن أخلد إلى راحة بعد عناء تفكير ، تنخر فى كيانى حتى النخاع فاذا أقبل الليل تملكتنى حسرة على هذا اليوم الذى فات ، فكم من أيام أخر هى أيضاً إلى ضياع ، وأتساءل فى قلق ممض ما اذا كانت البقية الباقية من الفترة المتاحة لنا ، والتى ينتهى أجلها بحلول الثامن من نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، وهو التاريخ الذى حددته الادارة الانجليزية فى السودان لاعلان (دستور جديد للسودان) سوف تتسع فتتخذ ما يلزم من قرارات » .

وأخيراً سمح لحسين ذو الفقار أن يعرض مذكرته (الخالدة) على أعضاء مجلس قيادة الثورة ، فقد دعى إلى اجتماع لهذا المجلس فى القاعة المخصصة له . ويصف حسين ما جرى فى هذا المجلس وهو يتلو مذكرته قائلا : « بدا لى أنى قد ضحنت تقريرى بملامح من أوضاع ما كان يتصور أحد من الساميين بأنها قد بلغت هذا القدر من التعقيد فألاحظ انصراف البعض الى أوراقهم الخاصة ، وكأن لسان حالهم يقول :

هو احنا ينقصنا مشاكل ، ويتظاهر البعض الآخر من قدامى الأصدقاء بالانصات الى ما أقول . بينما اشعر بأن اهتماماتهم الحقيقة مشدودة الى ما كان يسيطر على أذهانهم من مشاكل تواجههم فى نطاق ما كان وكل إليهم من اختصاصات .

شعرت بخيبة أمل تجرفنى ، فيتبخر الحماس الذى كان يحدونى ، ولكنى أمضى قدماً وقد خفت صوتى الى وتيرة من رتابة ، وكأنى أكلم نفسى ، فقد انفضت من حولى دائرة الاهتمام . كان على أن أغالب نفسى قأصل الى ختام تقريرى ، وقد دخلت بعد أن استنزفنى الجهد ، فارغ القلب ، مشاعرى خاوية كأنما تبددت الى متاهات من يأس وإحباط . القلقلة من حولى تنذر بأن أعضاء المجلس قد ضاقوا ذرعاً يتعجلون نهاية الجلسة لينفضوا ، وقد ازيحت عن كواهلهم أثقال يحملونها على مضض » .

ولكن جاء القدر ليمد يده إلى حسين صبرى ، وهو يتحفظ فى عالم متجهم ، يدير له ظهره ، ويسمعه بنصف أذن ، أو بلا أذن مطلقاً ، فقد تغيرت الوزارة الأولى التى شكلت فى أعقاب الثورة ، والتى كانت برياسة على ماهر (باشا) وحلت محلها وزارة برياسة اللواء محمد نجيب ،

على ماهر

عبد الرزاق السنهوري

صلاح سالم

ومحمد نجيب سوداني مع انه من ريف مصر ومن مركز كفر الزيات بمحافظة الغربية ، الا أن والده وجده وخاله جميعاً عملوا في السودان وماتوا ودفنوا فيها ، وكان قد قضى طفولته في إقليم السودان وتعلم في مدارس السودان ، وكان كثيرون من زعماء السودان زملاءه في المدرسة . ولذلك كان محمد نجيب على نقيض الضباط الشبان . شديد الاهتمام بمشكلة السودان . وكان وجوده على رأس الحكومة المصرية ضماناً ليرى الزعماء السودانيون على أن مصر تضمر الخير للسودان .

ويمضي حسين ذو الفقار فيقول :

« نعم .. يأتيني صوت محمد نجيب من بعيد ، عن حدود المكان ، أسمعه يشكرني على الصورة الكاملة الواضحة ، التي قدمت ، وعلى الجهد الصادق الذي بذلته ، وهي الكلمات التقليدية التي تلقى في مثل هذه المناسبات إيذاناً بانتهاء الجلسة إلا أنه انثلج صدري مالمست فيها من صدق وحرارة ، شأنها شأن الكلمات الرقيقة التي تقدم حين العزاء . فاستأذن البعض خارجين ، وتحول الآخرون إلى مجموعات يتجاذبون أطرافاً من حديث أو من نقاش هامس تتخلله أحياناً ضحكات . هي عنوان روابط وثيقة من زمالة وألفة فأشعر بأني عليهم غريب .

وأنصرف الى جمع أوراقي المتناثرة . فقد حطت على بلادة تتخونها مشاعر من احباط ، ولكني أفاجأ بصلاح سالم يجذبني من ذراعي فينتزعني من مكاني الى أحد أركان المجلس حيث محمد نجيب وجمال عبد الناصر وقد انهمكا في الحديث ان صح أن يوصف كذلك . فقد لاحظت ان محمد نجيب كان منفعلا يحماس ، تتدفق على لسانه الكلمات بينما جمال عبد الناصر لايكاد ينطق بحرف واحد ، وانما ينصت في سكون ، فيطرق برأسه بين الحين والحين ..

وتدب الحياة في مذكرة حسين ذو الفقار . ويبدو أن سعيه جداً يشق طريقه ، انما تجد في طريقه ، صعاب أخرى ، اذ تتشكل لجنة للتفرغ لمشكلة السودان ، ويكون من بين أعضائها الدكتور عبد الرزاق السنهوري رئيسا ورئيس مجلس الدولة ، الذي كان مهتماً فيروز الثورة بالسودان وكتب في شأنه مذكرات ، ولكن السنهوري رجل قانون وان انشغل بالسياسة كثيراً ، وكانت هناك معاهدات بين مصر وبريطانيا معاهدات تنصب على السودان وكانت هذه المعاهدات تحتوي نصوصاً تمنح مصر حقوقاً وتشرك مصر في السيادة على السودان ، وكان السنهوري مهتماً بهذه النصوص ومتمسكاً بها . وكان حسين ذو الفقار يرى أن هذه النظرة القانونية ستغضب الزعماء السودانيين ، وتقربهم من الحكومة البريطانية ، فدارت لذلك مناقشة بين حسين والسنهوري ، تحولت الى مشادة ثم الى أكثر من مشادة ، وكان ذلك حدثاً تاريخياً ذا أهمية وطرافة . فالسنهوري شيخ من شيوخ القانون . كان استاذاً في كلية الحقوق ، ثم عميدا لها ثم وزيرا للمعارف وكان حسين ذو الفقار ضابطاً في الدرجات الدنيا في السلك العسكري ، ولكن الزمن جمع بين الشخصين ، وجعل كلا منهما على طرف . فحدث ما يرويه حسين ذو الفقار على النحو التالي . « كان محمد نجيب قد افتتح المناقشة مشيراً إلى المذكرة التي سهرت الأيام والليالي في إعدادها ثم ينسحب إلى سكوت ، أما صلاح سالم فقد أطرق برأسه منذ اللحظة الأولى لا ينبس بكلمة — على غير عادته — وكأن الأمر لايكاد يعنيه . وهكذا تحولت الجلسة إلى مساجلة بيني وبين الدكتور السنهوري ، شرع يهاجم بنود المذكرة عنيفاً ، بينما أحاول جهدي أن أرده إلى تفهم ما يكتنف الموقف من ظروف واعتبارات .

حاولت جهدي أن أقنع عبد الرزاق بأن بنود المذكرة انما هي سبيلنا الوحيد للقضاء على النفوذ البريطاني في السودان . وأن التمسك بنصوص ليس من ورائها إلا الأصرار على الاحتفاظ بسيادة شكلية لمصر . فإنما هو التكريس الأكيد للهيمنة الاستعمارية على أراضي السودان . وكنا ندور في حلقة مفرغة حيث لا تلاق .

وانفجر حسين فصاح في السنهوري :

« يا دكتور سنهوري خروج الانجليز من السودان هو بيت القصيد وهذه المذكرة هي سبيلنا الى ذلك ولا سبيل سواها في ظل ما يحيط بنا من ظروف .. متكاتفين مع السودانيين فنكسب ثقتهم ولا نحولهم الى اعداء .

فيرد السنهوري محاولا تسفيه آراء حسين :

« أسمع يا حسين يا ابني . يابني دول بيضحكوا عليك دي ألاعيب سياسية بكره تفهمها لما تكبر بيستغلوك وأنت مش حاسس » .

وانتفضت واقفاً وقد تحول كياني كله الى صوت هادر زاعق .

« وأنت ايش فهمك في السودان .. هو أنت تعرف حاجة عن السودانيين » .

واختم كلامي عن هذا الكتيب بهذه الصورة التي تبين أنه ، بقي أكثر المصريين يجهلون ما يجري وراء الكواليس من أحداث جسام في مجالات العلاقات المصرية السودانية ، وهو ما عرضه حسين ذو الفقار صبري بأسلوبه الممتع ، وتصويره الحي المتقد ، الذي جعل كتابه الصغير وثيقة تاريخية وأدبية جديرة بان تلهم المؤرخين والأدباء ..

فتحي رضوان

على هذه الصفحات يواصل عميد الأدب القومي العربي المعاصر الأستاذ الكبير أكرم زعيتر ذكرياته الرائعة عن الشاعر « بدوي الجبل » وقصائده وكفاحه الطويل ، وتدور أحداث هذه الحلقة الجديدة بين دمشق وبغداد في ثلاثينات هذا القرن :

بدويّ الجبل .. وإخاء أربعين سنة

شاعر كبير وهو دون العشرين

بقلم : أكرم زعيتر

الشاعر العربي بدوي الجبل

ARCHIVE

- تعرفت عليه سنة ١٩٢٧ في المكتب القومي بدمشق
- صداقة حميمة تحولت إلى أخوة حميمة امتدت أربعاً وأربعين سنة
- عندما هرب الشاعر الكبير من طغيان الفرنسيين في دمشق ووصل إلى بغداد ليعمل مدرّساً بإحدى مدارسها

كنت في الرابعة عشرة من عمري في مدرسة النجاح النابلسية أتوقد حماسة قومية متأثراً بالبيت الذي فيه نشأت ، والمدرسة الوطنية التي فيها تعلمت . وقد أشربت حب الثورة العربية . وحدث أن زار عمان أبو الثورة ، شيخ قريش ، الحسين بن علي ، فاعتمرتها وفود من بلاد الشام تحييه وتناجيه وتبثه شكواها من الانتدابين الانكليزي والفرنسي . وشاعت بينها أبيات من قصيدة ترحيب به قالوا : انها لشاعر فتيّ يدعى « بدوي الجبل » .. وقد نقلتها ورتلتها واستظهرتها ، ومطلعها :

ألف اهلاً بأمير المؤمنين
سيد البطحاء والبيت الأمين
وارث الهبرة عن صاحبها
أحمد المختار خير المرسلين

وكانت لا تبرح ذهني قصيدة الفرزدق في زين العابدين : « هذا الذي تعرف البطحاء وطأته » وأنا أردد قول البدوي :

يعرف البيت اذا طاف به
أنه ابن الطائفين العاكفين

تعرف الاستار اذ يلثمها
أنه ابن الساجدين الراكعين

وفي الموكب يقول :

حوطوا الموكب باسم المصطفى
وبنيه من عيون الحاسدين
وانثروا الدمع على موكبه
ودعوا الملك لحور و لعين
أدمع البشر وقد يبكي الفتى
سره الدهر كما يبكي الحزين

الحسين بن علي أبو الثورة العربية

الشهيد يوسف العظمة وزير الدفاع السوري في العهد الفيصلي ، وقد استشهد في معركة ميسلون

فيصل بن الحسين

وفي قصيدته التي أربت على السبعين بيتاً مجد الوحدة العربية وناشد الحسين ان يعمل لها .. ومن ابياتها ما ظل البدوي يرددها :

انا يا روح جواد فاغفروا
زلتي إن رحمت بالدمع ضنين
لا ترى الاعداء دمعي جارياً
انني أبغض عطف الشامتين

وقلت يومئذ لفتى الشعر النابغ صديقي ابراهيم طوقان : « ما ترى في بدوي الجبل ؟ » فقال : « شاعر كبير وهو دون العشرين فما يكون شأنه في المستقبل ؟ » .

قلت : ليت له ديواناً ..

ومضت شهور .. وعاد ابراهيم من الجامعة الأمريكية ببيروت الى نابلس ، وأقبل علي متهللاً يقول : « هذا ديوان بدوي الجبل صدر منذ أشهر جئت به من بيروت وآثرتك به على نفسي » . ورحت اترشف شعر البدوي حيناً وأتعبه آخر ، وأعجبني أن جعل إهداء الديوان « إلى مثال البطولة العربية ، إلى الشهيد الراقد في ميسلون . الى تلك الروح الكبيرة التي تمردت على العبودية وعلى الحياة » . وقد شدّت في ترحيب اعلام في الأدب : كرد علي ، والمنفلوطي ، وخليل مردم بك ، وبشارة الخوري وجبران التويني وعفيفة صعب بالديوان ، مخايل شاعر المستقبل الأكبر . وظل ذاك الديوان المطبوع سنة ١٩٢٤ قنية نفيسة لدى وقد رجعت والبدوي إليه بعد أربع وخمسين سنة لنختار منه المواكير في ديوانه الكبير ..

• • •

كنت سنة ١٩٣٧ اتولى الإعلام الفلسطيني للثورتنا الكبرى ، وجعلت مكتبي في المكتب القومي العربي الذي أسسه زعيم شباب سورية فخري البارودي ، وهو من تجمعت فيه مناقب الشام الشهمة . وفوجئت ذات يوم ، وأنا في مكتبي بشاعر الحركة العربية محمد الشريقي قادماً من عمان .. ويصطحب فتى نحيفاً أسمر ذا عينين براقتين وأنف أقنى وثغر باسم .. ويقول لي : « هذا هو بدوي الجبل الذي أعلم اعجابك به وترديدك شعره » ... فأهلت ومرحبت به ، وما لبثنا حتى انضم الينا روح دمشق المرحة فخري البارودي ، وأزهرت مجلسنا ذكريات الشعراء الثلاثة عن العهد الفيصلي .

وانعقدت بيني وبين البدوي آصرة صداقة صميمة سرعان ما غدت أخوة حميمة امتدت أربعاً وأربعين سنة حفلت بذكريات ما اعطرها وما اوفاها ! وأرجو اذا ساعف العمر وواتت الطاقة أن يتألف منها ومن رسائله اللؤلؤية كتاب يحلق فيه نثر البدوي الفخيم تحليق شعره العظيم .

كان البدوي عضواً في البرلمان السوري نائباً عن بانياس في محافظة اللاذقية ، وقد تعاهد ونواب اللاذقية على الاخلاص للوحدة السورية ومكافحة كل نزعة تجزئة اقليمية أو طائفية . وكانت لقاءاتنا موصولة واجتماعاتنا ندوات تتذاكر فيها في ما يحتمه الواجب الوحدوي من مواقف ، ويستوي في اهتمامنا القومي عمل لوحدة سورية وعمل لمظاهرة الثورة الفلسطينية .

ويبدو أن اندفاع البدوي في التنديد بدعاة التجزئة من عملاء فرنسا قد غاظ كثيراً صحيفة « البشير » التي كانت تصدر في بيروت شعوبية النزعة ، فرنسية الميلان ، جزويتية التحرير ،

شاعر كبير ولهو دون العشرين

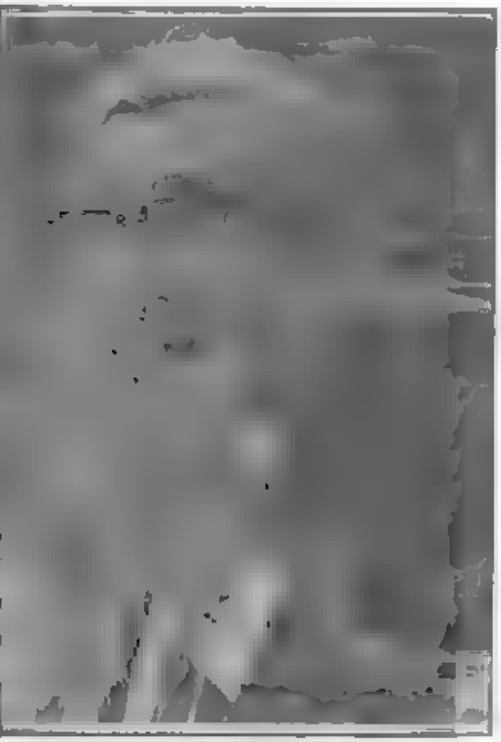

بدوي يحير في حسن مدسيت
يبقى بعض قصائده رائعة

فحملت على البدوي وعيرته برسالة كتبها منذ سنوات يسترحم منها تودد إلى فرنسا ، يوم كان عضواً في المجلس لتمثيلي العلوي الذي ألغته الحكومة المنتدبة وتلقفتها جريدة دمشقية كان صاحبها على خلاف حزبي وانتخابي مع الكتلة الوطنية التي ينتمي إليها البدوي . وبادرت الى بيت البدوي لأعرب له عن ألمي مما قرأت فوجدته قد أعد رداً على « البشير » وفيه يقول : « قد تعود البشير أن يهاجمني .. ولو أراد غير ذلك لما رضيت عن نفسي ، لأن في سكوت البشير عني غضاضة لا أحتملها وتصغيراً لبلائي وجهادي ، وما وثقت من عملي كما وثقت اليوم ، فلو أردت أن أتقدم الى الأمة العربية بدليل على بلائي في خدمة قضيتها لم وجدت دليلاً أقوى حجة وأمتن برهاناً من هذا الموقف الذي تقفه البشير مني ومن هذه الضغينة التي تحملها لي هي وأسيادها » ، وقال : « لقد وطنت نفسي عندما سلكت هذا الطريق على احتمال كل أنواع الأذى ، وكنت أترقب من أسياد البشير السجن والنفي ولا أزال أترقبه .. أما أن تزعم أنني أريد في وطنيتي عرضاً من أغراض الدنيا فهذا هو الكذب والوقاحة معاً لأن أغراض الدنيا ومغانمها عند أسيادها لا عند الوطنيين الذين يلاقون أنواع المظالم والإرهاق كل يوم وليلة ، فما يأوي أحدهم إلى فراشه إلا وهو على نذير في سجن أو نفي وتشريد » وقال « وبسي حمد الله على أنني جهرت بالوطنية وهي جمرة تحرق أكف لا مسيها ، وأسي رفعت لواءها بين سمع الدنيا وبصرها ، والقوة تلوح بالسجون والمنافي ، وبها هو شر من السجون والمنافي فما زادني ذلك إلا ايماناً وبصيرة واطمئناناً » .

وحرضت البدوي على أن يوجه إلى صاحب الجريدة الدمشقية كتب خاصاً . فكتب في غير لبث أو غمغمة رسالة إذا أنا اقتبست منها بعض فقرات فلأن ذلك يستوفي سيرة الشاعر العظيم ، ويقول في الكتاب : « ليست وطنيتي جديدة يا سيدي ، وليس جهادي في سبيل هذه الأمة ابن عامين أو ثلاثة أعوام ، بل هو جهاد قديم ينتظم صباي وشبابي ، فقد فهمت معنى الحرية واللومية في ظلال المدينة الخالدة دمشق في أثناء حكم المغفور له فيصل الأول ، ومع أنني لم أتجاوز الرابعة عشرة من عمري يومئذ فقد شاركت في الحركة الوطنية بالقدر الذي أستطيعه ولم تقتصر هذه المشاركة على ماكنت ألقيه من القصائد الوطنية في النادي العربي ، بل تجاوزته الى أبعد من ذلك (وهنا تحدث عن جهوده في العهد الفيصلي وحين دخول الفرنسيين دمشق وتوقيفه من قبل ديوان الحرب الفرنسي ، وقد أوجزته فيما سردته من سيرته) ثم قال : « وقد قاومت وقاومت حتى تعذرت كل عناصر المقاومة والنضال فاعترفت بالأمر الواقع عن يأس وقنوط وغمرني التيار ، فما أنكر أنني أسأت وأخطأت ، وهذا ضعف أعترف به ، ولم يكن في وسع انسان في ظروف كظروفي ومحيط كمحيطي أن يفعل غير ما فعلت ، على أنه ذنب لا أنكره بل أعترف به واستغفر الله عليه ، وبعد أن استشهد باخوانه أعلام الوطنية كمردم والقوتلي ورسلان والجابري في ترسيخ دعائم الوحدة ومقاومة دسائس التجزئة أشار إلى تضحيته في سبيل الغاية الوطنية المقدسة وهو مرتاح الضمير إلى هذا كله « راحة لا أستبدل بها كل ما في الدنيا من مجد وجاه ونعيم .. لقد أسأت وأحسنت وحسبي أن تكون الحسنة بدل السيئة ، وأنا في هذا الحساب لن أكون أمام أمتي العربية ولا أمام ضمير [illegible] بل أنا واثق أنني سأكون الدائن [illegible] ولا فخراً وأنهي كتابه بقصيدة [illegible] وبعد [illegible] فيه جده وخشوعه وعنده : وفيه أيضاً [illegible]

الشام فوق كل لوعة وحزنها فوق كل حزن ، ومن أين يبكاء الملك الشهيد من المدينة الشهيدة تنحني على القبر أنور وتضع عليه جراحها وأمجادها ، فما ترك الظلم والطغيان ريحانة واحدة في الغوطتين لتزف على القبر أذكى الندى .

« إن الشام التي سوف يألف جرح وجرح من الحراب فلا تدن ولا تشكو ، بل تزداد عنفاً وكبرياء هذه المدينة الأبية على الخطوب ، المتغمرة بموادي الزمن يخونها الصبر فيك يا ابن فيصل فتجزع وتبكي ، وفي وسع الدين تكبرت دمشق على صغيرهم فما أرتهم دموعها في وسعهم أن يروا هذه الدموع في مأتم الملك الشهيد ، وأن يقولوا للدنيا وللعالم : لقد رأت دمشق تبكي باب فيصل وابن فيصل ثم هدأ بين أبنائك وعمائك الأقربين بعطاريف من عبد مناف ودع الحمام الوردي المعطر الذي أعتق أبوك العظيم أجفانه على هنامته ، دعه يهدهد آلامك وآمالك في رقادك الطويل . دع هذا الحمام المعطر يجلو صورة أمامك واحدة واحدة ، فيلمع فكرة كما تلمع الحيا حب في الليل الداجي ثم يثير عقيدة كما تثير الشمس في الأضحيان . ثم يتوثب حقيقة قوية عنيفة لا تبالي بالحدود والتخوم ثم يتراءى ذلك في صورته الأخيرة الرائعة وقد اكتسبت الظلال والألوان وانخطوط ملكاً عربياً يظل الفيحاء وانزوراء ، وكتائب ظفر تسهل بها الصحراء الظامئة فتزدهر الرمال وتخضوضر وتنبت الحديد والنران ، وفتى من بني أبيك يحمي النجدة

الشريف حسين [illegible] ووزراؤه موسى كاظم باشا [illegible] والشيخ
عبد القيسي [illegible] وعلي [illegible] الكيلاني [illegible] الأميري

والظفر بي الموطنين فتواكب أمية وعباس وصلاح الدين فتى هاشمي على مفرقه تاج العرب ترمقه نصرانية وإسلام ، وتتوحد عليه بغداد والشام ، وفي تلك الجلسة تبارى النواب في الدعوة إلى اتحاد القطرين السوري والعراقي .

ويممت العراق ، وكانت العلاقات الفرنسية السورية قد تدهورت وفر إلى بغداد أحرار من سورية ولبنان ، وطارد الفرنسيون أحرار الفلسطينيين فلاذوا بالعراق ، فنشطت الحركة القومية التحررية نشاطاً جعل الكثيرين يطلقون على العراق « بروسيا العرب » ..

. . .

وكنت ذات يوم في مكتبي بوزارة المعارف وقد عينت موجهاً قومياً وإذا بالبدوي يهاتفني أشعث أغبر في « بنطال » قصير ، قد أضناه السفر ونهكته لوعته فما أحر اللقاء !! وما أطيب عناق بعد ذاك الفراق ! .. ولخص لي الرحلة وهو يكاد يتهاوى من الأعياء .. وحمد الله أن نجده من بطش الفرنسيين ، وألفى رجال المعارف يحيونه ويرحبون به ثم صحبته إلى مكتب وزير المعارف المرحوم صبيح جبر الذي بالغ في الترحيب به وأعرب عن رجائه أن تفيد معارف العراق في احدى مدارسها من فضله ، ومع أنه لم يكن يحمل الشهادة التي يشترط أن يحتازها كل معلم . فقد

كان [illegible] هو الشهادة التي تعتبر أدنى درجات التدريس ، ومع ذلك فقد [illegible] أحد الوزير [illegible] فسألته : وما حكاية واسط هذه ؟ فروى لنا : حدث حين مات الحجاج بن يوسف ، باني مدينة واسط ، أن اطلق سراح السجناء ، وسئل أحدهم عن أسباب سجنه ، فأجاب : لقد شوهدت ذات يوم أبول في قارعة الطريق فأمر الحجاج بطرحي في السجن منذ أمد بعيد وظللت فيه هذه المدة الطويلة حتى مات الحجاج فأطلقت . ثم ألقى عباءته على كاهله وغادر واسط مهرولاً ، وسمع وهو ينشد :

اذ نحن غادرنا مدينة واسط
وبلينا حيث شئنا من الدنيا

وأمر الوزير بتعيين البدوي مدرساً للعربية في احدى مدارس بغداد

. . .

ونشرت صحف بغداد نبأ لجوء البدوي إلى بغداد ورحبت به وأخذ الأدباء وأصدقاؤه من الأحرار اللاجئين الى بغداد يتوافدون على مكتبي للسلام عليه ، وبينما هو في المكتب ، رن جرس الهاتف إنها الآنسة الراقية أمة سعيد مديرة دار المعلمات تهتف بي : « صديقك بدوي الجبل في

بغداد ليس لدار المعلمات نشيد فأريد شاعرا كبيرا ينظم لفتيات العراق نشيداً نشدوه في حفلنا بأربعين غازي ويحيي فيه ملك الطفل الحبيب فيصلا .. » وتقلت لبدوي رغبة المربية الفضلى ، فاعتقد لها قائلا : « مع أنني لا أنظم بتكليف فقد انشرح صدري . وسأرى ! » وفي أصيل اليوم نفسه زارني يحمل النشيد .. وأعطانيه بخط يده ، فرتلته وبادرت إلى دار المعلمات وأمليته على المديرة .. واحتفظت بالأصل وهو غير مدرج في الديوان .. وهذا هو ينشر اليوم في الدوحة أول مرة :

الفتيات فتيات
حياتنا سر الحياة
الزهرات العطرات
الدجلة والفرات

. . .

توسمي دأب الرشيد
تريدي والمجد يريد
من جوهر الماضي البعيد
نخلق الغد الجديد
انا نهز الوجود
حين نهز العهود

تكبري تكبري ، هذي السماء فاطفري بالأمل المنتصر ، نحن الرجاء فاخطري بحلمك المعطر
الفتيات .

شاعر كبير وهو دون العشرين

● قصة طريفة عن مدينة واسط والحجاج وشاعر عربي ساخر

نشيد الفتيات

لبدوي الجبل بخط يده

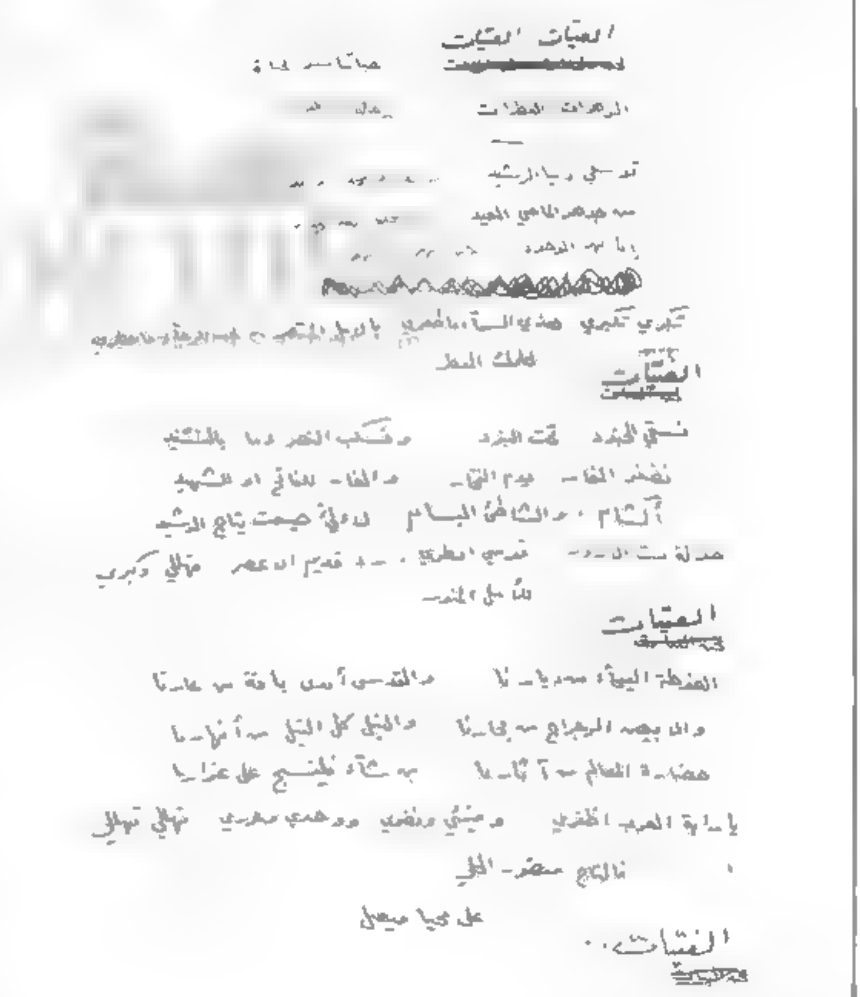

ونسقي الجنود ، تحت البنود
ونسكب النصر دماً بالنشيد
نضفر الغار ، يوم الفخار
والقمر للفاتح أو للشهيد
الشام ، والشاطىء الهمام
لآلئي صيغت بتاج الرشيد
خولة بنت الأزور ، قومي انظري
رد قديم الأعصر ، فهالي وكبري
بالأمل المنور
الغوطة الفيحاء من ديارنا
والقدس أندى باقة من غارنا
والأبيهر الرجراج من بحارنا
والنيل كل النيل من أنهارنا
حضارة العالم من آثارنا
من شاء فليسج على غرارنا
يا راية العرب الخفاق ، وفيئي ونضري ..
ووحدي وحرري
تهالي ، تهالي ، فالتاج منضور الحلي
على محيا فيصل

الفتيات ..

وكنت في اللجنة التحضيرية لتأبين الملك غازي في أربعينه ، ودعي إليه أعلام في السياسة والشعر والأدب في مصر وسورية ولبنان والأردن وفلسطين . وقلت للبدوي فور وصوله إلى بغداد « على الجارم وعبد الوهاب عزام وشبلي الملاط ومحمد الشريقي سيكونون شعراء لحفل ولكن العقد لا ينتظم إلا بواسطته . بدوي الجبل » فأجاب : « مصرع غازي هزني وقد سمعتني أرثيه نثراً . ورثاؤه شعراً مما ساورني وأنا أقطع البادية إلى بغداد والقصيدة تختمر في خاطري » ..

أكرم زعيتر

في المقال السابق ان الشاعر ولد في قرية ديفة والصحيح ديفة وجاءت عبارة ارضعت لبانات روحه وصحيحها . أرضعت لبانات روحه وجاءت متوهماً له وصحيحها متوهماً به

وفي صورته في احدى جلسات البرلمان اشير إلى ان سافير كانا عن يمينه والواقع انهما عن شماله وان الذي كان عن يمينه هو النائب فاخر الكيالي

• ورد في الحلقة الثالثة خطأن هما سيادة والصحيح أنها سيرته ، وكلمة المنحة والصحيح أنها المتعبة

القضية الفلسطينية

في الكتب المدرسية الأمريكيّة

تبرئة كاملة لإسرائيل واتهامات باطلة للعرب

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

ازداد الاهتمام في السنوات الأخيرة بموضوع التنشئة السياسية Political Socialization كأحد أبعاد دراسة النظم السياسي في مجتمع ما . ويقصد بالتنشئة السياسية تلك العملية التي يكتسب بواسطتها الأفراد الاتجاهات والمشاعر تجاه النظام السياسي كما يتعلمون أدوارهم ومسئولياتهم ازاء هذا النظام ، وبعبارة أخرى فإن عملية التنشئة السياسية هي عملية نقل الثقافة السياسية السائدة في مجتمع ما بما تتضمنه من قيم ومعتقدات ومعايير الى الأجيال الجديدة

وتنبع أهمية دور التنشئة السياسية من الوظائف التي تقوم بها فهي تضمن استمرار نظم القيم والمعتقدات السياسية في المجتمع من جيل الى جيل . وهي تغرس روح التضامن الوطني والقومي بين المواطنين ، ومن ثم فهي أداة دافعة للتكامل . وهي أخيراً أداة للضبط الاجتماعي . تقوم بتأكيد قيم معينة دون قيم أخرى

ويتفق الباحثون على أن عملية التنشئة هي عملية مستمرة لا تقتصر فقط على صغار السن ولكن تستمر عبر مراحل الحياة المختلفة . ومن أهم أدوات التنشئة السياسية وأكثرها فعالية وتأثيرا النظام التعليمي . ومن هنا أهمية دراسة الكتب المدرسية كمؤشر لعملية التنشئة السياسية وللقيم والمفاهيم التي تسود في مجتمع ما حول إحدى القضايا الداخلية أو الخارجية

وترجع أهمية الكتب المدرسية كمؤشر الى أكثر من اعتبار . أولها أنها تندرج ضمن الأدوات المؤسسية للتنشئة والتي تقدم المعلومات والقيم الى جمهور لمستقبل لها بشكل مرتب ومنظم ، وثانيها أن الكتب المدرسية وبالذات تلك المتعلقة بالتاريخ أو العلوم الاجتماعية عادة ما تزعم الموضوعية . لذلك فإنه ينظر إليها على أنها حقائق ، لا تتضمن آراء منحازة لطرف أو لآخر . وثالثها أن الكتب المدرسية تخاطب جمهوراً في مقتبل العمر ، غير قادر على التمحيص ، ومن ثم تلعب دوراً رئيسياً في تشكيل رؤيته ونظرته للقضايا المختلفة خاصة عندما نتذكر أن المعلومات الدراسية بخصوص عديد من الموضوعات كثيراً ما تكون نهائية للطالب بالنسبة لعديد ممن لا يهتمون بهذه الموضوعات وأخيراً فإن دور الكتب المدرسية يزداد أهمية عندما تدعم أدوات التنشئة الأخرى في المجتمع الاتجاه الوارد فيها

في هذا الاطار تبرز أهمية دراسة كيفية تناول الكتب المدرسية للقضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الاسرائيلي . ويركز هذا المقال على الكتب المدرسية الأمريكية باعتبارها نموذجاً يعكس الرؤية الغربية عموماً للقضية ، ويعتمد هذا التقرير في النتائج التي يشير إليها على عدد من البحوث الميدانية التي قام بها أساتذة الاجتماع والسياسة في الجامعات الأمريكية (١) . وسوف يعرض المقال لنتائج هذه الدراسات فيما يتعلق بالحركة الصهيونية والهجرة الى فلسطين حتى قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ، وحرب ١٩٥٦ وأسبابها ، وحرب ١٩٦٧ وأسبابها ، وصورة العرب واسرائيل عموماً ، ونصل في النهاية الى عرض لأهم الاستخلاصات .

الحركة الصهيونية والهجرة الى فلسطين حتى ١٩٤٨

تعرض الكتب المدرسية الأمريكية عادة الجذور التاريخية للصراع من وجهة نظر صهيونية ،

القضية الفلسطينية
في الكتب المدرسية الامريكية

فتذكر أن اليهود عاشوا لأعوام طويلة يحلمون بالعودة الى « أرض الميعاد » وأن الحلم قد تحقق فى عام ١٩٤٨ عندما أعلنت دولة اسرائيل . ولا تشرح هذه الكتب تاريخ فلسطين ، والوجود العربى الطويل فيها ، والأهداف السياسية للحركة الصهيونية بل تشير الى أنه فى خلال عشرين عاماً بعد اعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ استوطن آلاف اليهود فى فلسطين حيث حققوا تقدماً كبيراً فى الزراعة والصناعة وأن الهجرة قد ازدادت نتيجة اضطهاد النازية لليهود .

وتشير جميع الكتب الى قرار الأمم المتحدة الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ والذى أوصى بتقسيم فلسطين الى دولة يهودية وأخرى عربية باعتبار أن هذا القرار يعكس التأييد الدولى والشرعية الدولية لقيام اسرائيل ويعرض بعضها لهذا القرار بشكل متميز سافر فيذكر أحد الكتب أن الأمم المتحدة قررت تقسيم فلسطين الى نصفين فصار نصف سكانها حراً للشعب اليهودى وصار النصف الآخر حراً من الأردن .ويلاحظ استخدام المؤلف لكلمة حر فى الاشارة الى اسرائيل فقط ، كما يلاحظ أن كل الكتب المدرسية تتجاهل ما حدث بعد ذلك وهو ابتلاع اسرائيل لجزء كبير من المساحة المخصصة لانشاء الدولة العربية الفلسطينية قبل بدء الحرب فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، كما لا يشير أى منها الى النص الكامل لقرار التقسيم والذى يتضمن جعل القدس مدينة دولية ولا تناقش حق الأمم المتحدة فى تقسيم المناطق الموضوعة تحت الانتداب ومدى اتفاق قرار التقسيم مع مبدأ حق تقرير المصير بل اعتبره البعض أعظم انجازات الأمم المتحدة وأخيراً لم تتعرض هذه الكتب لدور الولايات المتحدة فى الضغط السياسى لتمرير قرار التقسيم

وتشير معظم الكتب المدرسية ان لم يكن كلها الى أن العرب كانوا المعتدين ، فقد غزوا « دولة اسرائيل الصغيرة فى أعقاب اعلان استقلالها مباشرة » ويذكر أحد الكتب أن اليهود أعلنوا دولة اسرائيل فى الجزء الذى خصصته لهم الأمم المتحدة وهذا غير صحيح تاريخياً . ففى ١٥ مايو وقبل أية معارك بين العرب واسرائيل كانت الهاجاناه والقوات العسكرية الصهيونية قد استولت بالفعل على مناطق عديدة من تلك التى كانت مخصصة للدولة العربية الفلسطينية

وتصف كتب التاريخ ردود فعل البلاد العربية لاعلان اسرائيل بكلمات مثل الحرب ، والعدوان والغضب والهجوم والغزو فيذكر أحد الكتب أنه عندما أعلنت « الأمة اليهودية قيام اسرائيل كدولة مستقلة أعلنت « بلاد عربية الحرب عليها ، ويزعم آخر « أن العرب قرروا تحطيم اسرائيل الدولة الوليدة واحدى الديمقراطيات القليلة التى ظهرت فى السنوات الأخيرة » . وهنا يلاحظ أن كلمة العرب ترتبط بعدد من التعبيرات السلبية مثل عارض ، وهاجم ، وغزا ، وطرد ، وغضب . وتقى فى البحر الخ ، بينما ترتبط كلمة اليهود أو اسرائيل بتعبيرات ايجابية مثل الاستقلال والوطن ، والديمقراطية ، والحرية .

هذه المعلومات والايحاءات التاريخية المضللة والمشوهة تجعل الطالب متحيزاً ضد العرب . وهى لا تنقل لهم وجهة النظر العربية فى الموضوع ولا تناقش نشاط الجماعات العسكرية الصهيونية فى فلسطين قبل حرب ١٩٤٨ بوقت طويل ، ولا تذكر أسباب نزوح الفلسطينيين عن ديارهم . وتتجاهل كيف أنهم أكرهوا على ذلك ، ولا تناقش حق الأمم المتحدة فى اصدار قرار التقسيم والضغط السياسى الأمريكى الذى رافق اصدار القرار ، كما أنها تتجاهل الوقائع التاريخية التى قد تؤدى صورة اسرائيل مثل واقعة اغتيال مندوب الأمم المتحدة السويدى الكونت برنادوت فى ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ فى القدس وتكتفى بالاشارة الى أنه قد قتل بل ان بعض الكتب ألقت بتبعة قتله على الفلسطينيين

وتشير أغلب الكتب الى أن اسرائيل قد قامت بتحدى قرار الأمم المتحدة دون الاشارة الى ... فعلت كان فى الواقع بالقوة واغتصاب الأرض وتشريد الفلسطينيين من ديارهم . ويقدر أن نجد عرضاً موضوعياً يذكر وجهات النظر المختلفة كما يقدر عرض قضية اللاجئين الفلسطينيين باعتبارها مسألة أساسية فى أى تسوية شاملة

حرب ١٩٥٦ وأسبابها

تميل معالجة الكتب المدرسية الأمريكية لحرب ١٩٥٦ أيضاً الى التحيز بل وفقاً لأحد الكتب يبدو كأن مصر لم تتعرض لهجوم على الاطلاق وان كل ما حدث هو « أن الحرب قد اشتعلت » . ويذكر كتاب آخر أن عبد الناصر كان يعادى اسرائيل الأمر الذى أثار قلقها ودعاها الى غزو مصر فى أواخر عام ١٩٥٦ . وأنها هاجمت مصر أيضاً خوفاً على سلامة قناة السويس بعد تأميم مصر لشركتها وضماناً لاستمرار الملاحة الدولية فيها ، ويدعى كتاب آخر أن الحرب قد حدثت بسبب اغلاق عبد الناصر لخليج العقبة ولوضع حد لهجمات الفدائيين الذين كانوا ينطلقون من قواعد مصرية . ويبررها كتاب آخر بأن مصر رفضت السماح للسفن الاسرائيلية أو لسفن بلدان أخرى تحمل شحنات لاسرائيل بالمرور فى قناة السويس فغزت اسرائيل سيناء . ولاشك أن مثل هذا العرض لحرب ١٩٥٦ لابد وأن يشعر الطالب الأمريكى بالدهشة لتبنى الرئيس ايزنهاور وجهة نظر معارضة لاسرائيل وتصرفه فى اتفاق مع الاتحاد السوفيتى لاجبار الدول الثلاث الصديقة للولايات المتحدة — بريطانيا وفرنسا واسرائيل — على سحب قواتها من مصر . ولم تحاول أغلب الكتب عرض وجهة النظر العربية مثل ذكر هجوم اسرائيل على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ والذى أدى الى مقتل عدد كبير من الجنود المصريين كما لم يتعرض أى كتاب لحقيقة أن هذه الحرب كانت بناء على تدبير سابق بين اسرائيل وبريطانيا وفرنسا .

حرب ١٩٦٧ وأسبابها

تنحو جميع الكتب المدرسية فى هذا الصدد باللوم على العرب وعبد الناصر ، فيدعى أحد الكتب « أن العرب شنوا هجوماً على اسرائيل بقيادة مصر فدمرتهم اسرائيل » ، ويذكر كتاب آخر أن مصر أغلقت منفذ اسرائيل على البحر الأحمر وحركت جيشها على الحدود ودعا عبد الناصر جميع الدول العربية الى سحق اسرائيل ، وتربط بعض الكتب بين العرب والسوفيت .

ولم يذكر أى من الكتب المدرسية سلوك اسرائيل العدوانى خلال الشهور التى سبقت حرب ١٩٦٧ وعدوانها على قرية السموع الأردنية ودخول الطيران الاسرائيلى سماء دمشق وسلسلة التصريحات الاسرائيلية التى هددت باسقاط نظام الحكم فى سوريا واحتلال دمشق وهو السلوك الذى أدى الى تصعيد التوتر وايجاد الأزمة التى نجمت عنها الحرب . وبصفة عامة فان معالجة حرب ١٩٦٧ فى الكتب المدرسية لا تمكن الطالب من ادراك تعقيدات الأزمة ولا تساعده فى الوصول الى فهم سليم فيما يتعلق بأسباب الحرب ونتائجها .

صورة العرب واسرائيل

تفسر العديد من الكتب استمرار الصراع فى المنطقة بالقاء اللوم على العرب وتزعم أن الكراهية التى يشعرون بها تجاه اسرائيل هى سبب الأزمة ويبرر أحد الكتب هذا العداء بأنه ناجم عن أن اسرائيل بلد ديمقراطى الأمر الذى يهدد الكثير من الأنظمة غير الديمقراطية العربية . ويلاحظ فى هذا المجال أن الكتب لا تتعرض لنظرة الاسرائيليين الى العرب ولا لوضع العرب داخل اسرائيل والتمييز العنصرى ضدهم .

وتهتم الكتب بابراز انجازات اسرائيل فى كافة المجالات فتذكر كيف حولت الصحراء الى واحة مزدهرة وتقارن ذلك مع تخلف العرب وتأخرهم وعجزهم عن التنمية رغم مواردهم الكبيرة ، ويؤدى ذلك بالطبع الى تبنى الطلبة مشاعر متعاطفة مع اسرائيل . كما تمثل الكتب بالصور التى تبين كيف كانت الصحراء حينما وصلها اليهود وكيف جعلوها تزدهر وتنتج ويذكر أحد الكتب أنه عندما عاد اليهود الى فلسطين « وجدوا أن الأرض مازالت كما كانت عليه فى أيام أجدادهم الأوائل » . وبينما توصف اسرائيل بالتقدم والمدنية وأنها دولة عصرية متقدمة وديمقراطية يوصف العرب بالتخلف والفقر والجهل والعدوان . فيؤكد أحد الكتب على الطابع

الديمقراطي لاسرائيل ويذكر آخر أن اليهود الأوربيين حملوا معهم المدنية الى فلسطين بعد أن عاش العرب في ظل الاقطاع والفقر والجهل لمدة طويلة ، ويربط ثالث بين العداوة العربية لاسرائيل والدين الاسلامي ، وفي كثير من هذه الكتب تستخدم كلمتا العرب والمسلمون كمترادفين

وفي هذا المجال أيضاً فان ما يرد في الكتب المدرسية الأمريكية يجانب الحقيقة ، فتاريخ يدحض خرافة تحويل الصحراء الى واحة مزدهرة . فأجزاء كبيرة من فلسطين كانت منذ عهد بعيد خصبة ومنتجة كما تشير كافة الوثائق التاريخية وشهادات الرحالة الأجانب ، ولا تخبر الكتب المدرسية القارىء أن مشاريع الري في صحراء النقب قد تبين أنها غير اقتصادية منذ عام ١٩٥٥ الا أنها استمرت في نطاق محدود لأسباب عسكرية

وأخيراً فان هذه الكتب تتعمد عدم الاشارة الى ما يبرز صورة اسرائيل مثل اضطهاد اليهود الشرقيين ودعوتهم من أجل المساواة أو وضع العرب داخل اسرائيل أو استيلاء اسرائيل على المناطق المنزوعة السلاح بينها وبين كل من سوريا ومصر

استخلاصات ونتائج

من عرض ما تقدمه الكتب المدرسية الأمريكية عن القضية الفلسطينية والصراع العربي — الاسرائيلي يمكن الوصول الى الاستنتاجات التالية

١ — أن جميع الدراسات المتعلقة بالقضية الفلسطينية وبالصراع العربي الاسرائيلي معادية لاسرائيل بشكل صريح وسافر ولا يمكن اعتبار أي منها موضوعياً أو يعرض وجهة النظر العربية بشكل علمي غير متحيز .

٢ — من حيث المساحة المخصصة لمعالجة اسرائيل والبلاد العربية في هذه الكتب عادة ما يخصص لاسرائيل مساحة موازية أو أكبر مما يخصص للدول العربية كلها ، فأحد لكتب المدرسية للصف السادس يخصص صفحتين ونصف صفحة مرفقة بتسع صور حديثة لاسرائيل في حين يخصص للسعودية ثلثي صفحة وللعراق ربع صفحة . كما تلعب الصور التي تتضمنها هذه الكتب دوراً هاماً في تأكيد انطباعات ورؤى معينة وتوصلت احدى الدراسات نتيجة تحليل ١٨ كتاباً بهذا الصدد إلى أن هناك ٢٠٢ صورة عن العدم العربي مركز معظمها على المساكن الريفية والواحات والبدو وقوافل الجمال . أما الصور الخاصة باسرائيل فتركز على التقدم والحضارة الحديثة .

٣ — عدة ما تقترح الأسئلة التي ترد في نهاية كل جزء أن يكتب الطلبة تقارير ترتكز على معلومات مستقاة من وسائل الاعلام ، ولما كانت هذه الوسائل متحيزة لاسرائيل ومعبرة عن وجهات نظرها فان هذه الأسئلة والتقارير التي يكتبها الطلبة تميل الى قبول وجهات النظر الاسرائيلية

٤ — ان معظم مكتبات المدارس الابتدائية والثانوية تمتلك مراجع ضافية عن اسرائيل أكثر مما لديها عن العرب ، علاوة على أن هذه الكتب وضعت بواسطة مؤلفين يتعاطفون مع اسرائيل وعلى سبيل المثال ففي احدى المدارس الثانوية في ولاية كاليفورنيا وجد الباحث خمسة كتب عن اسرائيل وحدها وكتابين فقط عن الشرق الأوسط بوجه عام . ويتيح هذا الوضع للمدرسين أن يتعلموا المزيد عن اسرائيل كما يشجع الطلبة على اختيار اسرائيل كموضوع لتقاريرهم وبحوثهم الدراسية .

٥ — تتغاضى معظم الكتب المدرسية عن الحق الشرعي للفلسطينيين وتستخدم بعض الكتب عن عمد كلمة عربي بدلا من فلسطيني لكي تعطي الانطباع بأن الصراع بين الاسرائيليين وكل العرب ، كما أنها لا تبرز قضية الفلسطينيين وحقهم في تقرير مصيرهم .

٦ — بصفة عامة تكرس الكتب صورة سلبية عن العرب باعتبارهم قوماً متخلفين وأنهم سبب الصراع في المنطقة ، بينما تذكر اسرائيل واليهود بكثير من الاعجاب والتمجيد وتشير الى ما قاساه اليهود على يد النازيين وقامت اسرائيل كنتيجة لقرار الأمم المتحدة وتتجاهل ان اضطرار طرد الفلسطينيين من أراضيهم وأنها توسعت على حساب الدول العربية المجاورة وأنها تحتل قرارات الأمم المتحدة وأنه لا توجد دولة في العالم

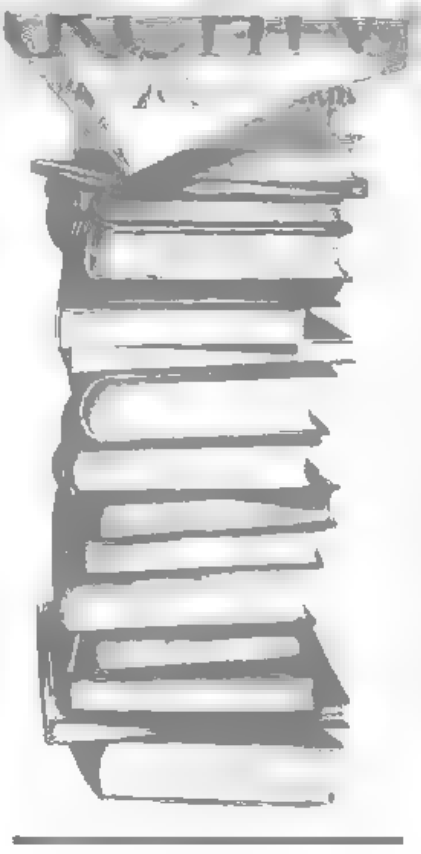

أدينت عدة من المرات بواسطة أجهزة ومنظمات الأمم المتحدة مختلفة مثل اسرائيل ربما باستثناء جنوب أفريقيا .

٧ — أن تناول الكتب المدرسية للموضوع يميل الى اصدار الأحكام الأخلاقية ونقاء اللوم ومن ثم فانه لا يساعد الطالب على فهم القضية الفلسطينية بشكل موضوعي وذلك من خلال وصف الأسباب الموضوعية لها والجذور التاريخية للصراع وهكذا فان هذه الكتب تنقل للطلبة ، وجهة نظر ، حول القضية أكثر من عرضها للأصول والجذور التاريخية لها ثم تترك لكل طالب بعد ذلك الحرية في اختيار وجهة النظر الخاصة به .

٨ — ان هذا المنهج غير العلمي فيما يتعلق بتناول القضية الفلسطينية لا يقتصر في الحقيقة على هذه القضية فحسب وانما يمتد ليشمل كيفية تناول تاريخ المنطقة ، والاسلام ، والأوضاع المعاصرة وأبعادها الاقتصادية والاجتماعية ؛ ففي كل هذه الموضوعات توجد أخطاء علمية وعدم دقة في البحث ، بالاضافة الى التحيز وعرض وجهة نظر واحدة بصددها وجدير بالذكر أن جمعية دراسات الشرق الأوسط التي تضم أساتذة العلوم الاجتماعية المختلفة المهتمين بالمنطقة شكلت لجنة لدراسة الكتب المدرسية وفي تقريرها الذي شمل دراسة ٤٦ كتاباً وصلت الى أن ٢/٣ منها غير مقبول على الاطلاق أما الكتب الباقية فتتراوح في موضوعيتها ودقتها

ويتضح مما سبق أن معالجة القضية الفلسطينية هي معالجة غير مرضية على الاطلاق سواء من حيث الشكل أو المضمون . فهي تعطي مساحة أكبر في التناول لاسرائيل كما تعرض أساساً وجهة النظر الاسرائيلية وبالتالي يتجه الطلبة الى تطوير أفكار وانطباعات ومواقف خاطئة حول القضية والتعاطف مع وجهة النظر الاسرائيلية

ولعله ليس من قبيل التعميم غير المبرر القول بأن الكتب المدرسية في أغلب الدول الغربية الأخرى تعكس نفس الاتجاهات السابقة وهو ما يدعو الى النظر في هذا الوضع وكيفية اصلاحه بقصد تقديم صورة متوازية وموضوعية عن القضية الفلسطينية ، ويمكن للمعلمين ونقاباتهم وتنظيماتهم القيام بدور حيوي في هذا المجال .

علي الدين هلال

هامش

(١) يعتمد هذا المقال على مسح عدد من الابحاث في موضوع منها

— د. نبيل رمزي : القضية الفلسطينية في كتب التاريخ المدرسية الأمريكية ، شئون فلسطينية ، عدد ٢ (ابريل — سبتمبر ١٩٧٣) ص ١٨٨ — ١٩٤

— د. ايلاد الفار : النزاع العربي الاسرائيلي في كتب العلوم الاجتماعية بمدارس الثانوية في الولايات المتحدة ، شئون فلسطينية ، عدد ٤٨ (ابريل — سبتمبر ١٩٧٥) ص ١٨٥ — ١٩٣

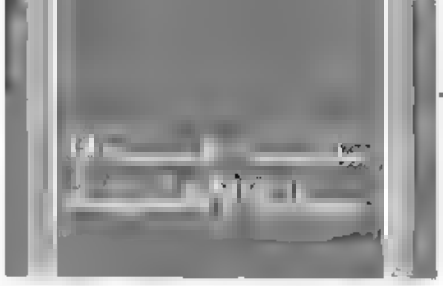

الماء

قضية خطيرة يواجهها كل العرب

بقلم : بسام طالب

- أحمد زكي يماني يقول : الماء أثمن من النفط
- المسلم الشهيد الذي مات ليعطي أخاه جرعة ماء متبقية
- الصفة الأساسية لأراضي الدول العربية هي : الجفاف

الماء هو قضية القضايا التي تشغل بال العالم . وهي قضية خطيرة تقتضي جهوداً واعية ومكثفة وبخاصة وأن العالم كله مهدد بنقص المياه . فما الذي يجب علينا نحن العرب القيام به في مواجهة هذه القضية ومواجهة أطماع إسرائيل الدائمة في المياه العربية ، وما الذي يجب على دول مجلس التعاون على وجه الخصوص القيام به أمام هذه المشكلة الخطيرة والتي تحتاج إلى مزيد من الجهود المبذولة ؟

وكنت وفية كالماء
فكيف أخون ، ماء العين
كيف أهرب من دمي ، وأنت الدروب
وكل الدروب اليك تؤوب

. . .

لم يجد الشاعر أصدق من الماء تعبيراً عن الوفاء ، ولم يجد أثمن من ماء العين تعبيراً عن الاخلاص .

يقولون أنقى من الماء ، فالماء دليل النقاء ، وقد جعل الله سبحانه من الماء كل شئ حي ، يقول تعالى في سورة هود / ٦ / ، وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ،

وكانت سقاية الماء في مكة مكرمة كبيرة ، وبدرجة عالية رفيعة لا ينالها إلا كرام القوم ، وقد جاء في الاثر : اسق الماء ولو على الماء .

والماء أحد العناصر الاساسية للوجود ، بل يكاد يفوق كلاً من عنصري الأرض والأمن ، والحضارات القديمة قامت أساساً على ضفاف الأنهار ، والله أوفر جميع الموارد الطبيعية في العالم ويوجد منه على الأرض كمية يقدر حجمها بـ ١٤٥٠ مليون كيلومتر مكعب (الكيلومتر المكعب مليار متر مكعب) .

واحتياطي هذه الكمية ثابت ، وقد وجدت هذه الكمية على الأرض وستظل فيها ما دامت الأرض ، ومعظم هذا الماء موجود في البحر (٩٧,٢٪ منه) وتؤلف الجمودات حوالي ٢,١٥٪ منه ولا يبقى سوى ٠,٦٥٪ منه في الجو وعلى ظهر الأرض وهذه الكمية تبلغ بالحجم ٨,٥ مليون كيلومتر مكعب ، وهذا الحجم كاف لنا يزيد كثيراً عن احتياجات الكرة الأرضية ، فلا خوف من نقصانه والعوز اليه .

والمشكلة في هذا السائل الحيوي هو أنه لا يوجد

الماء : أهم القضايا الخطيرة التي تشغل العالم الآن ، فهل مهتم ـ نحن العرب ـ بحاضر ومستقبل الماء ؟

أحمد زكي يماني : الماء أنفس من النفط

دوماً في مكان الحاجة اليه ولا في وقت الحاجة اليه

ويعتبر السعي في تحصيل الماء أحد أشكال الجهد والسعي اليومي من أجل الحياة ، ولا توجد الحاجات البيئية من الماء سوى ١٠٪ من اجمالي الاستهلاك العالمي . أما الصناعة الحديثة فتستهلك حوالي ٢٠٪ من مصروف الماء ، و٧٠٪ الباقية تستهلكها الزراعة .

ومن البديهي أن يكون الماء واحداً من أهم أسباب الفقر والبؤس والمجاعات في العالم ، واذا ما أخذنا بعين الاعتبار نسبة النمو الكبيرة التي يخلفها الاستهلاك الصناعي ، فان العالم يتصدم حيال الماء إلى كتلتين كبيرتين : الأولى هي كتلة أولئك الذين لا يستطيعون الوصول إلى الماء إما لاسباب اقليمية أو بسبب التخلف ، والكتلة الثانية هي كتلة أولئك الذين يوشكون بسبب التلوث الكبير أن لا يجدوا كمية الماء اللازمة لوفاء بحاجاتهم البيئية والصناعية والزراعية

صراع تاريخي وصراع وجود

والصراع على الماء صراع تاريخي ، ان لم نقل صراع وجود ، فمن عالم النبات إلى عالم الانسان مروراً بعالم الحيوان والصراع على الماء قائم ومستمر .

فهذه النبتة تتطاول بجذورها إلى جارتها ، حيث تكون الأرض أكثر رطوبة وأغزر ندى ، وهذان حيوانان يتصارعان على شربة ماء ، ومن القمص مالا يعد ولا يحصى عن الصراع على الماء ومن جرعة الايثار في الماء ، فهذا المقاتل المسلم يقضي شهيداً ليعطي أخاه كمية الماء المتبقية .

وكم قامت حروب من أجل الماء ، وكم تكرست خلافات بسبب اقتسام حصص الماء في الأنهار ، ولعل الكثيرون يذكرون جولات معالي شيخ حمد الركي معالي المكوكيه في مستعيات بين أربعة من الفرات بين سوريا والعراق ، وأذكر أنني سمعت معالي حبيب معالي الشيخ معالي سؤالاً كان مضمونه ايهما أصعب الصعب العمل في الحفاظ على الماء والحيلولة بهدوئه مهدداً الماء ، فرد فيصل من جانبه أن العمل في الماء هي وأمر

كان من الطبيعي جداً أن تقوم الحضارات الانسانية في أول عهدها في وادي الانهار فحضارة بلاد الرافدين قامت في وادي دجلة والفرات وحضارة الفراعنة قامت في وادي النيل ، وفي وديان أنهار الهند والصين قامت حضارات عدة .

وتحتاج العمليات الحيوية في كافة الكائنات الحية نباتية وحيوانية على السواء إلى كميات كبيرة من الماء فالكي تنبت البذور لابد لها من وسط يحمل قدراً كافياً من الرطوبة . وأول ما يبحث عنه الجذير الصغير في التربة هو الماء ، وبتقدم النبات في النمو تزيد احتياجاته للماء ، وفي الزراعة تختلف كمية الماء اللازمة لانتاج قدر معين من الغذاء تبعاً لنوعية هذا الغذاء ، فالغذاء النباتي يحتاج إلى مقدار أقل مما يحتاجه قدر مماثل من الغذاء الحيواني فعلى سبيل المثال يلزم لانتاج كيلو جرام واحد من حبوب القمح ٦٠٠ لتر ماء ويلزم لانتاج نفس الكمية من الأرز ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ لتر ماء ، بينما يقدر ما يلزم لانتاج الكيلو جرام الواحد من اللحم بحوالي ٢٥ ٠٠٠ لتر ماء والكيلوجرام الواحد من اللبن ١٠ ٠٠٠ لتر ماء .

وكما تحتاج الزراعة إلى الماء ، تحتاج الصناعة اليه أيضاً ، وتستخدمه بكميات كبيرة . ويختلف المقدار اللازم من الماء هنا أيضاً تبعاً لنوع الصناعة

في صناعة الالمان تلزم أربعة لترات ماء في انتاج الكيلوجرام الواحد ..

ويحتاج إلى نحو ١٥٠٠ لتر من الماء لصنع زوج من اطارات السيارات الثقيلة بينما نحتاج الى ١٠ لتر من الماء لصنع سيارة دون اطارات .

ويتمتع الانسان بالأولوية على الزراعة والصناعة في ضرورات احتياجه للماء فهو يحتاجه لشربه كماء للشرب ويحتاجه لاستعمالاته المنزلية . واحتياجات الانسان آخذه في الزيادة في خط موازٍ لتقدمه الحضاري والتكنولوجي ، وبينما لا يتعدى ما يستهلكه الفرد في البيئات البدائية حوالي لترين ونصف لتر يومياً ، نجد أن استهلاك الفرد في البيئات المتقدمة يصل الى ١٦٠ لتر يومياً

ولقد أدى التقدم التكنولوجي الى زيادة كبيرة ومفرطة في استهلاك المجتمعات للمياه بدءاً من الفرد ومروراً بالزراعة والصناعة

كما أدت الزيادة المفرطة في عدد السكان الى مضاعفة استهلاك الانسان للماء العذب ، مما أدى إلى بروز أزمة حقيقية في الموارد المائية .

على صعيد آخر هناك توزع للمناخات على سطح الكرة الأرضية تابع لما يسمى بالتوازن المائي . والتوازن المائي هو العلاقة بين ما يدخل منطقة ما من مياه في شكل تساقط وبين الفاقد من هذه المياه بفعل التبخر والنتح من النبات ، اضافة الى التغيرات التي تطرأ على المياه المختزنة (رطوبة التربة . المياه الجوفية ، البحيرات ، المجاري المائية)

فالمناطق الجافة يتمثل بها نقص واضح في مجموع ما يدخل المنطقة من المياه على مدار السنة ككل . وحجم هذا النقص هو الذي يحدد درجة الجفاف لذا فهناك مناخات رطبة ومناخات شبه رطبة ومناخات شبه جافة ومناخات جافة وأخيراً مناخات متطرفه لجفاف

الماء

قضية خطيرة يواجهها كل العرب

وتعتبر المياه أنفس الموارد الطبيعية في المناطق الجافة ، حيث تتحكم في وجود وتوزيع وكثافة كل من النبات والحيوان والانسان . ولكي يمكن استغلال المناطق الجافة لإقامة مراكز عمرانية ينبغي توفير المياه بكميات يعتمد عليها ، وتكون ذات خصائص نوعية تسمح بقيام نشاط اقتصادي مختار . وهناك في المناطق الجافة موردان مائيان رئيسيان للمياه الجوفية (السطحية ، والباطنية) والتي تعتبر مصدراً متناقصاً في بعض المناطق الجافة ، ثم هنالك الانهار الدائمة التي تستمد مياهها ذات الكميات الكافية من مناطق مطيرة أو من جزر رطوبة مجاورة . أما المناطق الجافة والمتطرفة الجفاف فليس لديها سوى المياه الجوفية السطحية والباطنية وقد فتح تقطير مياه البحر وإزالة ملوحتها باباً كبيراً ليصبح المورد الرئيسي للمياه في المناطق الجافة والمتطرفة الجفاف .

إن علم المياه لا يزال يعتبر علماً ناقصاً لأنه يعمل على استنباط نتائج صحيحة من معطيات ناقصة ، لكن هذا العلم علم خطير وله ابعاده الحياتية والسياسية .

لقد أقر مؤتمر التقنية المائية الدولي الذي عقد في نيروبي بكينيا في نيسان ابريل ١٩٨٤ بأن نحواً من ألفي مليون رجل وامرأة وطفل ، أي حوالي نصف سكان العالم ، لا يزالون محرومون من أي وسيلة تصلهم بمدادات المياه .

ولسنا مبالغين اذا قلنا بأننا نعيش عقد الماء بل عقد ندرة الماء على الأصح منها وأن مصادر عليمة تقول بأن هناك ١١٦ مليون عربي محرومون من المياه فما هو الموقف المائي العربي ؟

الماء والصراع العربي الاسرائيلي

باستثناء مساحات صغيرة ، يعتبر وطننا العربي من أوضح الأمثلة على المناطق الجافة وشبه الجافة . وتتوفر في الوطن العربي ثلاثة مصادر رئيسية للماء العذب وهي الأنهار والأمطار والماء الأرضي . إلا أن أهمية كل منها تختلف كثيراً من قطر لآخر ، ففي مصر يكاد نهر النيل أن يكون المصدر الوحيد للماء ، وفي العراق وسوريا نجد دجلة والفرات يوفران الجزء الأكبر من الاحتياجات المائية ، بينما توفر الأمطار الجزء الباقي ، وفي اليمن والجزائر والمغرب نجد الأمطار هي المورد الاساسي للمياه ، أما في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية (السعودية ، الكويت ، الإمارات العربية المتحدة ، عمان ، البحرين ، قطر) فبجانب الأمطار يساهم الماء الأرضي بقدر . أما المورد الرئيسي فهو يأتي من تحلية مياه البحر .

إن السمة الغالبة للأسلوب الذي يتبع في استخدام الموارد المائية في الوطن العربي هو الهدر ، وعلى الرغم من أن الماء كما أشرنا ثروة قومية بالغة القيمة في عصر الندرة الذي أشرنا اليه فان هدراً حقيقياً يجري للمياه العربية نتيجة سوء الاستخدام وتخلف تقنية ، ومما زاد الطين بلة هو دخول الماء كعنصر اساسي في الصراع العربي الاسرائيلي

لقد أصبح كيد لحقيقة من قال بأن الماء يصنع الحقائق الكبرى في الشرق ، ويعتبر الماء نقطة الارتكاز الأساسية في الميثولوجيا أو الأساطير اليهودية ... و الأيديولوجيا اليهودية كلها .

جاء في سفر التكوين [illegible]

« في ذلك اليوم قطع الرب مع ابراهيم ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر (النيل) الى النهر الكبير (الفرات) » .

[illegible]

[illegible] استعادة [illegible] لا من [illegible] [illegible] على الجغرافي »

وفي عام ١٩٥٠ وضع [illegible] بن جوريون [illegible] يكن جلاء [illegible] العرب معركة المياه ، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير الكيان اليهودي في فلسطين

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه المشكلة المائية في اسرائيل وانعكاسها على الصراع العربي الاسرائيلي

« ابحث في المشكلة المائية في فلسطين قديم قدم نشوء الحركة الصهيونية نفسها فمنذ أن بدأ حلم استعادة أرض صهيون يراود مخيلة قادتها حوالي منتصف القرن الماضي . أدرك هؤلاء القادة أن تحقيق أهدافهم في دفع ملايين اليهود للهجرة إلى فلسطين . لا يتم إلا بالتوسع في السيطرة على أرضها ، وأن التوسع في استغلال الأرض لن يتم إلا بتأمين كميات كافية من المياه لارواتها وبالهيمنة الكاملة على مصادرها » .

« ومنذ عام ١٨٧٣ تجلى التعاون الكامل بين الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية الناشئة وقتذاك ، حين أوفدت الجمعية العلمية البريطانية بعثة من الخبراء والمهندسين إلى فلسطين ، لتقصي ما فيها من موارد طبيعية ومنها المياه

وقد كان في التقرير الذي نشرته هذه البعثة عام ١٨٧٥ ، أول اشارة إلى الدعوة اليهودية القائلة : « بامكان اتساع فلسطين والنقب لاسكان الملايين من البشر ، وبأن من الممكن ري صحراء الجنوب إذا أمكن نقل بعض كميات المياه الموفورة في شمالي فلسطين إلى جنوبها تحقيقاً لهذا الغرض » .

وكان النائب اللبناني الراحل موريس الجميل قد أشار في محاضرة له عام ١٩٦٤ إلى رهان اسرائيل على المياه اللبنانية فقال :

« انصرف اهتمام مؤسسي اسرائيل إلى الناحية المائية ، وحسبوا لها ألف حساب ولأنهم أدركوا قبل الحكام العرب ، أن حياة الدولة التي يصممونها منوطة الى حد بعيد بالمياه ، وأن المياه بالنسبة اليها قضية حياة أو موت ، فكان من الطبيعي أن تتجه الأنظار إلى منطقة غنية بالمياه وتسد هذا العجز فكانت تلك المنطقة هي لبنان الجنوبي » .

إن الحلم الاسرائيلي في السيطرة على المياه العربية ، لم يكن مجرد حلم جاء من فراغ ، بل كان في الحقيقة منطلقاً استراتيجياً في اقامة دولة اسرائيل ومعبراً استراتيجياً في استمرارها .

فمنذ وقت تأسيسها واسرائيل تخطط للسيطرة على الماء العربي . في البداية جاءت الرسالة مهذبة وذلك على لسان المبعوث الأمريكي إلى المنطقة الذي صرح عام ١٩٥٤ قائلاً :

« لقد وضعنا برنامجاً شاملاً متكاملاً لتطوير حوض الأردن ، سوف يعتبر على الأقل بداية لحل عملي بناء وطويل الأجل لمشكلة اللاجئين » .

ثم بدأت التحركات الاسرائيلية ، وخلال عشر سنوات ١٩٥٧ — ١٩٦٧ لم يكن بيد العرب أن يفعلوا أكثر من اتخاذ قرار بتحويل روافد نهر الاردن ، وذلك لمنع اسرائيل من تحويل النهر الى النقب ، ولم تكن لديهم القوة لتنفيذ هذا القرار ، اذ منعتهم اسرائيل على الأرض من تنفيذ قرارهم هذا الصادر عن القمة العربية الاولى عام ١٩٦٤ بل انهت هذا الأمر بصورة دراماتيكية حين شنت عام ١٩٦٧ الحرب على مصر وسوريا والأردن واحتلت الضفة الغربية والجولان وسيناء وأنهت الأمر بتحويل نهر الأردن الأعلى الى النقب وتم نقل ما يزيد عن ٥٠٠ مليون متر مكعب من المياه تمتد من الحدود الشمالية ببحيرة طبريا وصولاً إلى النقب .

ولم يجانب بعض الباحثين الصواب حين

الدكتور محمد الرميحي
الماء نعم لنا من أي شيء آخر

● المـــــاء يصنـــــع الحقـــائـــق الكـــبرى في الشـــرق

● نصف ســـكان العـــالم محـــرومون من الوســـائـل الصحيحـــة لإمـداد بـــالمـيـــاه

● كـيـف تقـــوم دول مجـــلس التـعـاون بدورهـــا الفعـــال في حل مشـــكلة لمـيـــاه؟

● مطـــلـوب عقـــد نـــدوة عن الرؤيـــة الحقـيـقـيـــة لحـــاضـــر ومســـتقبـــل المـــوارد المـــائيـــة في دول مجـــلس التـعـاون

أطلقوا على حروب اسرائيل ضد العرب اسم « حروب الماء » فأهمية الماء بالنسبة لاسرائيل كما أشرنا تنبع من الأهمية التي توليها للزراعة كضمان استراتيجي لبقائها وربط المهاجرين اليهود بها . وكان من الطبيعي بعد أن استنزفت اسرائيل كل المياه في فلسطين أن تتطلع لمصادر أخرى : مياه جديدة . وقد أخذ هذا التطلع شكل جر المياه من الدول العربية المجاورة بدون رضاها

بدأت اسرائيل اذن بنهر الأردن وهي تتطلع إلى الليطاني . يقول حاييم وايزمان في مذكرة لوزير الخارجية البريطاني عام ١٩٣٠ : « انني متأكد أن سيدتكم تدركون أهمية الليطاني الكبرى لفلسطين فهو تُمت بها جميع مياه الاردن واليرموك فلن تو بحاجاتها ان الليطاني هو المصدر الذي يمكنه يؤمن المياه لري اجليل الأعلى ولتوليد الطاقة الكهربائية لاحياء الصناعة » .

وواقع الأمر جاء ليثبت ذلك : فقد غزت اسرائيل لبنان عام ١٩٧٨ بعملية اسمتها « الليطاني » ثم غزا الكيان الصهيوني لبنان عام ١٩٨٢ واحتل الجنوب اللبناني . وأصبح الليطاني تحت السيطرة الاسرائيلية ، وفي أواخر العام الماضي بدأت اسرائيل تطلق بالونات اختبار للتأكد من مدى مناسبة الجو العام لتنفيذ مخططاتها الفعلية في سرقة المياه اللبنانية فكتبت صحيفة هارتس الاسرائيلية تقول : إن الادارة العامة لمصلحة المياه في اسرائيل قررت أن تستخدم قريباً خط أنابيب النفط العائد لشركة التابلاين الذي يبدأ من حقول النفط في رأس تنوره في السعودية ويمر عبر الأراضي الأردنية والسورية مخترقاً هضبة الجولان السورية ثم عبر الأراضي اللبنانية حيث ينتهي في منطقة ازهراني لتحويل مياه نهر الحاصباني التي تمر مياهه فوق خط أنابيب التابلاين في لبنان إلى اسرائيل

وذكرت هارتس أن مهندس شركة /طحال/ التي كلفت بانشاء جميع شبكات المياه في اسرائيل ، أعدت مشروعاً لاستخدام جزء من خط أنابيب نفط التابلاين لضخ المياه من مصادر نهر الحاصباني . وتحويلها إلى اسرائيل . إن ما جرى قد جرى . ولكن وراء الأكمة ما وراءها فالكيان الصهيوني متعطش للمياه وتشير المصادر العلمية بأن القسم الأعظم من مصادر المياه المتاحة للعدو الصهيوني قد تم استغلاله . اذن لابد من التطلع مجدداً نحو الخارج . إن هذا التطلع الصهيوني نحو المياه العربية هو تطلع ناشيء من التركيبة البنيوية لدولة اسرائيل .

فالكيان الصهيوني ، كيان قائم على التوسع ، وعليه حتى يعيش أن يشن حرباً كل فترة من الزمن على جيرانه ليقضم قسماً من أراضيهم تكون منفذاً لمشاريعه الاستيطانية وجلب المزيد من يهود العالم ، وهو مضطر لذلك وليس لديه خيار آخر ! اذن ما زال في الجعبة الاسرائيلية الكثير ما دام

[illegible]

المياه العربية (إشارة خاصة لدول مجلس التعاون)

لأبي أحب بحبيبتي أمطر
وأمشي ، وامشي كلما اسهر
لأن من عيبك تولد النجوم
وبحقي في رمشه القمر
أحب يا وردية الغيوم
أن يورق السماء في عيونك
معاولا ، مطارق ، مدية الثمر

الماء في الحياة العربية بعد آخر ، والماء في التراث الفلسفي العربي أقرب الى الرومانسية منه إلى الفكر . الخضرة ، والماء ، والوجه الحسن والماء مناسبة للتبتل كما أنه مناسبة لارواء الأرض العطشى ، والدين الاسلامي الحنيف يدعو لصلاة الاستسقاء حين ينحبس المطر .

الوجه الآخر للماء في الحياة العربية يعني الاستقرار ، والماء والمكان الخصبة والتقاء الماء فضيه محوريه ويجب أن يحدد الأولوية حتى يستحقها خاصة في قصر المدد المائية من الأقصر العربية ونقصد منها على وجه الخصوص دول مجلس التعاون العربية وهي : المملكة العربية السعودية ، دولة الكويت ، دولة قطر ، دولة الامارات العربية المتحدة . سلطنة عمان ، ودولة البحرين . يتميز حوض الخليج العربي بالمتناقضات من حيث مصادر المياه العذبة في سهول دجلة والفرات تتوفر المياه العذبة وتتحول إلى أنهار وبحيرات ومستنقعات . أما منطقة ممتدة من رأس شبه جزيرة مسندم حتى سهول العراق شمالاً فانها تعاني قلة من المياه العذبة

وهناك أجزاء من الخليج العربي وسط بين الوفرة في دلتا دجلة والفرات والقلة في الساحل العربي من رأس مسندم حتى سهول العراق شمالاً

وتشمل مصادر المياه العذبة في حوض الخليج العربي ما يلي

١ ــ المياه الجارية (الانهار والأودية)
٢ ــ المياه الجوفية السطحية . الحفرية
٣ ــ تحلية مياه البحر
٤ ــ تنقية مياه مجاري

وسنستعرض فيما يلي الوضع المائي في كل دولة على حدة من دول مجلس التعاون

المملكة العربية السعودية

إن أمطار المملكة العربية السعودية بوجه عام قليلة وغير كثيفة ، وتهطل على فترات متقطعة وبمعدلات غير مستقرة من عام لآخر . وقد تكون الأمطار الشتوية أكثر انتظاماً في توزيعها عن التي تهطل في فصل الربيع

ويبلغ متوسط الأمطار نحو ٧٥ مم في الشمال الغربي ، ويزداد كلما اتجهنا جنوباً الى أن يبلغ في وسط البلاد نحو ١٠٠مم ، ويقل متوسطها كلما اتجهنا نحو الربع الخالي حيث تنعدم كلياً ويزداد معدل الرطوبة النسبية كلما اتجهنا شرقاً صوب الخليج العربي ، وتزداد درجة الحرارة من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي . أما التبخر فيتراوح بين ثلاثة آلاف و خمسة آلاف مم ، تغطي الصخور الرسوبية ثلثي مساحة المملكة أي ما يعادل ١,٥ مليون كيلومتر مربع ، ويبلغ معدل سمكها نحو ٥٥٠٠متر . وتحوي بين طياتها طبقات حاملة للمياه ، هذه الصخور الرسوبية

الماء

قضية خطيرة يواجهها كل العرب

تحتوي على ٢٨ تكويناً ، عشرون منها تحمل مياها جوفية وتسع من هذه العشرين تختزن مياها جوفية صالحة للاستعمال ونتيجة للسحب الشديد ، وعدم حفر الآبار بطرق هندسية سليمة وصحيحة أدى ذلك إلى انخفاض منسوب مياه بعض الطبقات وتسرب المياه منها . بالاضافة إلى أن تغذية هذه الخزانات الجوفية أقل بكثير مما يتم استخراجه منها

وازاء هذه الظروف الطبيعية والبيئية والجيولوجية للمياه الجوفية في المملكة ومواكبة للمد العمراني والنماء المضطرد في عدد السكان والتوسع في حقل الصناعة و لزراعة تلبية للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، كان لابد من التوجه إلى إقامة محطات لتحلية مياه البحر

بلغ عدد مصانع تحلية المياه العاملة في المملكة حتى نهاية عام ١٩٨٣ ثلاثة عشر مصنعاً أو مجمعاً وهي الخبر (١) والجبيل (١ ، ٢) والخفجي (١) ومجمع جدة ومجمع المدينة ينبع ومصنع حقل ، والوجه وأملج ورابغ عرسان والوجه .

وقد بلغ انتاج الماء فيها جميعاً عام ١٩٨٣ نحو ٢١٠ مليون متر مكعب .

وتخطط المملكة لتزداد عدد مصانع التحلية في المستقبل وتزداد طاقتها الانتاجية لتصبح عام (١٩٩٠) ٤٦٧,٥ مليون متر مكعب أما عام (٢٠٠٠) فيقدر انتاج مصانع التحلية بنحو (٨٣١) مليون متر مكعب سنوياً .

لقد أنفقت المملكة ٤٠٠ مليون دولار في عقد السبعينات على مشاريعها المائية كما خصصت للنصف الأول من عقد الثمانينات ما يقارب ١,٥ مليار دولار لمنشآت تحلية المياه وحدها .

وقد أوضح جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز عند افتتاحه لمشروع تبريد المصانع بمياه البحر في مايو ١٩٨٤ أن امكانية المملكة من انتاج تحلية المياه بلغت ٥٠٠ مليون جالون ، وأنه لأول مرة في تاريخ الأمم تنتج كمية مثل هذه لشرب المواطنين والزراعة ، وفي الخطة الثالثة صممت محطات التحلية لمد المدن التي يفوق عدد سكانها عن ٥٠٠٠ نسمة بنحو ١٦٤٠ ألف متر مكعب يومياً من مياه الشرب ، وتشرف على ٩٠ بالمائة منها المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة

الكويت

كانت مياه الأمطار والمياه الجوفية السطحية وما ينقل من شط العرب في سفن شراعية (البوم) هي المصادر الأساسية للمياه العذبة في الكويت ، إلى أن قامت شركة الزيت في الأحمدي عام ١٩٥٠ بانشاء محطة لتقطير مياه البحر طاقتها ٦٠٠ ألف جالون يومياً وفي عام ١٩٥٣ أنشأت الدولة محطة لتحلية مياه البحر في الشويخ طاقتها مليون جالون يومي أما الآن فتضم (١) محطة الشويخ سبع وحدات تقطير مجموع طاقاتها الانتاجية الاسمية (١٤) مليون جالون (٢) محطة الشعيبة الشمالية . بدأ العمل عام ١٩٦٩ بثلاث وحدات تقطير ، الطاقة الانتاجية لكل منها مليون جالون يومياً ، وتضم الآن سبع وحدات تقطير طاقتها الانتاجية (١٤) مليون جالون يومياً . (٣) محطة الشعيبة الجنوبية : وتم تشغيل أولى وحداتها في نهاية عام ١٩٧١ بطاقة انتاجية خمسة ملايين جالون يومياً ، وهي الآن تضم ست وحدات تقطير كبيرة مجموع طاقتها الانتاجية (٣٠) مليون جالون يومياً . (٤) محطات الدوحة الشرقية : وتتكون من سبع وحدات تقطير طاقتها الانتاجية (٤٢) مليون جالون يومياً .

واهتمت الدولة بالمسح الجيولوجي بحثاً عن موارد المياه الجوفية ، وقد اكتشف أول بئر في حقل البروقستين عام ١٩٦٠ ويبعد هذا الحقل ٨٨ كم شمال مدينة الكويت وتبلغ مساحته ٥٠ كم أما حقل الرميثي فقد تم اكتشافه عام ١٩٦٣ ويبدأ انتاجه الفعلي عام ١٩٦٥ وقد حفر به ٦٢ بئراً منها ٢٦ بئر منتجة

هذا وقد اكتشفت حقول المياه القليلة الملوحة التي تصلح للزراعة والأغراض المنزلية لكنها لا تصلح للشرب عام ١٩٥١ وقد عثر على هذه المياه في منطقة لصيبية وحقل القشعانية وحقل الشقايا

ومن استعراض جدول استهلاك المياه العذبة خلال الفترة من ١٩٥٧ ــ ١٩٨٣ نلاحظ أن معدل استهلاك الفرد الواحد من الماء العذب ارتفع من (٥٦٢ ٤) جالون في السنة عام ١٩٥٧ حتى بلغ (٥٥١ ١٨) جالوناً عام ١٩٨٢ ، أي أنه ارتفع خلال عقدين إلى ما يزيد عن ثلاثة أضعاف ، وذلك بالرغم من ارتفاع عدد سكان الكويت إلى حوالي خمسة أضعاف ما كان عليه عام ١٩٦٢ .

أي أن معدل استهلاك الفرد من الماء في الكويت يزيد عن (٩٠) جالوناً في اليوم ثلثها تقريباً من الماء العذب والثلث الباقي من المياه القليلة الملوحة

دولة الامارات العربية المتحدة

تختلف دولة الامارات العربية المتحدة من حيث مصادر المياه العذبة فيها عن دول الخليج العربي ، اذ يخترق أرضها كثير من الأودية التي تنبع من مرتفعات عمان وهي أبرز ظاهرة تضاريسية في دولة الامارات ، وقد بلغ عدد الآبار وحقول المياه حتى نهاية عام (١٩٨٣) ٣٣ حقلا و ٤٩٩ بئراً انتجت حوالي ١٢ ملياراً أو ٦٨٧ مليون جالون من المياه . كما تقدر عدد الافلاج والينابيع في دولة الامارات بحوالي ١٥٠ فلجاً يعمل منها حالياً ٤٧ فلجاً بشكل دائم ، وتعتبر أفلاج العين وأبراوودي من أهم أطول الأفلاج الموجودة في الدولة وأكثرها عمقاً .

تتمون دولة الامارات العربية المتحدة من مصدرين أساسين مياه الشرب وهما المياه الجوفية التي تكون غالباً عذبة صالحة للشرب وتستغل مباشرة ، أو تكون مالحة نسبياً ، ويتم معالجتها كيميائياً . أما المصدر الآخر فهو مياه البحر . والأمطار قليلة ومتوسط سقوطها لا يتعدى ٨٠ مم سنوياً وتسقط بين شهري نوفمبر وأبريل ، وأن كان أكثر من نصفها يسقط خلال شهري ديسمبر ويناير

هذا وقد ارتفعت الطاقة الانتاجية اليومية لمحطات التحلية العاملة في دولة الامارات العربية المتحدة لتبلغ معدلات عالية جداً ، وذلك لتغطية النمو السكاني الكبير وما رافقه من نهضة عمرانية وزراعية وصناعية .

ومع تزايد الطلب على المياه العذبة لمختلف أغراض التنمية فان المخزون المائي لجوفي يعاني من تراجعات خطيرة وذلك نتيجة :

ــ استمرار انخفاض منسوب المياه الجوفية نتيجة الضخ الجائر وعدم شمولية القوانين التي تنظم حفر الآبار وطرق عملها .

ــ ارتفاع نسبة الأملاح في المياه الجوفية نتيجة تداخل مياه البحر خصوصاً الآبار القريبة من الشواطئ

ــ كذلك يلاحظ إرتفاع نسبة الفاقد الظاهري ، الفرق بين الكميات المنتجة والكميات المستهلكة) والذي يتمثل في المجالات التالية

ــ كميات مستهلكة غير مقاسة لعديد من الاسباب

ــ كميات مفقودة نتيجة لتسرب المياه لتلف في شبكات التوزيع أو إهمال في الصيانة أو لا مبالاة هدرية

دولة البحرين

ان معدل سقوط الامطار في البحرين منخفض كما هو الحال في بقية منطقة الخليج العربي ويصل متوسط الامطار سنوياً الى حوالي ٧٥ مم . ويلاحظ انتظام سقوط الامطار في ديسمبر ويناير وفبراير .

وموارد المياه في البحرين تكاد تكون مقصورة بالكامل على المياه الجوفية من مختلف النوعيات والتي تحتل ثلاث طبقات صخرية مائية ، وترتبط هذه المياه بشبكة جوفية كبيرة تأتي أصلا من مناطق في أراضي المملكة العربية السعودية . وعندما كان متوسط سقوط الامطار عالياً حافظ معدل تراكم المياه في منطقة تخرين المياه على مستوى أكبر للاحتفاظ بالمياه الجوفية عما هو عليه الحال في العصور الحديثة . ونتيجة لذلك فقد استمر استنزاف مخزون المياه الجوفية لعدة سنوات نظراً لأن إجمالي

التصريف الطبيعي من الطبقات الصخرية يتجاوز معدل تراكم المياه متوفر حالياً وفق للظروف المناخية كما يرتفع معدل استنزاف المياه الجوفية المحزونة نتيجة للاستخراج المستمر مياه الآبار

تنشأ موارد البحرين المائية المستمدة أساساً من المياه الجوفية من تخزين في الطبقات الصخرية الحاملة لها . وقد أثبتت الدراسات أن كمية المياه الجوفية المستخرجة طبيعياً وصناعياً تتجاوز كميات المياه المتراكمة المتاحة ، وأن معدل التراكم غير كاف للسماح بأي تطوير للمياه الجوفية بل والأكثر من هذا فإن كميات المياه المتاحة للتطوير سوف تعتمد على معدل الاستنفاذ المستمر للمخزون وهذا يعتمد على معدل احلال المياه المالحة محل المياه العذبة المستنفذة

وتختلف نوعية المياه الجوفية في البحرين اختلافاً كبيراً وتصبح هذه المياه أكثر ملوحة في الاتجاه الجنوبي الشرقي .

وتتركز العيون في البحرين في الاجزاء الشمالية والشمالية الشرقية وقد كان مجموع تصريف المياه في البحرين سواء من العيون أو الآبار ١٨٢ مليون متر مكعب عام ١٩٧٦ ولكنه انخفض الى ١٤٨ مليون متر مكعب عام ١٩٧٩ .

ولقد أدى الارتفاع المستمر في مستوى معيشة سكان البحرين والتوسع في العمران والنشاط الصناعي إلى زيادة الطلب على المياه العذبة ، كما أن التدهور المستمر في موارد المياه الجوفية في جزيرة سترة ، دفع دولة البحرين إلى انشاء محطة لتحلية المياه في جزيرة سترة ، وقد كان انتاجها ٥ مليون متر مكعب يومياً

وفي العام الحالي عند استكمال وحدات التقطير سيرتفع انتاجها الى ٢٥ مليون متر مكعب ، وهذا إلى جانب المشروع القائم حالياً في سترة وادي يخلط المياه الجوفية بمياه البحر المقطرة

دولة قطـــر

خلال الفترة الممتدة بين اقامة أول محطة لتقطير مياه البحر عام ١٩٥٤ واستكمال جميع مرافق وتجهيزات محطة رأس أبو فنطاس تم انجاز العديد من مشاريع التحلية في قطر ، أبرزها اقامة المحطة المركزية في رأس أبو عبود عام ١٩٦٣ بطاقة انتاجية قدرها ١,٥ مليون جالون يومياً . أما محطة رأس أبو فنطاس فقد افتتحت عام ١٩٧٧ وشهدت أيضاً تطويرات مستمرة إلى أن بلغت طاقتها الانتاجية عام ١٩٨٣ (٣٢) مليون جالون مما يرفع الطاقة الانتاجية اليومية لمحطات التحلية العاملة في قطر إلى ٤٠ مليون جالون يومياً .. وقد عززت هذه الكمية عام ١٩٨٣ بما يزيد على ١١٧٢ مليون جالون من المياه المستخرجة من الآبار الجوفية في مختلف أنحاء قطر ويبلغ معدل سقوط الأمطار في شبه جزيرة قطر ٨٠ ملليمترا ويتجمع بعضها في روضات يبلغ عددها (٨٥٠) منخفضا مستديرة الشكل .

أما المنخفضات في شمال قطر فتمتلئ بالرواسب الطينية الى عمق ١١ متر في الجنوب وهذه المنخفضات تأخذ أشكال فوهات البراكين وتلعب دوراً في تغذية المخزون من المياه الجوفية وبذلك تعوض جزءاً من الاستهلاك الاسبوعي لهذه المياه

ـ المياه الجوفية الحفرية .

وهناك حوضان جوفيان في دولة قطر .

ـ الحوض الجوفي الشمالي ويشمل حوالي ٢٠٪ من المساحة الكلية ويقدر المخزون الجوفي في هذا الحوض بحوالي ٢٥٠٠ مليون متر مكعب .

ـ الحوض الجوفي الجنوبي ويمثل هذا الحوض أكثر من نصف مساحة شبه جزيرة قطر ويحتوي على مياه نسبة الملوحة فيها عالية .

ـ تحلية مياه البحر والتي تبلغ طاقتها الانتاجية القصوى ٤٨ مليون جالون يومياً

ـ مياه المجاري المعالجة:يبلغ التصريف اليومي لمحطة المجاري في منطقة النعيجة حوالي ٢٠,٠٠٠ متر مكعب يومياً أي ٤,٤٠ مليون جالون يومياً تستخدم في ري أشجار الظل وحدائق الدوحة .

وقد أدخل عليها تطوير جديد مؤخراً ضاعف من قدرتها على التصريف اليومي

سلطنة عمان

تعتمد سلطنة عمان على المياه الجارية في أوديتها التي [illegible] من مرتفعات عمان وكذلك [illegible] ، بالإضافة إلى [illegible] والمياه الجوفية الحفرية

وهناك العديد من الأودية التي تصب في خليج عمان وتقع في نطاق السلطنة وهذه الأودية تجري في سهل الباطنة وعن طريق المياه الجوفية السطحية التي تتسرب في بطون هذه الأودية من الامطار ويعتمد النشاط الزراعي للسكان على طول سهل الباطنة من شناص شمالاً حتى مسقط جنوباً ، حيث تقترب مرتفعات عمان من مياه خليج عمان معلنة انتهاء سهل الباطنة في الجنوب . وهنا يقوم الانتاج الزراعي على مياه الآبار ونعم هذه الاودية .

وادي جزي وتشارك فيه دولة الامارات (مدينة العين) ، وادي الحواسنة ، وادي الفرعة ، وادي سمايل . وادي الغيج

ويعتمد سهل الباطنة سواء المدن أو القرى أو الانتاج الزراعي على الآبار بينما يعتمد داخل عمان على الافلاج

ويقدر انتاج المياه الجوفية في سلطنة عمان أوائل الثمانينات بـ ٤٣٠ مليون متر مكعب سنوياً .

ولمواجهة الضغط السكاني ومواكبته لخطط التنمية كان لابد من التوجه للبحر فأقيمت أول محطة لتحلية المياه في مسقط بطاقة انتاجية قدرها ٤ مليون جالون يومياً .

الندوة الأولى لمستقبل الموارد المائيـــة

وتجدر هنا الاشارة إلى الندوة التي عقدت في جامعة الكويت بدعوة من مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية في مارس ١٩٨١ تحت عنوان . الندوة الأولى لمستقبل الموارد المائية بمنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية .

خـاتمة

يقول الدكتور محمد الرميحي :

« استراتيجياً ـ أكاد أقول ـ إن الماء أهم لنا من أي شيء آخر ، ومع ذلك فما زال في أدنى قائمة أولوياتنا القومية ... ولا نذكره في خططنا الاقتصادية الا لماماً »

الماء إذن قضية محورية ، بل قضية القضايا ، والعالم مهدد بنقص المياه ، فما بالنا نحن العرب على وجه العموم ، وما بال دول مجلس التعاون على وجه الخصوص ؟

دون أي شك هناك جهود ضخمة تبذلها دول مجلس التعاون بهدف توفير ما يكفي من المياه الصالحة للشرب والاستخدامات الأخرى كري المزروعات وغير ذلك .

أخيراً فاننا نرى أن تقوم اللجنة صاحبة العلاقة في الأمانة العامة لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بالتعاون مع الجهات المختصة بالتحضير لعقد ندوة علمية متخصصة تحت عنوان : حاضر ومستقبل الموارد المائية في دول مجلس التعاون ـ رؤية استراتيجية . وذلك كمتابعة للاهتمام الذي توليه دول المجلس على هذا الصعيد

بسام طالب

المراجع

(١) مشاكل الماء الدولية . المهندس وجيه السمان الطبعة الكويت ١٩٨٤

(٢) كتاب التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي الدكتور محمد السيد عبدالسلام ـ عالم المعرفة

(٣) كتاب بيئة الصحاري القاحلة ، س جودي و ج ولكنسون ترجمة الدكتور علي البنا

(٤) الأراضي الجافة . كنيث والتون ، ترجمة الدكتور هي عبدالوهاب شاهين

(٥) العربي العدد ٣١٨ ـ مايو ١٩٨٥ المياه العربية وصراع الوجود استطلاع سليمان الشيخ

(٦) الدكتور محمد الرميحي المياه العربية وحديث عن الخطر المستتر ـ مجلة العربي

(٧) كتاب جغرافية الخليج د . محمود متولي ، د . محمود أبو العلا ـ مكتبة الفلاح

(٨) الندوة الأولى لمستقبل الموارد المائية بمنطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

خواطر تسرّ الخاطر

بقلم: زكريا تامر

غاية للمنمور وغاية للأديب

كان النمر قاعداً مع ابنه الصغير تحت أغصان شجرة الغابة الفسيحة الأرجاء قدنا منه الحمار، وقد مستائلاً بخوف «تأذن لي بالتكلم معك؟». فقال النمر وهو يتثاءب: «تكلم. فالقوانين تكفل لكل مواطن حرية الكلام». قال الحمار: «أنا تجولت في الغابة، ولم أترك مكاناً فيها لم أزره، وقابلت كل من يعيش فيها».

فقاطعه النمر قائلاً بمزاح: «أتريد أن تخبرني أنك حمار سائح؟». قال الحمار وقد تعاظم خوفه: «كل ما أبغيه هو أن تلقي إليّ رأيك فيك». قال النمر بسخرية: «هيا تكرم بإسماعي رأيك في، وسأصاب بالزكام حتماً اذا لم أسمعه».

قال الحمار: «ما سأقوله لك ليس نفاقاً ولا مجاملة ولا رياء بل هو الحقيقة وحدها، ولا أبغي من قولها لا مكسباً ولا مغنم».

قال النمر بسأم: «قل ما تريد بأيجاز ولا تتحدث كالأدباء العرب حين يستخدمون مليون كلمة ليقولوا فقط إن السماء زرقاء».

قال الحمار: «ما أعمي قوله هو أنك لاقوى والأنبل والأشجع. ولا أحد في الغابة يصارعك أو

تعجب ابن النمر، وقال لأبيه: «لم يقل الحمار سوى الكلام الحسن. ولم يفعل ما يستحق أن ينتهي من أجله مثل هذه النهاية السيئة».

فقال النمر حانقاً موبخاً: «لو لم تكن صغير السن، صغير العقل، لأدركت أن اعجاب حمار بنمر هو العار الذي لا يمحوه سوى الدم».

وصمت النمر لحظات مفكراً، ثم قال لابنه بوقار: «فتعلم يا بني أن النمر الجدير بالاعجاب حقاً هو ذاك الذي يعجب به النمور مثله لا الحمير».

فقال الابن متسائلاً بدهشة: «ولماذا لا يفعل الأدباء مثلما فعلت بالحمار حين يمتدحهم نقاد تافهون جهلة؟».

فصمت النمر وأجاب قائلاً: «لأن غاية النمور تختلف عن غايات الأدباء. في عالم الأدباء يحظى بالترحيب والتقدير كل مديح حتى ولو جاء من جرو ما النقد الحر المخلص فيعامل صاحبه

يوصفه عدواً يسعى له أن يصرع ويدفن في أسرع وقت.

رجل نسي أنه كان طفلاً

كان أحد الأطفال شديد الشبه بعصفور دوري صغير مرح طائش. وقد نظر يوماً إلى السماء فرأى غيمة تعبر الفضاء الأزرق كأنها طير ضخم له العديد من الأجنحة، فحدق اليها باعجاب، ثم قال لها بصوت متوسل: «احك لي حكاية. فأنت دائمة الرحيل من بلد إلى بلد، ولابد من أنك تعرفين الكثير من الحكايات».

فقالت الغيمة للطفل بلهجة موبخة: «ما هذا الطلب الذي لا يطلبه سوى أبله؟ عمل الغيمة هو أن تمطر لا أن تسلي الصغار وتروي لهم الحكايات اذا لم أمطر جعت، فأي هو الأفضل لك: أن تشبع خبزاً وفاكهة وخضراوات أو أن تسمع حكاية؟».

فحزن الطفل لأن الغيمة رفضت تلبية رجائه، وعاقبت السنون، وكبر الطفل، وأصبح رجلاً، وصار مشهوراً بثرائه.

وفي يوم من الأيام، نظر الرجل مصادفة إلى السماء، فأبصر غيمة. قالت الغيمة للرجل الذي كان طفلاً: «أنا أعرف أروع حكاية في العالم، فهل ترغب في سماعها؟».

فتجهم وجه الرجل الذي كان فيما مضى من سنين طفلاً، وقال للغيمة بغضب: «وظيفتك فقط هي أن تمطري وتروي محاصيلك ما ملكت من الأراضي حتى تزداد ثروتي حين يأتي موسم الحصاد».

وغتاظت الغيمة، وصممت على ألا تمطر، ولكنها عندما امتلأت بالماء وجدت نفسها مرغمة على أن تمطر، فأمطرت مطراً غزيراً، وكانت سبباً في ازدياد ثروات الذين لا يحبون الانصات لحكايات الغيوم، ونسوا أنهم كانوا يوماً أطفالاً.

ليس لها إلا مهنة واحدة

جاءت عقارب صغيرة إلى جدها العجوز . وقلن له : « لدينا مشكلة عويصة . ونحتاج إلى نصحك » .

قال الجد : « وما هي تلك المشكلة ؟ » .

قالت العقارب الصغيرة : « في كل يوم نسمع الأطفال يحكون عن المهن التي يحلمون بأن يعملوا فيها حين يصبحون كبارا ، ومشكلتنا هي أننا لا ندري أية مهنة نختار حين نكبر » .

فقال الجد : « لا تحيرن لأية حيرة ، فالعقارب كلها سواء أكانت صغيرة أم كبيرة ليست لها سوى مهنة واحدة فقط . وهي أن تلسع وتميت بسمومها » .

وفيما بعد ، لما كبرت العقارب الصغيرة ، عمل بعضها في المجال الفكري والأدبي ، وعمل بعضها الآخر في المجال الاعلامي ، فبرهنت أفعالها على صدق كلام الجد العجوز ، وكانت ضحاياها شعوبا لا أفرادا .

لماذا تخلت الضفادع عن صمتها؟

في قديم الزمان ، كانت الضفادع محبة للصمت ، ولكنها تنبهت يوما إلى أن الطيور المغردة يزدرونها ، ويمنحون حبهم للطيور المغردة . فنقمت على الناس ، وحسدت الطيور . ولما كانت الضفادع تحب الاجتماعات ولا تتخذ قرارا إلا بعد جدال ومشاورات مطولة ، فقد عقدت اجتماعا جماهيريا مكرسا لبحث موقف الناس منها ومن الطيور المغردة

وفي الاجتماع تكلمت ضفادع كثيرة ، بعضها اتهم الناس بالجهل وفساد الذوق ، وبعضها الآخر اتهم الناس بالتمييز العنصري ، ولكن ضفدعا اشتهر بحكمته قال للضفادع : « الناس ينصتون لأصوات الطيور المغردة ويعجبون بأصواتها لأن أصواتها جميلة حقا وتستحق الاعجاب ، ولكنهم لو استمعوا إلى أصوات أجمل لنبذوا الطيور واهتموا فقط بصيدها من أجل أكل لحومها » .

قالت الضفادع بحيرة : « وما الحل ؟ » .

قال الضفدع الحكيم : « الحل موجود لدينا ، فأصواتنا جميلة وأروع من أصوات الطيور المغردة ، ولكننا لا نستخدمها ولا نستغلها الاستغلال الناجح . ولو فعلنا لنلنا اعجاب الناس وحبهم وتصفيقهم » .

واتخذت الضفادع قرارا بالاجماع يقضي بالتخلي عن الصمت . ونفذت قرارها ، ولجأت إلى

ما جرى لجحا مع زوجته وحماره

عاد جحا إلى بيته ، فوجد زوجته عابسة الوجه ، فسألها : « ما بك ؟ » .

فأجابت : « لا تسألني بل اسأل حمارك الذي تركته مربوطا بباب البيت » .

قال جحا : « ماذا فعل ؟ هل ركلك أو عضك ؟ » .

قالت : « مررت بجانبه ، فغازلني وقال لي إنني أجمل من القمر » .

[illegible] جحا [illegible]

[illegible] إنك جميل من قمر ؟ » .

[illegible] وقال لي أيضا [illegible]

[illegible] واحدة ، أن [illegible]

[illegible] من عينيه

[illegible] من [illegible]

[illegible] حمارك [illegible]

[illegible] حمار حمدي ، ولا يحق لأحد التدخل في شؤوني » .

قال الرجل : « وماذا فعل حتى تضربه مثل هذا الضرب القاسي ؟ » .

قال جحا : « لقد غازل زوجتي وقال لها ألفاظا نابية » .

فقال الرجل لجحا : « كن عاقلا يا جحا . الحمار لا يتكلم » .

قال جحا : « أنا أعرف أنه لا يتكلم ولكنه يبدو أنه قد تكلم فعلا ، وما قاله لزوجتي لا يقوله سوى حمار » .

قال الرجل : « إذا كنت غاضبا على حمارك فلا تضربه ، فقد يموت وتخسر ما دفعته ثمنا له بينما إذا بعته تخلصت منه واسترجعت أموالك » .

ففكر جحا في كلام الرجل فرأى أنه صائب ، فاقتاد حماره إلى السوق . وراح يصيح : « من يشتري هذا الحصان الأصيل صاحب الحسب والنسب ؟ » .

فتحلق حوله عدد كبير من الناس . وقالوا له هازئين : « هذا حمار وليس حصانا » .

قال جحا بثقة : « انه حصان انظروا اليه انه يمشي على أربع والحصان يمشي على أربع . له ذيل وللحصان ذيل . له [illegible] وللحصان [illegible] » .

عندئذ نهق الحمار ، فصاح الناس بجحا : « وهذا الصوت المنكر ؟ أليس صوت حمار ؟ » .

قال جحا : « إذا كانت المشكلة فقط هي منكه الصوت منكر فلا يحق لكم الاعتراض لأنكم تستمعون كل يوم إلى أصوات أبشع ولا تستنكرون بل تصفقون إعجابا وتقديرا » .

ويقال إن جحا قد نجح في بيع حماره بوصفه حصانا . ويقال إن المشتري لم يكن يلعبون ذا فائز جحا في أكثر من سباق لتجيد الأصيلة

.. نعم جحا بما جرى لم يستغرب ولم يندم ، فهو يعيش في عصر يسبق فيه الحمار أسرع حصان ، والسبب يرجع إلى أن الدعاية قد تقدمت وتطورت أساليبها ، وباتت تقنع الحصان بأنه حمار ، وتقنع الحمار بأنه حصان

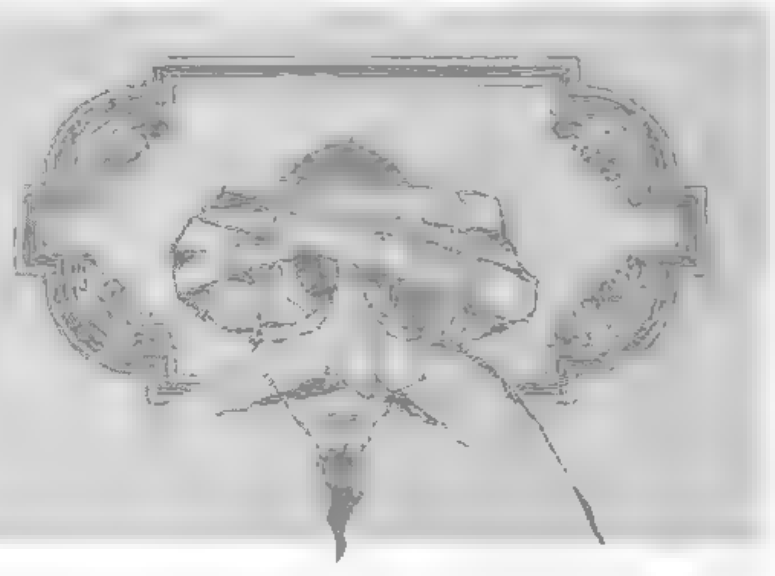

نموذج فريد في الكيان الصهيوني يطالب بالسلام مع العرب !!

الجنرال متتياهو بيليد

بقلم : عصام شربيح

يمثل الجنرال [illegible] الكيان الصهيوني . ربما ليس له شبيه ، بل [illegible] والصحفي [illegible] يشترك معه في أفكار شبه موحدة ، حول مس[illegible] طاف بسياسات هذا الكيان من الحر[illegible] مع العرب !!

لكن من المهم أن نلاحظ قبل كل شيء ، أن بروز تيارات مستحدثة أو جديدة ، أو مختلفة ، في أي نظام عقيدي أو شمولي ـ والنظام الصهيوني في طليعة هذه الأنظمة ـ إنما هو نتيجة منطقية للمآزق الفكرية والسياسية والعسكرية والاقتصادية التي يواجهها هذا النظام في مرحلة معينة من مراحل وجوده ، أو نموه ، ومن هذه الزاوية فقط ، يمكن فهم التيار (المحدود جداً) الذي يمثله الجنرال بيليد وزميله ألفنبري ، وإن كان لكل منهما أسبابه ودوافعه المختلفة أحياناً عن الآخر في تفسير الوقائع والأحداث والتاريخ ... ومن هنا أيضاً ، ولأن التيار الذي يمثله الجنرال بيليد ، ليس حدثاً فردياً ، أو طفرة شخصية ، فإن من المهم جداً ، أن نقرأ ونتابع ونتعمق فيما وراء السطور ، في أفكار هذا الجنرال والسياسي .

التمييز بين فترتين

في عرضه لأفكاره حول الصراع العربي ـ الصهيوني ، يميز الجنرال بيليد بين فترتين مرت بهما السياسة الاسرائيلية : الأولى تمتد ما بين عام ١٩٤٨ (قيام الكيان الصهيوني) وعام ١٩٦٧ ، حتى حرب حزيران (يونيو) ، حيث تميزت هذه الفترة بالتظاهر بالسلام مع العرب ، في حين كان العرب يعلنون رسمياً وبشكل متواصل ، رفضهم المطلق لوجود « اسرائيل » واغتصاب الصهاينة لأرض فلسطين العربية ، وكان « ملهم » هذا الموقف أول رئيس للحكومة في الكيان الصهيوني « دافيد بن جوريون » ، وفي رأي الجنرال بيليد فإن هذا الموقف لم يوضع على المحك أبداً ، ولو أن العرب غيروا موقفهم القائم على الرفض المطلق لوجود « اسرائيل » ، لكانوا تمكنوا من فضح سياسة بن جوريون هذه .

وبين الرفض العربي المطلق ، والتظاهر الاسرائيلي بالسلام ، تمكن الصهاينة بقيادة بن جوريون ، من « التمتع بعطف الغرب ورضاه » ، وتحقيق برنامج طموح خلال العشرين سنة الأولى من اغتصاب فلسطين ، ويعدد الجنرال بيليد خمسة انجازات رئيسية حققتها القيادة الصهيونية خلال هذه الفترة ، وهي :

١ ـ استيعاب هجرة يهودية كثيفة من جميع أنحاء العالم ، وخاصة يهود البلاد العربية .

٢ ـ تحقيق تنمية صناعية ذات بنية منتظمة وحديثة ، تستند على العلم .

٣ ـ إنشاء نظام متطور جداً للخدمات الاجتماعية ، لمواجهة المشاكل الناجمة عن تصاعد عدد المهاجرين اليهود بشكل كثيف .

٤ ـ وضع نظام تعليمي متقدم ، يكفل تنمية قدرات علمية وتكنولوجية عالية ، رغم انخفاض المستوى التعليمي للمهاجرين في بادىء الأمر .

٥ ـ إنشاء جيش عصري ، قادر على مواجهة السياسات العربية .

ويلاحظ بيليد أن الدول العربية ، كانت تهدد « اسرائيل » خلال السنين العشرين الأولى ، بخوض حروب معها ، بيد أنها لم تنفذ تهديداتها هذه أبداً ، وهو ما يعني أن مزاعم « اسرائيل » من أنها كانت مهددة أبداً من العرب ، لم تكن واقعية ، وكان العرب يزودون « اسرائيل » خلال تلك الفترة بالمبررات الكافية للحصول على مساعدات عسكرية ومالية من الدول الغربية ، وعلى دعم مالي وسياسي شبه مطلق من يهود العالم ، كما أن هذه المزاعم ، مكنت الحكومات الاسرائيلية

ظاهرة الفرد من الكيبتن السوفيتي

أوري الديري ... منصف السلام

بن جوريون ... سياسة السلام الكاذب

« العمالية » المتعاقبة » من تعبئة المستوطنين الصهاينة وحشد طاقاتهم في كل مجال ، وخاصة المجال العسكري العدواني ، وتحقيق تماسك قوي بين المستوطنين اليهود المتنوعي الأصل العرقي والوضع الثقافي .. وهذا الوضع هو الذي مكن القادة الصهاينة من تنفيذ سياساتهم « العدوانية » ضد العرب ، بالاستناد الى أخطار خيالية ، وقد أثبتت النتائج التي أسفرت عنها حرب الخامس من حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٧ ، أن ما يسمى « بأمن اسرائيل » ، كان مضموناً تماماً .

أما الفترة الثانية ، فهي تلك التي بدأت بعد حرب عام ١٩٦٧ ، وقد تميزت هذه الفترة بنوع من الارتباك في السياسة الاسرائيلية ، أدى الى تزايد الاتجاه الفاشي والتوسعي على حساب الأرض العربية ، أو سبب الارتباك . فيعود الى تبدل ملحوظ طرأ على الموقف العربي ، بالنسبة لاسرائيل » ، حيث لم يعد موقفاً متصلباً ، وانما موقف القبول المشروط ، (البيان الأمريكي — السوفياتي في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٧ الخ) . وقد أدى هذا الارتباك في السياسة الاسرائيلية الى نمو مصطلحات سياسية جديدة ، تتسم بتحريف الحقائق والأهداف ، وكان آخر هذه المصطلحات العملية التي تمت ضد لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية . وأطلق عليها اسم « عملية سلام الجليل » .

بيد أن الجنرال بيليد يلاحظ في هذه المرحلة ، أن التطورات الجديدة في المنطقة ، وخاصة الموقف العربي « المشروط » من السلام ، قد أدى الى تجريد « اسرائيل » من فكرة « اللا بديل » التي كانت مسيطرة تماماً على عقول الاسرائيليين في الفترة الأولى ، والتي كانت فحواها أنه لا بديل عن الحرب مع العرب الذين يرفضون وجود اسرائيل بشكل مطلق . ويطلقون التهديدات المتواصلة لازالتها ... وهكذا نشأ عهد من « البدائل المتعددة » أمام الاسرائيليين ، يتعذر تحقيق إجماع بشأن أي منها ، وقد ترك هذا العهد بصماته على المستوطنين اليهود ، حيث بدأت عملية انحلال مزعجة تركت آثارها في العديد من المجالات . وكان أحد مظاهر هذه العملية ، أن الهجرة الكثيفة من دول العالم الى « اسرائيل » قد حل مكانها نزوح متصاعد من « اسرائيل » الى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ، كما أن الاتجاه الديني الشوفيني قد أخذ بالتنامي بشكل متصاعد ، وفي الوقت ذاته ، بدأ يلاحظ انحطاط في فعالية الجيش الاسرائيلي ، كما ظهر في حرب ١٩٧٣ ، « وحرب لبنان » ١٩٨٢

اتجاهات جديدة

ولزاء هذا الواقع ، الذي اتسم بضحالة روحية وفكرية مذهلة ، كما يقول الجنرال متتياهو بيليد ، تبلورت ثلاثة اتجاهات رئيسية في التفكير السياسي الاسرائيلي ، وهي اتجاهات تتجاوز أحياناً كثيرة ، الحدود الحزبية ، بل إنها غالباً ما تتنافس داخل الأحزاب السياسية القائمة ، وهذه الاتجاهات هي : إتجاه يدعو الى فكرة « اسرائيل الكبرى — من الفرات الى النيل » ، واتجاه ينادي « باسرائيل ذات الحدود المعدلة أو المحسنة » ، واتجاه يدافع عن مبدأ عدم إجراء تغييرات إقليمية — أي « اسرائيل » بحدود عام ١٩٦٧ « قبل عدوان ٥ يونيو » « حزيران »

نموذج فريد في الكيان الصهيوني يطالب بالسلام مع العرب!!

المستوطنون .. توسع مستمر في الأرض العربية

يستند أصحاب الاتجاه الأول « اسرائيل الكبرى » ، الى زعمين اثنين . ويقوم زعم الأول على فكرة الوعد الذي أعطاه « يهوه » ـ إله اليهود ـ لليهود « بالعودة الى أرض الميعاد » ، ومؤيدو هذه الفكرة ، هم في الغالب من اليهود المتدينين ، الذين يطالبون بعدم التخلي طوعاً ، عن أي جزء من « أرض الميعاد » المزعومة (والتي لا تعرف حدودها بالضبط وان كان يشار إليها بالمنطقة الممتدة بين نهر الفرات في العراق ، ونهر النيل في مصر) ، في حال الاستيلاء عليه ، لأن ذلك يمثل إثماً أمام « يهوه » .

أما الزعم الثاني فيقوم على أساس توفيقي ، وهو ينادي بأن « عظمة اسرائيل » المزعومة ، مرهونة ارتباطاً وثيقاً بالتوسع الاقليمي ، وأصحاب هذ الاتجاه هم قادة الأحزاب الدينية وعصابات غوش إيمونيم وكاخ ، اضافة الى حزب الليكود وحزب « تحيا ـ النهضة » .

أما أصحاب الاتجاه الثاني « حدود محسنة » ، فيزعمون أن ضم بعض الأراضي العربية المحتلة ، وبشكل محدود ولكن غير ذي إطلاقاً ، الى « اسرائيل » ، من شأنه أن يحسن الوضع الأمني للكيان الصهيوني فعلا ، بل ويسمح لهذا الكيان بأن يكون قابلا « للمصححة » ، وأصحاب هذا الاتجاه في معظمهم ، من حزب العمل . بيد أن من الملاحظ ، كما يقول الجنرال بيليد ، أن أصحاب الاتجاه الأول يلتقون مع أصحاب الاتجاه الثاني في رفض قيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين . ويشير الى أن موقف جماعة حزب العمل من القضية الفلسطينية ، نابع من مفهومهم التوسعي الاقليمي ، فهم نظراً لمناداتهم بوجوب ضم جزء كبير من أراضي الضفة الغربية المحتلة ، فانهم يرون أن لا مكان للفلسطينيين في الضفة . ومن ثم ينتهون الى نتيجة مفادها أن الضفة بين « اسرائيل » والأردن ، زاعمين أن الأردن قد يسهل عليه التخلي عن نصف الضفة الغربية ، نظراً لاتساع رقعته ، وامكانية استقرار الفلسطينيين المهجرين فيها

وأما أصحاب الاتجاه الثالث ، وهو اتجاه محدود وصغير ، فيذهبون بأن حاجة « اسرائيل » الأساسية ، ليست ضم مزيد من الأراضي المحتلة ، وانما « السلام » ، وأن تحقيق ذلك ممكن اذا تخلت « اسرائيل » عن الأراضي العربية التي احتلتها في حرب عام ١٩٦٧ . وأصحاب هذا الاتجاه ، ومنهم الجنرال بيليد واوري افنيري و حركة السلام الآن ، وحركة « يوجد حيروت » يرفضون فكرة « اسرائيل الكبرى » ، وفكرة « حدود محسنة » ، وجميع الادعاءات المستندة الى سورية التوراة . وهم إذ [illegible] يذهبون [illegible] فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، كجزء من مبدأ « بيعة السلام » التي تكفل الاعتراف المتبادل بين جميع الأطراف ، وتحقيق أمن معقول لجميع ،

وهم السلام !

ويخلص الجنرال بيليد من كل هذا ، الى وضع مقتاثم بالنسبة لامكانية تحقيق « السلام » بين العرب و « اسرائيل » ، ذلك لأن أصحاب الاتجاه الأول القائم على التوسع في الأرض العربية ، من الفرات الى النيل ، يقبلون بالسلام أصلا ، وهم بالتالي لا يسعون إليه أما أصحاب الاتجاه الثاني الذين يطالبون بحدود محسنة ، وهم غالباً أعضاء في حزب العمل ، فإن بينهم من ينادي بفكرة « اسرائيل الكبرى » ، وبينهم من ينادي بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، وطالما أن تشكيلة حزب العمل تضم هذين التيارين المتناقضين ، اضافة الى التيار الرئيسي الذي ينادي بالحدود المحسنة ، فمن هذ حزب من يستطيع تغيير مواقفه المعلنة

واراء هذا الواقع ، فان التغيير منتظر في موقف الاسرائيلي من « السلام » مع العرب ، لن يأتي ، إلا اذا صعد أصحاب الاتجاه الثالث الى السلطة في « اسرائيل » ، حيث يطالب هؤلاء ، بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، لكن الجنرال بيليد يقر ويعترف بأن وصول أصحاب هذا التيار الى الحكم أمر بعيد الاحتمال في الوقت الحاضر ، وبالتالي فان أي أمل في حصول تغيير في الكيان الصهيوني ، من شأنه أن يسمح ببدء عملية « سلام » بمشاركة فلسطينية فعلية ، ما هو إلا مجرد وهم .

بيليد و « السلام » ! !

بعد كل هذا ، لابد من طرح السؤال التالي لماذا ينزع الجنرال متتياهو بيليد نحو السلام مع العرب ، ويعلن بوضوح قبوله بقيام دولة فلسطينية في الأراضي المحتلة ؟؟ !

في الواقع ـ وكما قلنا في مقدمة هذه المقالة ـ فإن ظهور تيارات مختلفة في عقيدة « . هو نتيجة منطقية لدخول هذه العقيدة في دائرة المأزق ، حيث أن المأزق هو وحده الذي يحتم بروز طريقة جديدة في التفكير والسلوك ، ومن هذا المنطلق يمكن فهم أفكار الجنرال بيليد ، الذي أشار أكثر من مرة الى خطورة المأزق التي تواجه « اسرائيل » . فقد أكد « أن اسرائيل مزعزعة أمنياً بسبب تمسكها باحتلال الأراضي العربية » ، وانتقد سياسة بناء المستوطنات في هذه الأراضي ، مشيراً الى أن الانفاق على هذه المستوطنات ، بلغ في العام الماضي ستمائة مليون دولار ، كما أن غزو « اسرائيل » للبنان ، كلفها ثلاثة مليارات ومائتي مليون دولار ، وبالنسبة للأزمة الاقتصادية قال إن سببها يعود الى أن « اسرائيل » خصصت حوالي ثلاثين بالمئة من دخلها ، للنفقات العسكرية منذ عام ١٩٦٧ ،

مؤكداً أن الأزمات الاقتصادية التي تجتاح الكيان الصهيوني ، إنما ترتبط تماماً بالسياسة التي اتبعتها الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة منذ عدة سنوات ، حيث تنتهج « اسرائيل » سياسة لا تستطيع تطبيقها » . ويشير الجنرال بيليد الى ارتباط « الأمن » بالاقتصاد . فيقول « إن الأمن قيمة قياسية ، وليس قيمة مجردة ، وعندما ترى دولة أن من الضروري زيادة نفقاتها الدفاعية من عشرة الى ثلاثين بالمائة ، من دخلها ، فإن من المؤكد أن ذلك مؤشر هي انعدام شعور هذه الدولة بالأمن » .

ويضيف الجنرال بيليد أنه وغيره ، كانوا يفكرون قبل حرب عام ١٩٦٧ ، بطريقة تختلف عن التفكير بعد تلك الحرب . ويقول « إنه ذهب الى اسحق رابين في أعقاب حرب ١٩٦٧ ، واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقال له « ان بامكاننا الآن حل القضية الفلسطينية ، وانهاء الصراع مع الدول العربية » ، لكن رابين طلب إليه ألا يرفع صوته ، لأن العرب سيطانبون اذا سمعوا هذا الكلام ، بالعودة الى « قرار التقسيم » ، وأكثر

● غزو إسرائيل للبنان سنة ١٩٨٢ كلفها ثلاثة مليارات وماتتي مليون دولار

● أفكار بيليد الجديدة دليل على وجود مأزق حقيقي في الفكر الصهيوني

من ذلك فإن بيليد ، يشير بشكل غير مباشر الى العلاقة بين أفكاره « الجديدة » ، ونشأته في القدس ، فيقول « إنه عندما أصبح شاباً ، ازدادت رغبته في تعلم اللغة العربية ، حيث عاش أصلاً في مدينة القدس ، وتعلم في المرحلة الابتدائية في مدرسة مختلطة من العرب واليهود ، ودرس اللغة العربية كلغة أساسية ، ويضيف . « ولقد اقتنعت تماماً أن الشعب الفلسطيني هو الشعب الذي سأعيش الى جانبه » .

لكن من المهم جداً أن نميز بين موقف بيليد من « السلام مع العرب » ، وبين مسألة اغتصاب فلسطين . والفكرة الصهيونية التي كانت السبب في عملية الاغتصاب هذه ، فقد قال في حوار مع مجلة « هعولام هزيه » الاسرائيلية ، إنه وإن كان ينادي بالسلام والاعتراف بين « اسرائيل » ودولة فلسطينية في الضفة والقطاع المحتلين ، إلا أنه يرفض تماماً الحديث عن الماضي » ، أي أنه يرفض مناقشة عملية اغتصاب فلسطين في عام ١٩٤٨ ، ويعتبر هذا الاغتصاب أمراً واقعاً ، لا مجال لاعادة النظر فيه

لكن ... وعلى الرغم من ذلك ، فإن الأفكار التي يطرحها الجنرال بيليد تستأهل وقفة تأمل منا ، لأن بروز مثل هذه الأفكار ، هو دليل كما قلنا على وجود مأزق في الفكر الصهيوني ، خاصة وأن الجنرال بيليد نفسه يقول ، إنه لم يفكر بهذه الطريقة الا بعد عام ١٩٦٧ ، والأرجح بعد حرب ١٩٧٣ ، التي كادت « اسرائيل » أن تسحق فيها ، ونعتقد أن بروز أفكار مثل أفكار الجنرال المتقاعد متتيهو بيليد ، يجب أن تلقى البحث عربياً ، كما نصيب من دوي لشأن السياسي والفكري التمحيص والعمل على الاستفادة منها .

عصام شريح

من هو؟

ولد متتياهو بيليد بمدينة حيفا الفلسطينية سنة ١٩٢٣ ، وانضم الى عصبة الهاغانا سنة ١٩٤١ ، وأنهى فيها دورة قادة فصائل ، سنة ١٩٤٣ ، ثم توجه الى بريطانيا سنة ١٩٤٦ لدراسة الحقوق في جامعة لندن ، لكنه استدعي عند نشوب حرب عام ١٩٤٨ ، وعين قائداً لكتيبة ، وقائداً لفصيله في « لواء غفعاتي » ، وأصيب خلال فترة الحرب مائياً بقذائف كتيبة في اللواء نفسه ، وقد اشترك في معارك اللشلش ، وفي عام ١٩٤٩ ، أنهى بيليد دورة قادة كتائب ، ثم خدم في هيئة الأركان العامة للجيش الاسرائيلي ، وتوجه بعدها الى بريطانيا ، حيث التحق بدورة ضباط أركان ، وتخرج منها في عام ١٩٥٢ ، وأدى عودته ، عين ضمن طاقم الاعداد لانشاء مدرسة القيادة والأركان ، وبعد أن درس في هذه المدرسة ، نقل الى قسم التدريب في هيئة الأركان العامة ، وخدم فيه حتى عام ١٩٥٦ ، وفي أعقاب حرب ذلك العام ، عين متتياهو بيليد قائداً لمنطقة شرم الشيخ ، ثم حاكماً عسكرياً لقطاع غزة ، وفي صيف عام ١٩٥٧ ، عين قائداً للواء القدس ، وخلال فترة ١٩٥٩ ــ ١٩٦١ ، تولى منصباً كبيراً في هيئة الأركان العامة ، وفي عام ١٩٦٢ ، التحق بالجامعة العبرية بالقدس ، حيث درس فيها العلوم الشرقية ، وفي نيسان (ابريل) ١٩٦٣ ، عين مساعداً لنائب وزير الدفاع لشؤون التسليح ، ثم عين في نيسان (ابريل) ١٩٦٤ ، رئيساً لشعبة المستودعات ورفع وهو في هذا المنصب الى رتبة لواء في أواخر آذار (مارس) ١٩٦٥ ، وأنهى متتياهو بيليد خدمته في هذا المنصب ، وترك الجيش الاسرائيلي بتاريخ ١ ــ ٧ ــ ١٩٦٨ ، ثم سافر الى الولايات المتحدة ، حيث تابع دراسة الأدب العربي ، وحصل على درجة دكتوراه في هذا الأدب من جامعة لوس أنجيلوس بولاية كاليفورنيا في عام ١٩٧٦ ، وعاد في نفس هذا العام ، حيث عين محاضراً في الأدب العربي بجامعة تل ابيب في أواخر ١٩٧٦ ، الى أن

[illegible] عام ١٩٧٥ [illegible] ، وحتى عام ١٩٧٧ [illegible] ، وعين عام ١٩٧٨ [illegible] ، ثم محاضراً في جامعة حيفا عام ١٩٨٠ [illegible] ، ثم أستاذاً [illegible] ، وعين عام ١٩٨٢ [illegible] .

وفي عام ١٩٧٥ [illegible] ، في تأسيس ما يسمى « بمجلس السلام الاسرائيلي ــ الفلسطيني » ، الذي اتخذ شعاراً له العلم الفلسطيني الى جانب « العلم الاسرائيلي » . وكان الجنرال بيليد عضواً في قيادة حزب شيلي (يعني شيلي . السلام الاسرائيل) قبل ذلك ، لكنه انفصل عنه مع أوري أفنيري ويعقوب أرنون ، في أعقاب الغزو الاسرائيلي للبنان في حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٢ ، بسبب خلافاتهم في الرأي بين قيادتي هذا الحزب حول تقييم عملية الغزو . وفي ٣٠ ــ ٣ ــ ١٩٨٤ ، شارك الجنرال المتقاعد متتياهو بيليد في امهرجان الجماهيري الذي أقامته « الحركة التقدمية » بمدينة الناصرة بمناسبة « يوم الأرض » .

كتب بيليد منذ عام ١٩٧٧ وحتى اليوم العديد من الدراسات في الأدب العربي ، كما كتب العديد من المقالات السياسية ، عارضاً من خلالها رأيه في ضرورة تسوية الصراع العربي ــ الاسرائيلي بالطرق السلمية ومع أن بيليد ولد في حيفا إلا أنه عاش معظم أيامه في القدس التي أنهى فيها دراسته الابتدائية والثانوية ، وهو يقيم منذ بضع سنوات في مستوطنة « موشاف » غربي القدس المحتلة ، وهو متزوج وله ولدان ، وهو عضو في الكنيست عن « القائمة التقدمية للسلام » التي يرأسها المحامي العربي محمد ميعاري . كما شكل الجنرال بيليد حزباً في الفترة الأخيرة ، أطلق عليه اسم « البديل » .

في العدد القادم يواصل الدكتور يحيى الجمل كتابة قصة حياة عادية.

فصول أبي البهاء
فائدة لم تكن في الحسبان

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

فصول أبي البهاء لا تنتهي ولست أدري أهو من سوء حظي أو من حسنه أن لا تتجاوز مشاركتي له في أحداث هذه الفصول حد رويتها عنه . أو رويتها عن أصحابه الذين هم في غالب الأحيان أصحابي أو ممن يمتون لي بصلة قربى إنه معي شخصيا جد كريم وحد بالغ في سخائه الكبيرة يبادر إلى التطوع لمساعدتي فيما أنا محتاج إليه أو إلى نصحي فيما يريد هو أن أنصحه حتى لأحسب أحيانا كيف تحسب هذه الأريحية وذلك الاندفاع في إنجاز ما يتطوع به إلى قدرة على الصبر على دروس الدرج أو سحوبه المؤذية ثم يرزقه بمستحقون أن ينزل بهم تنكيله

أغلب فصوله تنطلق من وحي الساعة التي هو فيها . دخل ذات مرة إلى مقهى بالأس في رفقة قريبي إسماعيل ، فلفت نظره في وقفته على الباب مجموعة من أبناء بلدتنا ، وبعضهم من معارفه ، يحيط أفرادها بثيابهم البدوية بمدني أفندي يبدو أنه ضيفهم ، حول مائدة عامرة بأصناف المأكول والمشروب . سأل أبو البهاء إسماعيل عمن يكون هذا المحتفى به فقال له : إنه الأستاذ زيدان ، مدير المصرف الزراعي في بلدتنا . من عادته في مثل هذا اليوم ، مساء الخميس ليلة الجمعة ، أن يقدم من البلدة إلى المدينة ليسهر وينبسط في هذا المقهى على حساب جماعتنا . لاتنس أن رقابهم ، في هذه السنة السيئة ، بيده . فهو الذي في مكنته أن يقرضهم من أموال المصرف ما يستطيعون به سداد ديونهم ومتابعة أعمالهم الزراعية إلى أن يحين قطاف الموسم القادم . إذا رأيتهم يغدقون عليه من كرمهم فما ذاك منهم غير تزلف ونفاق حرصاً على رضاه عنهم ...

في تلك اللحظة ولدت فكرة العبث بمدير المصرف هذا في رأس أبي البهاء . تقدم إلى الثلة الملتفة حول الأستاذ زيدان ، فهتف به بعضهم محيياً ودعوه إلى مجالستهم . إلا أن أبا البهاء تجاهل الدعوة وراح يجيل نظره في جوانب المقهى كمن يبحث عن انسان بعينه . ولما ألح عليه أحدهم بالدعوة قال إنه كان يتمنى أن يشاركهم سهرتهم لولا أنه يبحث عن صاحب له وكان يتوقع أن يراه هنا . سألوه : من صاحبك هذا ؟ فأجاب بقوله : ألا تعرفونه ؟ إنه رئيس مفتشي المصارف الزراعية الجديد ... جاء لتوه من العاصمة وهو في طريقه إلى بلدتكم ... الأخبار كثيرة في الادارة المركزية عن أن الأمور في فرع المصرف الزراعي عندكم ليست على ما يرام ، فهو قادم ليجري تفتيشاً مفاجئاً على الحسابات فيه ..

وما حدث عند هذا أن العيون كلها تحولت إلى الأستاذ زيدان . فمن هذا يلقنه في حلقه ، وهب واقفاً تاركاً أصناف المأكول والمشروب على حالها فوق المائدة ، وهرول ليركب أول سيارة متجهة إلى مقر عمله في البلدة الصغيرة التي تبعد مائتي كيلومتر عن مقهى بالأس في المدينة الكبيرة . وفي تلك البلدة سيتقلب الأستاذ زيدان على مثل الجمر في انتظار المفتش الذي لن يقدم مطلقاً . فصاحبك ، هذا المفتش ، ومهمته الموهومة لم يكونا غير اختراع من اختراعات أبي البهاء في الساعة التي أحنقه فيها أن يرى مدير المصرف يأكل ويشرب ويلهو على حساب المزارعين المساكين الذين يشقون يكدحهم وراء لقمة العيش بينما يمسك هو بخناقهم ويتحكم بمصائرهم .

■ وفصل أبي البهاء مع حسين الخليف قريب مما فعله بالأستاذ زيدان في أن فكرته كانت بنت ساعتها . إلا أن دافعه فيما فعله بحسين الخليف كان مختلفاً عما دفعه للعبث بالأستاذ زيدان . كما أن حسين الخليف ، على الرغم من كونه ضحية الفصل ، كان أحسن حظاً من مدير المصرف الزراعي ، فهو على الأقل قد حصل مما عبث به أبو البهاء على فائدة له لم تكن قبل في حسابه .

أخبرني بهذا الفصل الأخير صديقنا أبو النبيل ، وكان قد قرأ ما كتبته عن أيام عسر أبي البهاء حين تقمص شخصية المستر جورج ب . سمعان ليظفر من بعض مزارعينا بالسذج بعشاء وعلبتي سيكارات . قال أبو النبيل

ـ حدث هذا في نفس السنة السيئة التي كان موسمنا فيها من زراعة القطن بالغ السوء . فقدنا كلنا المدينة الكبيرة نبحث فيها عمن يقرضنا شيئاً من المال لسداد أقساط ديون البنوك المستحقة علينا ، وحسين الخليف واحد منا . أنت تعرف حسين الخليف ، رجل بسيط المدارك فيما عدا ما يمس مصلحته الخاصة ، فهو فيها فهلوي لا يغلبه غالب . وأنت تعرف كذلك كم هو بدين ، تتدحرج كرشه أمامه عند المسير حتى لتحسبه حبلى في شهرها التاسع . كان أبو البهاء في ذات يوم يجالس في المقهى ابن بلدتنا صديقه أبا أسعد ،

الذي جاء المدينة مثل جماعته يبحث عن حل لضائقته ، حين أقبل حسين الخليف متجهم إلى طاولتهما . قال أبو أسعد لأبي البهاء في عجلة . هذا حسين الخليف ، أحد أصهاري ، وهو رجل ملحاح لا يعذر في شيء . يريد مني أن أعرفه بمن يقرضه مبلغاً من المال بقي به دينه ، ولو وجدت أنا من هو مستعد للاقراض لهجمت عليه قبله . عليك به يا أبا البهاء . واسمه كما قلت لك حسين الخليف !

قال أبو النبيل : لم يحتج أبو البهاء لغير هاتين الكلمتين ليرسم خطته . ولما جذب حسين الخليف كرسياً إلى الرجلين سمع أبو البهاء يقول وكأنه يتم كلاماً كان بدأه قبل حضوره : لا يا أبا أسعد أنا ضد تعامل الأصدقاء بالأمور المالية . سأفقد صداقتك لو أني أقرضتك هذا المبلغ الذي أريد تشغيله بفائده . أنت قد تستغل مودتي لك فتتأخر في أدائه ديناً لي . وأنا ، إذا تأخرت أنت في الدفع ، قد أتناسى ما بيننا من صداقة وأقيم عليك دعوى قضائية تنتهي بحجز أملاكك ، فيفسد ما بيننا من ود قديم . أريدك أن تدلني على من تثق به ومن هو بحاجة إلى قرض بفائدة معقولة ، ومن لا أستحي منه إذا اضطررت إلى حجزما يملكه لقاء ديني .

وهنا ، كما ذكر أبو النبيل ، سقط حسين الخليف في فخ أبي البهاء . حين سمع بالمال وبالبحث عن مستدين له سال لعابه وراح يغمز أبا أسعد بعينه ويلكزه بكوعه لينتبه اليه ، في حين بادر هذا يقول لأبي البهاء : ربما كان علي أن أسألك لرفضك إقراضي ، ولكني أعذرك لأني أفهم تحوطك ؛ حسناً ... اليك صهري العزيز حسين الخليف . انه صاحب مشروع زراعي كبير ، وربما كانت له حاجة بمبلغ الخمسين ألف ليرة التي تريد تشغيلها . تستطيع أن تأتمنه على هذا المبلغ ، وبامكانه هو أن يقدم لك الضمانات الكافية لاستيفاء مالك عند الاستحقاق . وإذا تأخر عن الوفاء فأنت في حل من ملاحقته بكل طريقة قانونية ، أقول لك هذا منذ الآن

قال محدثي : عند هذا الكلام لم يتأخر حسين الخليف عن أن يمد يديه إلى جيوبه فيخرج منها رزماً من صكوك عقارية وأسناد تمليك كان قد أعدها لتكون ضمانه للوفاء عند من يقبل باقراضه ماهو بحاجة اليه . فرش تلك الأوراق على الطاولة أمام أبي البهاء مبيناً أنه على استعداد لأن يرد له دينه بفائدة كبيرة في الموسم القادم ، وهو موسم منتظر أن يكون خصباً ، فالقحط لا يمكن أن يتكرر في سنتين متعاقبتين في منطقتنا . وارتسمت على محيا أبي البهاء علائم الاقتناع بما يسمع ، لاسيما وأن أبا أسعد كان يؤمن على كل ما يتلفظ به صهره العزيز قال أبو البهاء أخيراً احسب الخمسين ألف ليرة في جيبك يا سيد حسين . وإذا احتجت إلى أكثر منها فسأقنع شريكي بأن يزيد المبلغ عشرة آلاف أخرى . ما لك إلا أن تشرف محلنا في الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم .. ماذا ؟ ألا تعرف محلنا ؟! عليك أن تسلك أولا جادة بارون ، وفي الشارع الجانبي الذي يتفرع من هذه الجادة ، الثاني إلى يمينك بعد الساحة الكبيرة ، تمشي بضع خطوات وهناك تسأل عن محل هندي وغوري في الطابق الثاني من العمارة . سأكون أنا وشريكي في انتظارك . بأحياك الله . أرجو أن تنتهي معاملتك المالية المستقيمة إلى صداقة دائمة . صداقة بعد المعاملة أدعى إلى المتانة والدوام من معاملة بعد الصداقة ... إلى اللقاء بعد ظهر اليوم إذن يا سيد حسين . .

وقام أبو البهاء عن كرسيه مودعاً حسين الخليف بهزة يد قوية في مصافحة كادت أن تتحول إلى عناق

كنت من ناحيتي أعرف ، من غير أن يذكر لي أبو النبيل ذلك ، أن لا محل في أي شارع يتفرع من جادة بارون المشهورة في هذه المدينة الكبيرة يحمل اسم هندي وغوري . إنه مجرد اسم اخترعه أبو البهاء على طاولة صديقه أبي أسعد . ولذا فقد توقعت ما رواه لي محدثي من أن حسين الخليف قضى كل أمسيته بين الساعة الخامسة ، موعد افتتاح المحلات التجارية ، وبين الساعة الثامنة موعد إغلاقها ، ذارعاً الشوارع المتفرعة من جادة بارون وهو يقرأ اللافتات على الحوانيت ويسأل أصحاب المخازن ، ويصعد الأدراج أو ينزل منها ، ويقرع أجراس الأبواب في الطوابق المتتالية ، مستفهماً عن محل هندي وغوري الذي انتظره فيه خمسون ألف ليرة ، وربما ستون ! ثلاث ساعات كاملة من الهرولة وارتقاء السلالم وهبوط بجسم كجسم بقسيري بخليف إلى ثقل الوزن وضخامة الأطراف جديرة بأن تعصف بدنه عرقاً وتذيب كمية غير هينة من الشحم المتراكم في كرشه . كل ذلك دون أن يبدو أثر لأبي البهاء ولا لمحل هندي غوري الذي سماه أبو البهاء

في الصباح التالي ، على ما أخبرني أبو النبيل ، بكر حسين الخليف إلى المقهى الذي يتخذ فيه قريبه أبو أسعد مجلسه كل يوم ، ليسأله أين يقع محل هندي وغوري الذي لم يهتد إليه بالأمس . تظاهر أبو أسعد بالعجب من تيه صهره في جادة مشهورة وعجزه عن العثور على محل تجاري أكثر شهرة ، وراح يلقي عليه محاضرة أعدها له أبو البهاء مسبقاً . قال له : أين تغيبت البارحة يا رجل ؟ جاءني صديقنا أبو البهاء بعد الساعة التاسعة وأرهقني بأسئلته عنك . أخجلتني أمامه يا صهري الكريم ! وحين أبدى حسين الخليف استعداده لأن يرافق أبا أسعد في تلك اللحظة إلى محل هندي وغوري قال أبو أسعد : ذهابنا في هذه الساعة عبث ، فأبو البهاء يكون في هذا الوقت في دار الحكومة يسير فيها معاملاته الكثيرة . وأنا كما تعرف مضطر إلى الرجوع إلى البلد بعد أقل من ساعة . ما عليك إلا أن تقصده في الثانية عشرة تماماً ، في منتصف النهار ، فتجده في انتظارك ومعه خمسة وسبعون ألف ليرة . نعم خمسة وسبعون ألفا . أقنعته بأن يزيد مبلغ القرض إلى هذا المقدار ... ستون ألف ليرة لك والباقي لي . هذه بيننا ، فأنا لم أقل له ذلك . سمعته انت بأذنك يرفض اقراضي لأنه لا يأتمنني على ماله ؛ وما أظنك مثله في قلة الثقة بوفائي لديوني . ماذا ؟ أتستصعب أن تهتدي إلى المحل ؟ سأدلك عليه وأنت قاعد هنا ... أنت تعرف الفندق الكبير في جادة بارون ، مالك إلا أن تسير عشر خطوات لتجد الشارع الثاني إلى يمينك . من هناك تسير عشرين خطوة أخرى فتجد أمامك لافتة كبيرة مرفوعة على شرفة الطابق الأول تحمل اسم محلات هندي وغوري . لافتة تفقأ العين بكبر حجمها وضخامة حروفها ..

ولا حاجة بي إلى القول إن حسين الخليف ، في بساطة تفكيره ولجاجته في بلوغ ما يهمه ، قد تعرق من جديد ، وكثيراً ، وأضاع قسطاً لا بأس به من شحم بطنه في ركضه في الظهيرة المحرقة ساعات متتالية ، باحثاً عن لافتة لا واقع لها لمحل لا وجود له . لافتة محلات هندي وغوري . كما لاحاجة بي لأن أقول إن أبا أسعد ، حين لقي صهره في بلدتهما بعد ثلاثة أيام ، ألقى عليه كل اللوم مقرعاً إياه على جهله التصرف في المدينة الكبيرة ، وعلى أنه أضاع على نفسه وعليه — هو أبو أسعد — مبلغاً كبيراً من المال كان كافياً لفك خناق الأزمة التي اشتدت عليهما في تلك السنة اسيئة !

وهكذا عاد حسين الخليف بمثل خفي حنين من ذلك القرض الموهوم إلا أن الذي لا شك فيه أن بعضاً من الفائدة قد مسته من عيث أبي البهاء به . لقد عاد إلى بلدته وقد ذبلت كرشه واضمحلت بعض الشيء . أذبلها الأسى على ضياع الفرصة المفقدة من ناحية ، ومن ناحية أخرى اضمحلت تلك الكرش مما تكلفه من جهد في ركضه في الشوارع وصعود السلالم ونزولها في أيام البحث المتتالية التي لم تعد عليه بطائل . وهذا ما عليته حين قلت إن أبا البهاء قد أكسب حسين الخليف بفصله هذا فائدة لم تكن له في الحسبان .

• • •

فصول أبي البهاء ، كما أسلفت في مطلع هذا المقال ، لا تنتهي . أوردت منها قبل الآن ما عرفته عنه في أيام العسر وأيام اليسر ، وما بلغني من عبثه بالرؤساء وسخريته بالنقلاء والبخلاء ، وما أضحك به من أحبهم وأحنق من أبغضهم . وأحسبني سأتوقف في روايتها عند هذا الفصل بعد أن أصبحت خصال أبي البهاء معروفة من خلالها ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق كما قال الأولون . وإذا كنت قد أضربت عن رواية فصول أخرى شائقة ، تطوع كثير من أصحاب أبي البهاء في قصها علي ، فلعلي تجنبت بذلك إحراج أبي البهاء نفسه أو إحراج أناس آخرين لهم اسمهم ولهم مكانتهم كانوا في ذات يوم من ضحايا تلك الفصول . فنحن ندرك جميعاً أن ليس كل ما يعلم يقال . وفيما قيل ، مما لا حرج في قوله ، غناء وكفاء .

الرقة — سورية

قصيدة جديدة

للشاعر السوداني

الدكتور تاج السر الحسن

فلاشا

هذا الفلاشى جـــاء
يسخر من شعبى
يرمقنى من عل
فى قمة « الهيلتون »
يبصق فى النيل
يضحك من جبنى

. . .

فى شرفة الفندق
كان فلاشيين
قد ثرثرا ، حدقا
فى المقرن المزدان
ورقصا .. عريدا
ونثرا الأشجان
ـ (قبلنى ، ضمنى)
ياليت هذه الرؤى
« عادت بإسرائيل »
(هذا سنا الخرطوم
فهل نرى (دجله ؟)
فتزدهى الأحلام
ونملأ السله ؟

من رطب الوديان
والكرم والغله

.

الحاكم الجائر
يختال فى الميدان
وحوله الجند
والسيف والصولجان
بقطعة من نقود
باع ثرى الأوطان
أهدى الفلاشا المكان
أهدى الفلاشا الزمان
بينا أنا ملقى
فى القيد أشكو الهوان
والفقر والأحزان

. . .

رسم التلفاز (شاشا)
حوله جمـع الفلاشا
بينما فى قلبه شيء

من الوسواس جاشا
ان ما يدعى فلسطين
بقلبى يتلاشى
فالفلاشيات
قد أحدثن فى قلبى ارتعاشا
والفلاشيون أهلى
مرحباً قومى الفلاش

. . .

تلك الفلاشية
زهرة فستقية
وخصرها ضيق
خاتم جنية
وشعرها أسود
ليل وأغنيه
تموجت حولها
عواطف الحمية
سمراء لكنها
حقاً يهودية
قيل لها انها
سوف ترى (يافا)
وكرمها الزاهى

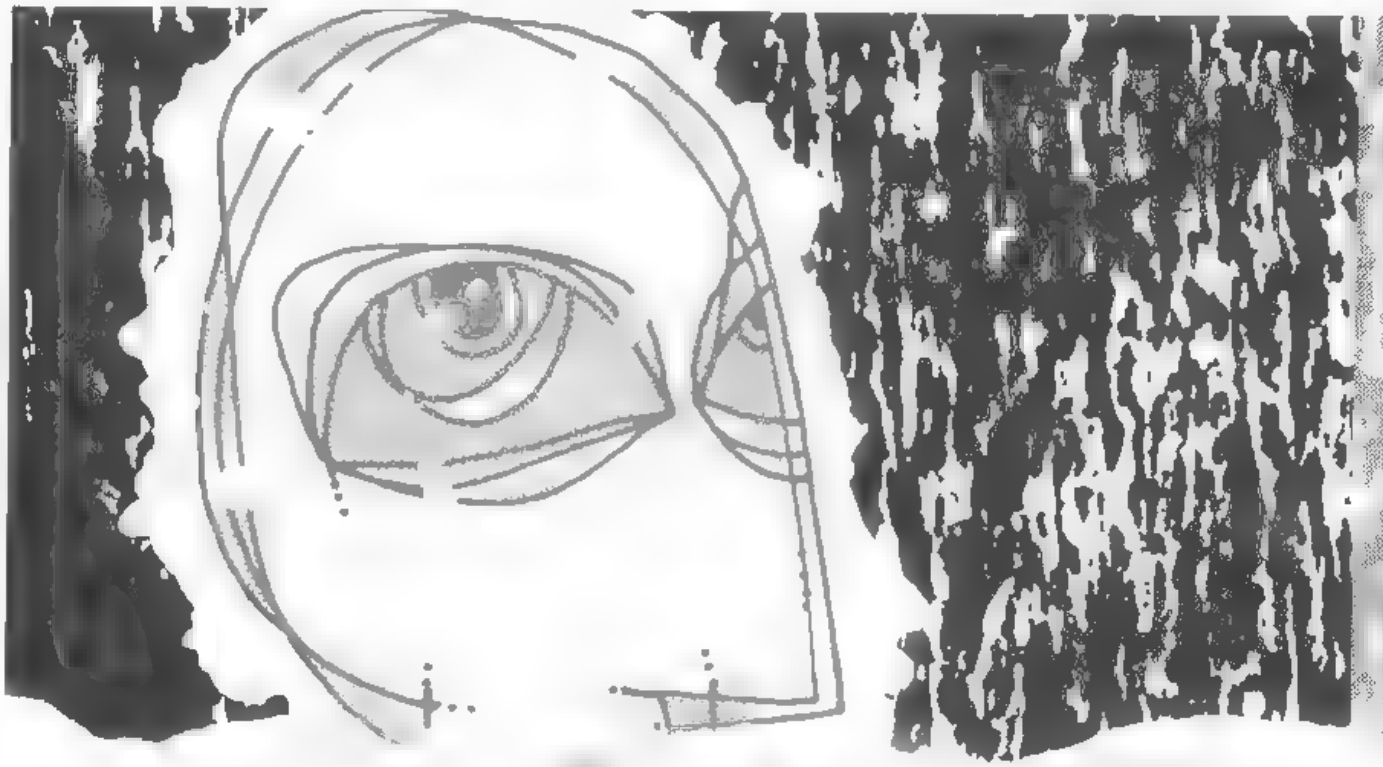

لونٌ وأصنافٌ
وترتمي في الظلال
بين شدى البرتقال
فهي هنا في المطار
أرقبها الانتظار

. . .

جاع كل الناس
لم يبق أحد
ظمأ (التيجرا)
(وبنو عامر)
والأمهره
والهدندوه
والصوماليون
وأهل جيبوتي
كل القرن الأفريقي
اشتعلت فيه نار الجوع
مات الطفل الشاحب
ماتت الأم
ومات الأب
والقرية لم يبق بها أحد

غير جنوح الشجر حيث
وهكر قطعان ملقه

عن أن القلاشا وحدهم لم يجوعوا
وحدهم أكرمو
ان هذا مريع
لهم الحافلات
المكان الوسيع
الفنادق مشعله
والموائد مشرعه
والربيع

. . .

من صفحة « التلفاز »
نشهد هذا البث
حيث السفير الوزير
باسم الحاكم الكبير
من خان هذا الوطن
باع ونال الثمن

وذلك واشنطون
في شرفة « الهيلتون »
حيث بنو صهيون يجمعون النقود

من يجود اليهود
ويخنقون البشر

ويقتلون الوجود
في قلب « يافا » وفي
« صيدا » وأرض الحدود

من جاء بالطائرات ؟
وأجمل الحافلات ؟

انهم المجرمون
السادة الظالمون

من قيدوا شعبنا
في ظلمات السجون

لا تتركوهم هنا
في أرضنا يمرحون

الخرطوم

تذكرة دخول ثانية إلى :

مسرح العصور الوسطى

بقلم : الفريد فرج

مشهد من مسرحية « نقد العقيقات الثلاث » التي تميزت بحضور الملكة إليزابث وأسرتها بحفل الافتتاح

● إعادة الاعتبار للمسرح الفقير المتجول الذي كان يعتمد على الصدقات ، لا على ثمن بيع التذاكر

● ثقافتنا العربية وحركتنا الفنية سبقت الإنجليز في اهتمامهم بالتراث المسرحي القديم

حدثتكم في العدد السابق عن « فرقة سئلي العصور الوسطى » الانجليزية .. التي تقدم مسرحيات أقدم من عصر النهضة وأسبق زمنيا من عصر شكسبير ..

لقد بدأت الفرقة نشاطها كفرقة مسرحية تجريبية متواضعة .. ثم سرعان ما لفتت الأنظار واجتذبت الاهتمام فأعادت الاعتبار للمسرحية الأخلاقية ، وللمسرح الشامل الذي تميز بالغنائه والرقص وألعاب الحواة والألعاب الأكروباتية وبالحيل التقنية والذي سمي أحيانا بمسرح الشارع ، وأحيانا بمسرح السوق .. باعتبار المكان المفضل لنشاطه .

إن هذا المسرح الفقير المتجول الذي كان يعتمد أحيانا في دخله على الصدقات من الجمهور ، لا على ثمن بيع التذاكر . والذي اختفى من الخريطة الثقافية منذ عصر النهضة إلى اليوم وتعرض للتحامل والازدراء من الأكاديميين والقائمين على السوء يعود على يدى فرقة من متفقين الشباب ، فيجذب الانتباه إلى حد أن تشارك به الفرقة الصغيرة في إحياء تقاليده القديمة فرق قومية كبيرة ، كالمسرح القومي البريطاني (١٩٨٢) ، وفرقة شكسبير الملكية (١٩٨٣) ، ثم المسرح القومي الاسكتلندي (١٩٨٤ ـ ١٩٨٥) بمسرحية الافتتاح للموسم « نقد الطبقات الثلاث » .

عيوب أو فضائل المسرح القديم

كانت الحركة الثقافية منذ عصر النهضة الأوربية قد هونت من شأن مسرح العصور الوسطى ، وعددت عيوبه بأنه مسرح تعليمي مباشر .. وبأنه مسرح قصصي أكثر منه مسرحا دراميا .. وبأن شخصياته مسطحة تمثل فضائل أو رذائل بعينها وتتسمى باسمها وتفتقد البعد الانساني اللازم للشخصية المسرحية . وهو عمق الاختيار بين عناصر الخير وعناصر الشر ، في روح كل انسان

ومع ذلك فقد كان المسرح في العصور الوسطى يعد لون من « التعليم المبهج » . وكانت أشهر الفرق المسرحية تفتتح مسرحياتها في قصر الملك أو الدوق ، ثم تنتقل بتجوب الريف والمدن على عربات مجهزة لتتحول إلى منصات للتمثيل في الشارع أو في السوق

وكانت تقابات الحرف تمول ذلك النشاط المسرحي إحياء للأسواق . وكانت الفرق تشارك حتى ، رغم ذلك الفن

وهو مسرح قد يقوم على [illegible] ، قد يعتمد على [illegible] كثيرة

[illegible] على حبل [illegible] الرعاءات الكثاة

وهو فن اصلي وقادر على التركيب الانساني العميق بواسطة عناصر وادوات بسيطة وواضحة

وهو يمزج الفكاهة بالجد في جرأة . ويحسم الانتقال بين المناظر بحرية لا تتقيد بالقيود الواقعية أو الديكورات المتكلفة والثقيلة

مسرح الفولكلور

نشأ المسرح الأخلاقي والمسرح الشامل للعصور الوسطى في الشارع .

ولكنه انتقل بعد ذلك إلى القصر ..

نشأ ذلك المسرح على أيدي المحترفين ممن احترفوا التمثيل وانتسبوا إلى المهنة كحرفيين صغار ، وتفاوتت سبلهم إلى الشهرة أو إلى الإفلاس حسب حظوظهم

ولكن بعضا من المثقفين وأبناء القصور ساهم في تأليف لهم أو التأليف لمسرح القصر الملكي أو قصر الدوق على نفس نمط التأليف السائد في الشارع والسوق ، وبنفس الأسلوب المتبع فيما سميناه المسرح الأخلاقي أو المسرح ذا المغزى المباشر

وقد عانى مسرح القصر ومسرح الشارع للعصور الوسطى نفس المصير ، فحذفته يد التجاهل والإقصاء والازدراء طوال قرون عصر النهضة الأوربية التي طغى مسرحها عليه ، منذ عصر شكسبير ، وغلبه على أمره ، فانزوى في أركان النسيان .

إلا أن العصر الذي نعيشه قد شهد حركة واسعة لاحياء الفولكلور والفنون القديمة . في العالم كله في بلادنا

وقد امتدت حركة الاحياء هذه جغرافيا . في الصين التي أحيت فنونها التقليدية في تصوير المنمنمات كما أحيت فن الأوبرا بكين ، وفي بلادنا حيث تتسابق الجهود لاحياء التراث الفكري والأدبي العربي ، وفي الغرب حيث يجري احياء المهرجانات الفنية القديمة .

وامتدت حركة الاحياء أيضا لتشمل كل الفنون . الموسيقى والغناء والشعر الشعبي والقصصي ..

فلماذا لا يكون للمسرح نصيب في حركة الاحياء هذه ؟

وقد شهد عصرنا الحديث في أوروبا خاصة حركة واسعة ردت الاعتبار للفن البدائي ورسوم الأطفال . وتجاوز الالتزام بقواعد المنظور في التصوير ، والتطلع إلى ثقافات بعيدة في الزمان أو المكان ..

فلماذا لا يكون للمسرح نصيب في ذلك ؟

وقد يلفت نظرنا نحن أبناء اللغة العربية هذا التوجه نحو إحياء الثقافات القديمة أكثر مما يلفت ذلك أنظار الأوروبيين عامة ، لأننا نملك من

تذكرة دخول ثانية إلى: مسرح العصور الوسطى

الفكاهة مع الاستعراض والغناء في مسرح العصور الوسطى

التراث الفولكلوري والرسمي ذخيرة في الفنون والآداب لا حدود لها . ومع ذلك فإن دورية تبحث أيضاً عن تاريخها وتراثها

وقد كان في هذا السياق ما قام به فنانو فرقة ممثلي العصور الوسطى من احياء لفن اسمنير الفولكلوري وفن العرض المسرحي الفولكلوري وما قامت به بعد ذلك فرقة المسرح القومي الاسكتلندي من احياء نص قديم من نصوص المسرح للعصور الوسطى هو موضوع حديثنا هنا

وكانت ذروة اعادة الاعتبار للمسرح القديم هي حفلة الافتتاح للمسرح القومي الاسكتلندي هذا الموسم ، والتي تميزت بحضور لملكه البرابث وأسرتها افتتاح مسرحية « نقد الطبقات الثلاث » من تأليف « السير دافيد ليند ساى » (١٤٨٦ — ١٥٥٥)

والمسرحيـــة كتبت وسئلت باللهجة الأسكتلندية ، وهي تختلف عن غيرها من اللهجات البريطانية بقصر الحروف المتحركة وجعجعة الحروف الساكنة

وكتبت المسرحية لمسرح البلاط الاسكتلندي عام ١٥٤٠ في عهد الملك جيمس الخامس وغابت منذ عصر النهضة فلم تر أضواء المسرح حتى هذا العام

وتتميز المسرحية بما يتميز به مسرح العصور

نقد الطبقات الثلاث

تفتتح التمثيل شخصية « الاجتهاد » الذي يدعو مجلس الطبقات الثلاث للانعقاد وهي طبقة النبلاء وطبقة العلماء ، وطبقة التجار أو البورجوازيين فيدخلون ليتخذوا أماكنهم بالمجلس .

وينقاطر الحقراء من أبواب صالة المسرح من غير دعوة ليحيطوا بالمسرح والمجلس

ويدخل الملك « جيمس » — هذا اسمه — وحوله حاشية تتألف من ثلاثة أشخاص هم « الجميع » و « المرافق » و « الأنيس » . وهؤلاء يرمزون له كشاب أن يدعو السيدة « شهوة » إلى حفلة بالقصر ويستطيعون بفكاهتهم أن ينفسوا عن تردده . فتدعى « شهوة » ويستسلم البلاط لسحرها وشدوها الجميل هي وفتياتها الساحرات

عندئذ يصل « حسن المشورة » (بضم الحاء وسكون السين) إلى المدينة فيهوله ما آلت اليه حال البلاد ويتوجه إلى قصر الملك لينصحه .

ولكن تأخذ عليه الطريق الشرور الثلاثة « الملق » و « الغش » و « الخداع » .. ويقوم بأدوارهم حسب تقاليد مسرح العصور الوسطى ثلاثة بهاليل من المشين المرحين يشيعون روح الفكاهة والسخرية من حولهم

انهم يصدونه عن الوصول إلى القصر ، ثم يدبرون أمرهم للوصول إلى الملك للفوز بعطاياه ، فيتنكرون في هيئة الزهد والتقوى والحكمة ، وبذلك يدخلون القصر ويسعون إلى تحقيق مآربهم

بتأثير من السيدة « شهوة » والشرور الثلاثة يرفض الملك استقبال « حسن مشورة » ، ويحكم على « الفضيلة » و « التقوى » بالحبس بعد أن لفقت لهما الاتهامات فتوضع القيود في الأغلال

وقد آلت البلاد للسقوط في أيدي الأوغاد ، وأشرفت على الافلاس والخراب ، وشملتها الفوضى

ولكن في اللحظة الحرجة يصل إلى المسرح « الاصلاح السماوي » أو « ان شئت » رسول العناية ، وجنده الأشداء ، وردائه المرصع بألوان الطيف وموسيقاه الفوية فيعم الفزع والاضطراب في القصر وتفر الشرور الثلاثة بعد أن سرقت الخزانة

أطلق « الاصلاح » سراح « الفضيلة » و « التقوى » ، وقضى على « شهوة » بالنفي فغرت لتختبئ بين أعضاء مجلس الطبقات (!)

الآن تحيط بالملك « الفضيلة » و « التقوى »

ويلازمه «حسن المشورة». ويعد الملك رعاياه بالاصلاح فيأمره «الاصلاح العمومي» بدعوة مجلس الطبقات للاجتماع في هيئة برلمان لاصلاح البلاد. ويقوم «الاجتهاد» بدعوة البرلمان. ويعلن للجمهور وقف تعطيل المسرحية

استرون إلى الخلف

يفتتح الفصل الثاني بمشهد فكاهي بين رجل فقير يبحث عن العدالة وراهب يبيع صكوك الغفران للجمهور بتوقيع بابا روما

ويهرب النزاع بين الاثنين. فيدخل «الاجتهاد» وهما مشتبكان. فيطردهما ويدعو أعضاء مجلس الطبقات للاجتماع

إلا أن الأعضاء يدخلون إلى منصة المسرح بظهورهم. ويتجهون إلى أماكنهم سائرين إلى الخلف. ويتعثرون ويوقع بعضهم بعضاً وهم في الطريق إلى كراسيهم

إن أعضاء مجلس الطبقات أو البرلمان لن يسلموا بدورهم من سخرية المؤلف ونقده اللاذع

يدعى الناس لتقديم شكاواهم

ويتقدم للشكوى عامل فقير يمثل بسطاء الناس اسمه «جون عجلة»

يتهم «عجلة» البرلمان وسلطانه الثلاثة بالضعف والانقياد لسطوة «الملك» و«الغش و الخداع». فيأمر «الاصلاح» جنوده الأشداء بمداهمة المجلس والقبض على الشرور الثلاثة ووضعهم في أغلال. فمنه لتثور عليهم بين الأعضاء. ويشتد الأمر فيهم

ولكن «جون عجلة» يواصل اتهام رجال الكنيسة من الكرادلة باساءة استخدام بسطة والاثراء غير المشروع. فيستدعي رؤساءهم لتحقيق أمام نواب الطبقين الآخرين. ويحكم عليهم «بالصلاح» ويُقرّر حكم بالاعدام على الشرور

الحكمة والجمال

[illegible] كما ترى اسمه بحذافيره كلمة ودمه. أو بحكايات الشعبية القديمة. يستهدف من تركيبها المسرحي والمباشر. ومن تقطيع مصائر شخصياتها مجرية الموصل إلى الحكمة الأخيرة والخلاصة الفكرية

وعلى التلخيص الذي أوردته لمسرحيته لا يخفى ما تتميز به من قوة البنية وتشعباتها ومن قوة السرد إلى جانب حكمته الفصل فضلا عما تتميز به المسرحية من استعراض وعدد وفكاهة راقية ومواقف مسرحية محكمة «قوية

[illegible]

المؤلف

[illegible]

ثلاثة عشر شخصاً من الشرور و الخداع ويتم تنفيذ الحكم عليهم. الا ان الشر يستطيع الفرار. ويتعقبه جميع من ملاحقته فيحتمي ويختفي عن الانظار بحيث لا يستطيع جنود الاصلاح الأشداء تنفيذ الحكم عليه!

«الملك» عبد الموقف هو الفجي الوحيد في كل الأحوال!

ومسرحنا القديم

نستطيع أن نزعم أن ثقافتنا العربية، وحركتنا الفنية العربية قد سبقت الانجليز في اهتمامهم بالمسرح المسرحي القديم وتقدير قيمه الفنية

وقد طرح قضيته في الجانب النظري كل من توفيق الحكيم في كتابه «قالبنا المسرحي»، و«شكسبير» في براعي في كتابه «كوميديا المرتجلة»، فضلا عن يوسف ادريس وغيرهم.

كما طرح قضيته في الجانب الفني عدد من المؤلفين المسرحيين كل منهم بأسلوبه، باحياء أسلوبه وجمالياته

ولكننا لم نصبر على تطوير أفكارنا ومواصلة درسها. كما أن الطرح القوي لقضية مسرحنا القديم لم يغر بعد جامعاتنا ومعاهدنا الفنية وشباب الباحثين بتكثيف الجهود في مجال احياء واظهار مسرح السامر ومسرح الحلقة ومسرح الحيظين فضلا عن خيال الظل ومسرح الدمى القديم

وننتظر من جانب آخر أن تتقدم جماعة من الشباب المثقفين وفناني المسرح بالريادة في هذا المجال. واجتذاب الجمهور حول هذا المسرح القديم.. للخروج بمسرحنا العربي القومي مما يعانيه من اذلال التكرار والتقليد. ومحاولات عبثية لخطف أضواء من ضوء المسرح العربي دون تمعن ودون فهم ودون تأمل. وباستعجال وسطحية لا تليق بمسرح قومي يريد أن يرسي دعائم للثقافة والحضارة العربية تصمد لتحديات القرن الحادي والعشرين

الفريد فرج

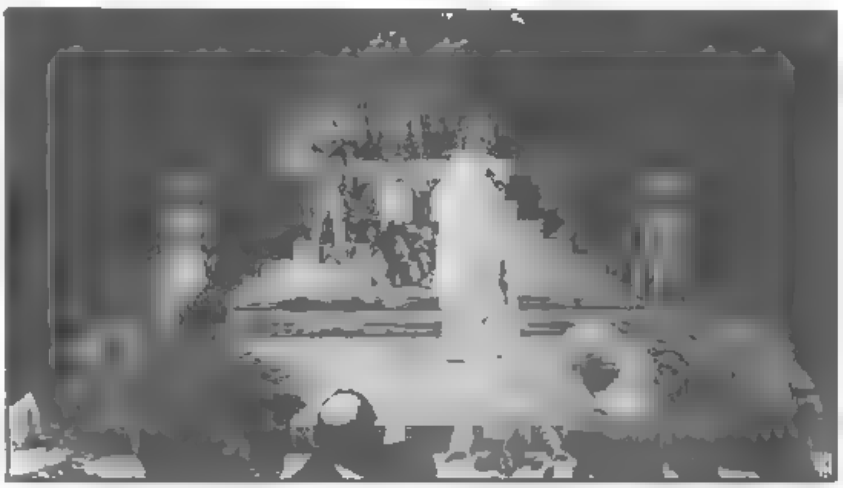

مشهد من مسرحية «[illegible]» لبيتر [illegible] ١٩٧٠، وهي تحمل [illegible] بريطانيا بيتر بروك بجوائزه في هذه

يوسف الشـــــاروني

محنة الفنون

في عصر السينما والراديو والتليفزيون

أصبحت وسائل الاتصال الجماهيري من سينما الى اذاعة الى تليفزيون هي الوسيلة الرئيسية في النصف الثاني من القرن العشرين للجماهير العريضة للحصول على المتعة الفنية وذلك على نطاق عالمي بوجه عام . وفي بلاد مثل بلادنا ترتفع فيها نسبة الأمية الأبجدية الثقافية بوجه خاص

وواضح أن هذه الوسائل تقدم أعمالها الفنية على أساس جماعي وهو شبيه — وان كان بطريقة مختلفة — بما كان يحدث للعمل القصصي فيما قبل عصر انتشار الطباعة حين كان كل راو يُدخل على حصيلة عصره ومفاهيمه على العمل القصصي الذي يحفظه عن السلف ويرويه لجمهور مستمعيه حتى يجعله عملا معاصراً يجذب الانتباه . إن أمراً مماثلا يحدث اذن بالنسبة لكل عمل قصصي يعرض عن طريق هذه الوسائل الثلاث . ذلك أن كاتب السيناريو يحذف ويضيف إلى القصة بما يتفق مع الاذاعة المسموعة أو المرئية . وكذلك يتدخل المخرج بما يوفق بين رؤية الفنية وما يتخيل أنه يرضي أذواق الجماهير . حتى الممثل فإن أداءه يضفي على ما أنجزه المؤلف كاتب السيناريو و مخرج والمصور ومصمم الديكور ومصمم الملابس . . الخ يضفي طابعه الخاص . حتى إن العمل السينمائي أو التليفزيوني الواحد يختلف باختلاف المخرج أو الممثل ومعنى هذا أن الفن أصبح فرداً في مجموعة . حقاً إنه لايزال يكتب القصة منفرداً ، وقد يقرؤها الخاصة كما كتبها ، وهم في الأغلب المجموعة التي تريد أن تتعلم منها لكي يصبح أفرادها قصصيين في المستقبل مثله ، فهو يكتب إذن مباشرة لجمهور خاص محدود إنما قيس بالجماهير العريضة التي لن تتذوقه كما كتب عمله القصصي مباشرة . لكنها ستتعرف عليه من خلال هذه الوسائل الجماهيرية الجديدة بعد أن تم الحذف من عمله الأصلي أو أضيف إليه بما يتفق وتصور المجموعة التي تناولت عمله ومدى عبقريتها بما يتفق مع تحويل الكلمة المكتوبة إلى كلمة مسموعة أو مرئية (١)

مراحل الانتاج الفني

في الانتاج السينمائي يتناقش منتج قصة سينمائية . ويطلب من مؤلف الدراما الإذاعية و التليفزيونية أن يقتطع الخمس أو الربع مما ألفه حتى لا تتجاوز الدراما الوقت المحدد لاذاعتها . فاذا لم يفعل اقتطعها شخص آخر وتحديد حجم العمل الابداعي معروف منذ القدم فقد حدد أرسطو حجم المسرحية . وكان الكاتب المسرحي يلزم نفسه بهذا الحجم كما يلزم نفسه بقيود الشعر التي يكتب بها مسرحيته . ومنذ ظهور الصحافة نجد أن رئيس التحرير أو المشرف على صفحة الأدب يحدد للكاتب : كاتب القصة القصيرة أو الرواية المسلسلة أو قصيدة الشعر مساحة النشر المتاحة له فتحديد زمن العرض أو الاذاعة إذن ليس جديداً بالنسبة لمؤلفي القصص السينمائية أو الاذاعية أو التليفزيونية ولكن هؤلاء المؤلفين يفقدون فرديتهم منذ اللحظة التي يطلب من أحدهم فيها أن يقدم أولا ملخصاً لفكرته . يتم عرضها — ربما على أصحاب شركات الاعلان — بقبولها أو رفضها أو تعديلها . وشتان بين الملخص وبين العمل الأدبي المرتبط بسياقاته والتي ربما يتعذر على مؤلف « القصة المطبوعة » تلخيصها لأنها مرتبطة بأسلوبها بل بكل كلمة فيها وبغض النظر عن قيمة العمل الدرامي — وقد تم تحويل القصة إلى عمل درامي تطويعاً لهذه الوسائل الوسيطة — فإن عمله شركات الاعلان يكون معصباً على عدم الاضافة إلى أحد ممن يحتمل أن يصبحوا من زبائنها

(٢) فاذا تمت الموافقة على الملخص أو تم تعديله على الكاتب أن يحول ملخصه إلى نص بعد أن يكون قد مضى على تقديمه الملخص عدة أسابيع . ومعنى ذلك بالنسبة للمبدع الذي تكون المطبعة أداة توصل ابداعه لجمهور قرائه هو أن يفقد حماسه أو اتصاله الشعوري لأنه فقد اللحظة النفسية التي سبق أن دفعته إلى الابداع والحالة الوجدانية التي كان يعيشها لحظة الابداع بينما على مؤلف الدراما في الفنون الحركية — السينما والاذاعة والتليفزيون — أن يأخذ نفسه بعادات مختلفة عن عادات سلفه الذي يبدو مدللا بالنسبة له فكلمات الوحي الفني والالهام هنا كلمات متحفية تاريخية ، إن عليه أن يستأنف ما انقطع منذ أسابيع ، وان يصطنع الحالة الوجدانية التي تدفعه إلى خلق التفاصيل بما يتفق وما سبق أن قدمه في الملخص ، أو ما طلب منه من تعديلات ، لا تساعده في ذلك إلا خبرته وحاجته إلى جمهور والى مال . فالكتابة هنا أقرب إلى ما نسميها الصنعة ، لأن صاحبها يقدم ما يمليه عليه السوق

ونحن لا نقول إن المبدع في عصر المطبعة كان يقدم ما يمتهجنه السوق ، ولكنه الفرق بين الالزام والالتزام . الالزام هو ما تعد أو ترعى ما تؤمر به من سلطة خارجية قبل أن تتمثله في داخلك . أما الالتزام فهو أن تقدم ما تكون قد تمثلته

- لماذا ضاعت فردية الإبداع التي تمتع بها المؤلف في عصر المطبعة؟
- المؤهل الأول لكاتب الإذاعة والتليفزيون هو القدرة على الكتابة تحت ضغط الظروف المتصلة بمواعيد الإرسال!
- بعض النقابات تطلب الآن بمصادرة أحيت عملا فنيا يتعرض لأعضاء هذه النقابات!
- أصبح المؤلف التليفزيوني مطلبا باستخدام كل براعته وجميله الفنية حتى لا يغتلق التليفزيون في وجه عمه!
- بعض الذين يدافعون عن الأدب قالوا: إن الثقافة الروحية مجهود، وكل نظام يضعف المجهود فهو يضعف الثقافة أيضا

وتشربته واقتنعت به. بينما كثير من كتاب الفنون الحركية يمارسون كتاباتهم ممارسة الصانع لمهنته وليس ممارسة المبدع لفنه

مشاكل الكاتب المبدع

ويرجع اربوندهوزر في كتابه «الفن والمجتمع عبر التاريخ» أزمة الفيلم إلى أنه لا يجد كتابه. وبعبارة أدق إلى أن الكتاب لا يجدون طريقهم إلى الفيلم. فالكتاب الذين اعتادوا أن يفعلوا ما يشاؤون داخل جدرانهم الأربعة أصبح عليهم الآن أن يعملوا حساب المنتجين والمخرجين وكتاب السيناريو والمصورين والمديرين وسائر أنواع الفنيين، على الرغم من أنهم لا يعترفون ببسيطة روح التعاون هذه، أو حتى بفكرة التعاون أصلا. فمشاعرهم تثور على فكرة انتاج أعمال فنية تسليمها إلى جماعة أو شركة. يستطيعون هم أنفسهم في كثير من الأحيان أن يعللوا دوافعهم — في بد قوة خارجية تفرضها عليهم فرضاً. أو في بد أغلبية على أحسن الفروض — والمسألة مسألة ظاهرتين تنتميان إلى فترتين زمانيتين متباينتين، الكاتب المنعزل الوحيد الذي يعتمد على قريحته الخاصة من جهة، ومشكلات الفيلم التي لا يمكن أن تحل إلا جماعياً من جهة أخرى. فالوحدة التعاونية للفيلم هي سبق لأسلوب اجتماعي لم نصبح بعد أكفاء له (٣). وكل ما يجرى على الفيلم ينطبق بالتالي على كل من الإذاعة والتليفزيون.

ذلك انه عندما ينتهي الكاتب من كتابة نص لاحدى وسائل الاتصال الجماهيري المسموعة أو المرئية — بعد أن ووفق على فكرته — يقدمه من جديد إلى محرج وسيخ ومرة أخرى تعقد لجان مناقشة النص ومرة أخرى تعرض مرئيات المعدين للتنقيح ويختلف بحدة الفنيون من جنود هذه الجيوش المختلفة العصبيات ويتدخل الأمر المباشر في أحيان كثيرة فيصبح من العبث أن يعهد إلى المؤلف حتى بالموقف الذي يفكر بعقلية أدبية بحتة ويحتج ويذهب بالذهول عندما يرى على شاشة السينما والتليفزيون ما آل إليه النص الذي كتبه. ويمكننا أن نقارن معظم ما قرأناه من روايات بما نشاهده منها على شاشة السينما أو في حلقات تليفزيونية

فكل برامج الاذاعة والتليفزيون تكتب ثم تعاد كتابتها بحيث تتم في المواعيد النهائية المقررة مما لا يمنح الكاتب إلا عدداً محدداً من الساعات للكتابة. فالمؤهل الأول للكاتب هنا هو القدرة على الكتابة تحت ضغط ظروف المتصلة بمواعيد هذه الأجهزة. والمقدرة على تقبل النقد عظيمة القيمة هنا. لأنها تعني أكثر من عدم التجهم، فتلقي النقد معناه فهمه فهماً جيداً أو سريعاً بما يكفل تنفيذ الاقتراحات في فترة اختصره أو اعادة كتابة جزء منه حتى يتضمن سحراً أو إشارة معينة (٤) فالقصاص الذي تصل قصته الى الجمهور عن طريق هذه الوسائل الوسيطة يأتي دوره في الدرجة الثانية فرغم أن القصة كلها أساساً من ابداعه إلا أن المشاهدين يرون عمله عن طريق عدسة الكاميرا، وتتولى تفسيره عمليات المونتاج الخلاق وتوجيهات المخرجين وأداء الممثلين (٥)

وهكذا تذوب تماما فردية المؤلف في عصر وسائل الاتصال الجماهيري، كما ذابت من قبل في عصر الرواية الشفهية، وتصبح فردية الابداع — التي يتمتع بها المؤلف في عصر المطبعة — أمرا شبه مستحيل.

وانني كثيراً ما أتساءل ما إذ كان ذلك احدى الدلالات على زوال عصر الفردية — اذ يكون لي رأيي ولا يكون لك رأيك ونتعايش معاً — والذي تزامن وعصر المطبعة. ودخولنا مرة أخرى عصر الرأي الواحد. وهل هذه الأجهزة احد أسباب أم إحدى نتائج ما نحن قد تكون مقبلين عليه؟

جماهيرية التلقي

أن جماهيرية التلقي لوسائل الاتصال الجماهيري فهو أمر نفترض حتى ولو كان من الممكن تحقيقه أحيانا. لكن الأغلب الأعم هو أن يكون هناك جمهور قد يتسع كما في حالة السينما وقد يضيق كما في حال الاستماع إلى الاذاعة أو مشاهدة التليفزيون أحيانا ويكون حكم المتلقي هنا متأثراً بمن حوله من الجمهور أو سخط. وليس حكما فرديا كما في حالة القراءة، وما أشبه هذا المتلقي المعاصر بسلفه حين كان يجلس في المقهى مع جمهور المتلقين أمثاله يستمع إلى الشاعر ذي الربابة.

هذه الجماهيرية عند كل من المبدع والمتلقي في الفنون المعروضة عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري تجعلها أقل حرية من الفنون الأدبية التي تقوم على فردية المبدع والمتلقي.

أول هذه القيود أن الرقابة على الأعمال المعروضة عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري أكثر صرامة من رقابة الكتاب أو حتى المسرح. ذلك أنه كلما اتسعت دائرة الجمهور المتلقي كان التأثير أوسع نطاقا. وبالتالي كانت الرقابة أشد. وتأتي

فن الممثل في عصر السينما والراديو والتليفزيون

الرقابة السياسية في المقدمة . أما الرقابة الأخلاقية أو الدينية أو رقابة التقليد والعرف فتختلف من بلد إلى آخر . وقد وصلت الرقابة — كما سمعنا أخيرا — إلى حد مطالبة بعض النقابات المهنية بمصادرة كل عمل فني يصل إلى الجمهور عن طريق إحدى وسائل الاتصال الجماهيرية إذا كانت مهنة إحدى شخصياته المنحرفة ينتمي ، أو إحدى هذه العقبات

يقول بادي تشايفسكي في كتابه (ثلاث تمثيليات للتليفزيون) . فالدراما في التليفزيون تختلف عنها في الاذاعة عنها في المسرح بل ، عنها في السينما فالاذاعة والتليفزيون على وجه الخصوص تسمح وتشاهد في الأوساط العائلية والمنازل والمدارس والنوادي وما أشبه ذلك . وما دام هذان الجهازان موجودين في المنازل ، فالاستماع إلى أحدهما أو مشاهدة الآخر سيكون متاحاً لجميع أفراد الأسرة ، كبيرها وصغيرها على السواء . وهذا يستلزم أن تكون الموضوعات المذاعة والتي لا تخدش الحياء . فتحذف منها مثلا المناظر الجنسية ومناظر العنف كالقتل ، كذلك الأمر مع المسرحيات التي تعرض عن طريق شاشة التليفزيون إذ تحذف منها المشاهد المماثلة وأحيانا يكتفي بحجب الصوت إذا كانت الألفاظ غير لائقة

إن الفنون التي تعرض على جمهور كبير محتشد في مكان واحد معاً تشطر إلى مختلفة لعامل المشترك البسيط — إذا جاز لنا أن نستعير المصطلحات الرياضية — بين هذا الجمهور ، حتى قيل إنها تخاطب مستوى من الذكاء يعادل عقلية صبي في الرابعة عشرة من عمره .

والعامل المشترك البسيط بجمهور السينما أقل بكثير من العامل المشترك لجمهور المسرح أو حفلة موسيقية . فمجرد حضور مسرحية حديثة في مدينة كبرى تقوم بها فرقة مسرحية لها شعبية ويقتضي الاستعدادات الداخلية أو الخارجية مثل حجز المقاعد مقدما والحضور في وقت محدد والتأهب مهمة تملأ وقت السهرة . على حين أن المرء يحضر السينما ربما بطريقة عابرة ، وفي أي وقت إذا كان العرض مستمراً ويربط أرنولد هاوزر بين وجهة النظر العادية التي يتخذها الفيلم ، وانطباع الارتجالي غير المتكلف الذي يتسم به ارتياد السينما ، ويرى أن هناك جهداً مبذولا من أجل جذب أعداد أكبر من المستهلكين بغية تغطية نفقات الاستثمار المتزايدة . ولقد كان من الممكن تغطية التكاليف اللازمة لأوبريت عن طريق مسرح متوسط الحجم ، بينما كان على الفرقة الاستعراضية أو فرقة الباليه الكبيرة أن تسافر من مدينة كبيرة إلى أخرى لكي تغطي نفقاتها أما الفيلم الكبير فينبغي أن يسهم في تمويله رواد السينما في العالم بأكمله لكي يغطوا رأس المال المستثمر فيه ، وهذه الحقيقة تحدد تأثير الجماهير الشعبية في انتاج الفن . فهي لم تستطع أبداً عن طريق مجرد حضورها العروض المسرحية في أثينا وفي العصور الوسطى أن تؤثر في أساليب الفن تأثيراً مباشراً ، فدخول المسرح الاغريقي لم يكن مجاناً فحسب ، بل كانت الدولة تمنح كل مواطن مكافأة كتعويض جزئي عما يضيع عليه من كسب بسبب انقطاعه عن العمل لمشاهدة المسرح الذي كان يدوم اليوم كله ويستمر ثلاثة أيام . وكانت هذه المكافأة تسمى بدل مسرح وكان الجمهور يستفتى فيما يعرض عليه ، فقد كانت تعرض مسابقات سنوية خلال هذه الأيام الثلاثة . يرخص كل يوم فيها بشاعر من كبار الشعراء يعرض فيه ما كان يسمى رباعية مؤلفة من ثلاث مآس أي تراجيديا ثم مسرحية رابعة هزلية ويمنح الفائز غصن الزيتون وينقش اسمه على لوحة الخالدين ، ولكن منذ أن ظهرت الجماهير بوصفها جماهير مستهلكة (بكسر اللام) ، وأصبح أفرادها يدفعون الثمن الكامل متمتعة ، عندئذ فقط أصبحت الشروط التي يدفعون بها أموالهم عاملا حاسما في تاريخ الفن . وأحيانا ما يكون تصفيق أو عرض ما يعرضهم — وإن لم يكن في صالحهم — سمة أخرى من السمات التاريخية لوسائل الاتصال الجماهيري

جاذبية الفنون أمام الجمهور

وإذا كان استخدام الآلات في الانتاج قد حد بوفر من مجهود الانسان العضلي ، فانه قد استبدل بهذا المجهود مجهودا آخر لا يقل قسوة وستهلاكا للانسان وهو المجهود العصبي فسائق السيارة أو الجرار مثلا قد يظل جالساً ست ساعات أو أكثر دون أن يبذل أي مجهود عقلي ، ولكنه مع ذلك يبذل مجهوداً عصبياً قاسياً يرهقه لمستمرة وانتباهه المتصل . وقد أثبت علم التشريح أن الجسم أكثر عجزاً عن تجديد النشاط العصبي منه عن تجديد النشاط العضلي ، ولو أننا أضفنا إلى كل ذلك مشقات الحياة العصرية التي تزداد تعقيدا بالنسبة إلى الحياة البدائية القديمة ، لأدركنا مدى عجز الانسان المعاصر عن توفير ما يلزم من جهد وطاقة للقراءة ، بحيث يتضح لنا الأساس العضوي والنفسي الذي تستند إليه الاذاعة وغيرها من أجهزة السمع والبصر في منافستها للقراءة فهذه الأجهزة تستمد قوتها من قانون انساني عام هو قانون أقل الجهود . وجاذبية هذ القانون للانسان المجتهد في عصرنا الحاضر (٦) . فالناس ينظرون إلى هذه الأجهزة نظرتهم إلى أجهزة للتسلية والترفيه . والثقافة تتطلب حالة نفسية جدة وتأهبا أراديا لتحصيلها ، ثم مجهوداً حقيقياً يجب أن يبذل في سبيلها

ولكن من ناحية أخرى يمكن القول إن الاذاعة بتقديمها للمسرحيات تعزز أهمية النص الأدبي للمسرحية ، ولا تدع حركات التمثيل أو المناظر تطغى على ذلك النص بحيث يمكن القول إن الاذاعة تؤدي إلى تعزيز الأدب التمثيلي وتقريبه من اهتمام عامة الناس وذلك لأن حسن الالقاء والتلغيم وحسن استخدام المؤثرات الصوتية يضعف من قوة تأثير النص الأدبي بما يلقيه فيه من حياة دون أن تطغى الحركة لتمثيلية والمناظر — كما سبق أن ذكرنا — على النص الأدبي (٧)

الكتابة في التليفزيون

والمؤلف المسرحي يعرف دائما رأي جمهوره في مسرحيته فتصفيق أو الفهقهات المنبعثة من أرجاء الصالة أو الصمت التام أو الزحام هي المقاعد دلالة على مدى ما يبعثه عمله من اقبال واعجاب . وعلى العكس من ذلك إذا قوبل عمله بالصفير وصيحات الاستهجان وخلو المقاعد من شاهليه . فالمسرحية لا تصبح عملا فنيا متكاملا حتى تقدم إلى جمهورها ولهذا ربما كانت الرغبة في التعلم من الجمهور هي أثمن ما يستطيع لكاتب المسرحي عاشق أن يكتسبه للتقدم في كتابه المسرحية وحتى كاتب سيناريو السينمائي — برغم أنه لا يعمل من خلال ممثلين من لحم ودم — إلا أنه يستطيع ملاحظة رد فعل عمله على الجمهور المحتشد في دار العرض ، كما أن هناك شباك تذاكر يدل كلا من الكاتبين — المسرحي والسينمائي — دلالة لا لبس فيها على مدى نجاح عمليهما جماهيريا

ولكن المؤلف الاذاعي والتليفزيوني — على عكس صاحبيهما — يكتبان في ثبه فلكل منهما جمهور يقدر بأضعاف جمهور المسرح والسينما ، ولكنه جمهور خفي فلا يمكن التأكد — في أية لحظة — إذا كانت هذه الملايين تشاهد تمثيلية أم أنها أغلقت أجهزة الاستقبال في وجهها لهذا لا ينطبق عليها هذا القول المأثور بأن الجمهور جزء من تمثيليه .

والحقيقة أنه ليس للمؤلف الاذاعي أو التليفزيوني جمهور بالمعنى المتعارف عليه ، لكن له عددا كبيرا من المشاهدين ، يشاهدون عمله إما فرادى وإما في مجموعات قليلة العدد . وهذا موقف جديد كل الجدة على المؤلف الدرامي ، وعليه كي يجابهه ألا يتعلم حرفة جديدة فحسب ، بل يتعلم وجهة نظر جديدة (٨)

فتأليف الاذاعي والتليفزيوني معناه أن المؤلف يحاول أن يقص قصة على شخص أو عدة أشخاص ليسو مضطرين إلى سماعه ، ولم يتكلفوا أجر مقعد في دار عرض لمشاهدتها ولا تهيؤا خصيصا لرؤيتها . كما أن جو المنزل الغارق في الضوء يسمح بمشتتات وملهيات لا حصر لها . ومن ثم يتحتم على المؤلف التليفزيوني أن يستخدم كل براعته ، ويستفيد من

كل الحيل الفنية ، كي يجعل الأشياء واضحة أمام المشاهد وجذابة حتى لا يغلق جهاز الاستقبال .

يقول جورج نوثر في كتابه (دليل التأليف التيلفزيوني) إن على مؤلف التليفزيون ألا يشعل عود ثقاب بل أن يطلق صاروخا ، لا يأخذ بيدك في رفق بل يقبض على رقبتك ويقتلعك من مكانك اقتلاعا بينما المؤلف الروائي والمؤلف المسرحي وكاتب السيناريو السينمائي في غنى عن ذلك (٩) .

مجالات الاختيار

وكل ثقافة تتطلب اختياراً للنوع الذى يريده الانسان منها ، ومجال الاختيار فى كل من السينما والاذاعة والتليفزيون محدود بعدد دور السينما القريبة ومحطات الاذاعة وقنوات التليفزيون مما لا يقاس بمجال الاختيار فيما يراد قراءته من كتب ومجلات . وهى حرية تعود فتبعثها من جديد ـ فيما يبدو ـ انتشار الأشرطة السمعية والبصرية أو الكاسيت والفيديو كاسيت .

أخذ البعض على جهازى الاذاعة والتليفزيون أن مخاطبتها لعدد مهول من الجماعات يعمل على نشر روح القطيع ، أى نشر ما يسمى بالكونفورميزم أي الطابعية التى تدمغ الناس بطابع واحد ، وتصب أرواحهم وعقولهم فى قالب واحد . مما يقضى على الأصالة الفردية وحرية الرأي والاختيار وان كان يمكن القول من ناحية أخرى إنها تقرب بين العقول فى النظر الى الحياة وان المجتمع . وتنمى التقارب فى التفكير السياسى والاجتماعى والقومى (١٠) .

خلاصة القول ان الجمهور المتلقى تطور من جمهور المسرح أو الأوبرا أو البالية وهو جمهور محدود العدد له ذوق متجانس ، يتألف أفراده لفيف سهرتهم ، بحيث يكونون جماعة ذات طابع خاص يختلفون عن المارة فى عرض الشوارع أو الجالسين على المقاهى . فلما اخترعت السينما كانت تكاليف الفيلم من الارتفاع بحيث أصبح على منتجيه أن يعرضوه على جمهور أوسع ، لا لاستعادة رأس المال المستغل فحسب بل وللحصول على أرباح . فأصبح الفيلم يعرض على شعوب مختلفة الأذواق والمستويات والتقاليد والعقائد ، وهو يحاول أن يخاطبها جميعا وأن يجتذبها ويخرج النقود من جيوبها . وهكذا فقد الجمهور تجانسه النسبى الذى كان يتميز به جمهور المسرح والأوبرا ، بل وجمهور المقاهى فى بلادنا وهو يستمع إلى شاعر الربابة يغنى سيرتنا الشعبية . فلما اخترعت الاذاعة والتليفزيون ، بقدر ما ازداد اتساع الجمهور بقدر ما قل الجهد المبذول من جانب المتلقى فى التمييز للاستماع أو المشاهدة . فلئن تضاءل تجانس جمهور السينما فقد كان هناك ما يزال جهد جانب المشاهدين فى الذهاب إلى قاعات السينما ودفع أجر معين عند الدخول والتأهب لقضاء سهرة كاملة ، كما أن الظلمة التى تشمل القاعة تعزل أفراد الجمهور بعضهم عن بعض رغم انهم يشعرون بتكتلهم مما يجعل احساسهم بالفردية والجماعية شبه متعادل . فكأنما السينما بذلك كانت مرحلة وسطى بين فنون المسرح والأوبرا والباليه وفنون الاذاعة والتليفزيون . ثم العون التى تسللت الآن داخل البيوت بحيث تضاعف عدد المشاهدين تضاعفاً مهولا ، لكن بقدر اتساع الجمهور بقدر ضحالته النفسية . فليس ثمة تأهب خاص ولا جهد مبذول فى الاستماع والمشاهدة ، وليس ثمة عزلة للمتلقى تعينه على التركيز ، بل ربما يستمع الى الاذاعة أو يشاهد التليفزيون وهو يتسامر مع ضيوفه أو بعد عشائه ولهذا فمن الممكن ببساطة إذا لم يجذب العرض المشاهدين اغلاق الشاشة فى أية لحظة بحيث يصدق القول (اتسعت الساحة وقل العمق) والبعض مثل ديهاميل فى كتابه (دفاع عن الأدب) يعلن أن الثقافة الروحية مجهود وكل نظام للحضارة يضعف المجهود فهو يضعف الثقافة أيضاً

الاختراعات وبداية المشاكل

ويقول روجر م بسفيلد (الإيطالي) فى كتابه (فن الكاتب المسرحي) لقد كان لزاما على القصاص المسرحي ـ وذلك لعدة آلاف من السنين أن يحصر نفسه فى مساحة محددة تؤدى فيه مسرحيته [illegible] ، مكان محدد خمسة أقدام لا تتعدى ذلك إلا مساحات لمحدودة كنهر كان يتم ترتيبها بحيث تستوعب جمهور من عدد محدد و كله واحده ـ وليس افرادا متباعدين ـ مشاهده احداث الذى يصوره الممثلون أو يحاكونه وقد أطلقت المدينة على هذا المزيج الذى يتكون من التمثيلية وحلبة التمثيل وجمهور النظارة كلمة المسرح .

وبطلوع فجر القرن العشرين ، وظهور اختراعات إديسون وماركوني ، بدأ عصر الالكترونيات وبدأ المسرح فترة جديدة من التحول تبعاً لذلك ، ولم يعد الكاتب المسرحي هذا الوسيط الواحد فحسب . . وسيط المنصة المسرحية التى يقفز من فوقها قفزاً ... بل أصبح يملك ثلاثة أوساط أخرى جديدة هي : شاشة الصور متحركة ، ميكروفون الاذاعة ، ثم شاشة تليفزيون اخر الأمر

وكانت الصور المتحركة أول هذه الأوساط الثلاثة ، وبظهورها أصبح فى وسع الحدسة المتفحصة بمستطاعها أن تتلمس أدق العواطف وأشدها إرهافاً وتكبرها فوق شاشة واسعة ، كما بلغ فن التمثيل ـ فى تعبيره بقسمات والوجه واستخدامه وقفة التردد ـ مستوى جديدا رفيعاً أما جمهور المتفرجين فظل كما هو محتشداً إلى بعضه البعض ، يستجيب لما يرى استجابة الجماعة الواحدة ، إلا أن الاستجابة الفورية بين الممثلين الأحياء وجمهور النظارة تلاشت واختفت ، ومن ثم كان على كاتب الدراما أن يغير من فنه الكتابى وفى مقابل ما خسره الممثل السينمائي من علاقة مباشرة بينه وبين جمهوره ، فقد كسب انتشاراً أوسع لأن العلاقة بين السينما والمسرح كالعلاقة بين الكتاب المطبوع والكتاب المخطوط .

ثم ظهر الوسيط الاذاعى . وهنا نشأ مسرح التخيل الذهنى ، وتلفت جمهور القرن العشرين إلى أفراد أصبحت أذهانهم ـ عبر آذانهم ـ هى المدرج الجديد الذى يكتب له المؤلف المسرحي كما أصبحت أصوات الآلات وأصوات الممثلين والموسيقى حافزها المستثير . واكتشف القصاص الدرامى فناً كتابياً جديداً للربط بين الحدث والشخصيات فى تمثيلياته وبين الأذن الانسانية المدركة

ولكن العلم لم ينقطع مدده للمؤلف المسرحي ، فما لبث أن أتاح له القرن العشرون المزاوجة بين العناصر البصرية لشاشة الصور المتحركة وبين قدرات الالكترونيات فى اجتياز المسافات وذلك عن طريق وسيط جديد هو التليفزيون . ومن ثم أصبحت غرف الجلوس فى جميع أرجاء العالم هى مدرجه الجديد .

يوسف الشاروني

---

١ ـ يوسف الشاروني ، القصة والمجتمع ، سلسلة كتابك رقم ٧٤ ، دار المعارف ، ١٩٧٧ ، ص ٢٢ ـ ٢٣

٢ ـ بادي شابلسكي ، ثلاث تمثيليات للتليفزيون ترجمة صلاح عز الدين ، مكتبة مصر ، ١٩٦٠ ، ص ٢٧

٣ ـ أرنولد هاوزر ، الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ترجمة د. فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للتأليف . ١٩٧١ جـ ٢ ، ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩

٤ ـ كنجسون وكولوجيل آخرون ، الاذاعة بالراديو والتليفزيون ، ترجمة نبيل بدر ، المؤسسة العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٩١ ـ ٩٢ .

٥ ـ المرجع السابق ، ص ١١١ ـ ١١٢ .

٦ ـ د. محمد مندور ، الثقافة وأجهزتها ، مركز التربية الأساسية فى العالم العربى ، ١٩٥٨ ، ص ٢١ و ٢٢

٧ ـ المرجع السابق ، ص ٢٥

٨ ـ سير بازيل بارنليت تأليف التمثيلية التليفزيونية ترجمة عزت النصيري ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٣٨ .

٩ ـ جورج نوثر ، دليل التأليف التليفزيوني ، ترجمة عزت النصيري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ ، ص ١٦

١٠ ـ الثقافة وأجهزتها ، ص ٢٨

١١ ـ جورج ديهاميل ، دفاع عن الأدب ، ترجمة د. محمد مندور الدار القومية لطباعة والنشر ١٩٦٤ ، ص ٤٢

هل يعود الشعر إلى جولة بغير دليل في دار المحدثين؟

مدرسة شعرية ولكن!

محمود سامي البارودي

حسين مطران

بقلم: الدكتور كمال نشأت

المتابع لحركة الشعر ومسارها ابتداء من أوائل نهضته يراه مواكباً لحياتنا ، معبراً عن تطورها الحثيث . فالشعر جنس من الأدب يصور كما تصور الاجناس الأخرى الحياة في المجتمع .. من هنا كان تصوره إيذاناً بتطور مجتمعنا . ورصدنا مساره الحضاري ابتدا البارودي حركة احيائه وتنقله مطران ليمنحه نسغاً من الحياة الجديدة المتأثرة بشعر الغرب ، ولكن في حدود ، وأكمل عبد الرحمن شكري درب تطوره ، ووضع له العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري وميخائيل نعيمه قواعده الجديدة .

كل هؤلاء وضعوا أسساً وقواعد في الشعر جديدة .. وكانت الصيغة الرومانسية نابعة من البيئة العربية ، وإن وجدت متنفساً لها في الشعر الرومانسي الغربي الذي اطلع كلهم عليه في لغته الأصيلة . فكانت نماذجهم الشعرية نماذج جديدة وإن حملت هموم الناس وتطلعهم الى شعر جديد يواكب نهضتهم الحضارية ، وإذا بحال المجتمع كالذي يقف برجلين : رجل في القديم وأخرى في الحديث ، ذلك أن فشل المحاولات السياسية لنيل الاستقلال ، ووجود المستعمر الأجنبي في أغلب الأقطار العربية ، خلقا حالة من عدم التوازن النفسي والاحباط الفكري ، واننا لنجد أصداء ذلك كله في شعر الجيل الرائد أمثال شكري ، وخليل مطران ، وأبو شادي ، والعقاد والمازني .

كان المجتمع العربي يفور ويغلي متطلعاً الى النموذج الغربي في كل شيء — والملاحظ في الجمال الذي يهمنا وهو الأدب — أننا دائماً نأخذ من الغرب تياراته ومذاهبه الأدبية بعد أن تكون هذه التيارات قد انتهت في بيئاتها الأصلية ، ولذلك كانت رمزية شكري وأديب مظهر وسعيد عقل ، مثلاً تنمو في شرقنا العربي بينما هي ماتت في أوروبا

على أننا ونحن نذكر هذه الحقائق لا ننسى أن نشير الى الشعر السرياني أو الذي اجتمعت فيه مذاهب أو مدارس مختلفة مثل الشعر العربي الحديث ، الذي خرج شعراؤه عن الواقعية أو الرومانسية أو الرمزية ، وكتبوا شعراً جمع بين هذه المدارس كلها .

إن التطور الذي مس شعرنا كان تطوراً حاسماً سريعاً ، والتأثر شيء طبيعي في مجال الأخذ عن الآخرين ، فلابد أن ينشأ تيار ما أو مذهب ما يلتفت إليه الناس في موطن نشأته ، فاذا آمن به جيل من الشعراء بحيث تتوحد تعاليمه بتوثر في أدب هذا الجيل كان من الطبيعي أن المتأثرين به في أمة أخرى يحتاجون الى وقت ليس بالقصير حتى يتأثروا به ، وهذا هو الذي حدث في أمر تأثرنا بالتيارات الشعرية الغربية الحديثة

وهو أمر — كما ذكرنا سابقاً — طبيعي لا شذوذ فيه

حركة بلا هوية

إلا أن شعرنا الذي مر بمراحل متباينة قد تعرض الى تيار جديد كان مزيجاً من تيارات مختلفة . ابتدأ من ستينات ، وكتب نماذجه

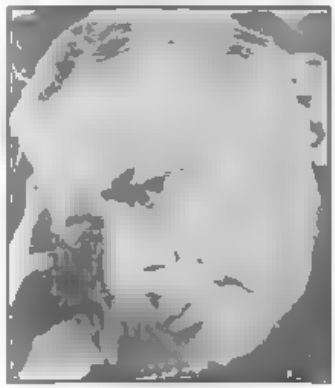

الأولى الشاعر السوري (أدونيس) ، وقد تأثر به جيل كامل من الشعراء على اختلاف في مستويات التأثر ، وقد استفاض هذا التيار الذي يقوده — حاولنا رده إلى أصوله — على مزيج من الرمزية والسريالية والتصويرية ، ومع انه شكل مدرسة إلا أنه لم يجهد من يضع لها اسماً إنه حركة شعرية موجودة دون اسم يحدد هويتها . ولقد لعب اليوت في رفد هذا التيار دوراً هاماً ، خاصة أن شعراءه قد تأثروا باعتماده على الأساطير ، وان كان شعره أكثر تماسكاً ووضوحاً .

لقد اعتمد إليوت في مذهبه الشعري على الشعر ميتافيزيقي الذي احتفى بالذهنيات . وعلى الشعر الفرنسي الرمزي الذي ابتعد عن الوضوح ، ونجأ الى البلورة والايحاء ، وعلى « الإيماجيين » الذين يعتمدون على (الصورة) وعلى رأسهم الشاعرة (إميي دكنسون) والشاعر (إزرا باوند) كان إليوت يؤسس مذهباً خليطاً من هذه الاتجاهات . وكان أهم ما دعا إليه هو (المعادل الموضوعي) الذي أقصى الذاتية الفردية وجعلها تختفي خلف معادل ما من الأساطير والمواقف الموضوعية البعيدة عن ذات الشاعر . أما السريالية فقد أنكرت الواقع الخارجي واعتمدت على كشوفات علم النفس ، خاصة (اللاشعور) الذي تكمن فيه وراثات الجنس البشري وخبراته . فدعت الى (الكتابة الآلية) التي لا يحدها منطق ، ولا يتدخل في جريانها عقل . ومثلما يعبر (الحلم) عن الانسان حيث تتدفق الصور الحرة دون عقلانية أو منطق تتدفق على الشاعر السريالي القصيدة التي يجب ان تتابع صورها فيكتبها — وهو في حالة العقل اليقظ — دون مراجعة . وعليه ان يكتب بسرعة مثلما يكتب كاتب الطاعة السريع الطبع ما يمليه عليه متحدث سريع الكلام ، وهي الكتابة التي أسماها « أندريه بريتون » الكتابة الآلية .

هذه باختصار شديد التيارات التي غزت الساحة العربية ، فأثرت في مجرى ، الشعر العربي الحديث عند جيل من الشعراء وإن كانت الرمزية أقدم تأثيراً في شعرنا الحديث ، وقد كان هذا التأثر عن طريق القراءة المباشرة من قبل الشعراء الذين يجيدون لغة أجنبية ، وهم قلة ، أو عن طريق التأثر ببعض الشعراء الذين تمثلوا هذه التيارات ، وعلى رأس هؤلاء الشاعر (أدونيس) الذي يحيد الفرنسية ويتابع حركة الشعر الحديث وهو قادر على تطوير وجهه نظره المتأثره بالتيارات الحديثة في الشعر الأوروبي قدرته على تقديم النموذج الشعري الذي يحقق فيه وجهة نظره الشعريه وقد تبعه غير قليل من الشعراء ومارسوا [illegible] في فلكه .

[illegible]

[illegible]

[illegible] كانت السريالية عماد الأول [illegible] الذين تقصصوا [illegible] هذا [illegible] وهي تكاد تسلم به وهي تكاد تتجه بالتلاؤم الشعر [illegible] الكلام فيه وهكذا تختلف الرؤى [illegible] فوضع [illegible] شعراء يستركون في [illegible] وطريقه صياغة الجملة حتى أصبح شعر هذا التيار قصيدة واحدة تنشر بأسماء مختلفة

أما الشعراء الذين أثبتوا وجودهم في الساحة الشعرية واستفادوا من كل التيارات الغربية وتمثلوها ، وعرفوا كيف يستفيدون منها ممزوجة بتراث أمتهم الشعري ولم يفقدوا صلتهم بجمهور الأدب ، فقد كانوا قلة

أما في الشعر الانجليزي الذي خضع كثير من شعرائنا لأثره وتأثيره فقد كان (ديلون) توماس شاعراً استغرق نفسه في التعمية المقصودة . حتى أن المسودات التي كتبت فيها قصيدة واحدة من شعره بلغت سبعاً وأربعين ورقة ، وكثير من جملها قد شطب وغير مرات عديدة بلغ أقصاها احدى وأربعين مرة للجملة الواحدة (راجع « ديلان توماس » لجبرا ص١١٨) وقد اختلف النقاد في الحكم عليه . من هنا كان رأي هـ . ج بوريتوس الذي قال في شعره (إنه جولة بغير دليل في دار المجانين) أما ستيفن سبندر فقال (انه مجرد مادة شعرية لا أول لها ولا آخر . ولا سيطرة عليه ذكية أو مفهومه) لقد ظل ديلان (لعشرين سنة غير مفهوم لدى معظم الشعراء والنقاد المدركين في زمانه) . وعلى الرغم من النقاد الذين وقفوا الى جانب شعره ، فإن الاختلافات حول هذا الشعر كانت عميقة وكثيرة . ولا عبرة بأن ديوانه قد طبع مراراً خلال سنتين فإن القارئ المذهل للشعر خلال ندواته الشعرية في انجلترا وأمريكا يقف — في رأينا — وراء هذا النجاح !

واذا كان الخلاف على شعر ديلان توماس عميقاً في بيئة لم يشكل هذا الشعر مفاجأة لها لأنه قد نما نمواً بطيئاً وصحياً على أسس سابقة استقرت في البيئة الأوربية ، واندماج في نفوس الناس وأذواقهم

أقول إذا كان شعر ديلان توماس هو حصيلة كل هذه المذاهب ، وهي تقف وراء كل بيت من أبيات شعره ، ومع أنه ثمرة لكل هذه المذاهب الشعرية فإن عدداً كبيراً من النقاد الغربيين الذين عاشوا هذه المذاهب يرفضون شعره ويرمونه بالجنون أو التصنع والافتعال الغامض الخ ..

فاذا كانت هذه هي حال كثير من الأدباء والنقاد أمام هذا التيار الشعري الذي نما نمو طبيعي في بيئاته الأصلية ، فما هو حال جمهورنا المتذوق للشعر الذي يفاجأ بهذا النمط دون مقدمات من مذاهب أدبية معينة تعيش خلال عشرات السنين وتتلون لذوق العصر ، وتهيىء هذ الذوق لتقبل [illegible] جديدة تتوالد من هذه التيارات . [illegible] أن أي مذهب جديد لا يخرج من عدم ، ولا يأتي من الهواء ، وإنما هو جنين شرعي لـ [illegible] سبقه أرجع لأقول كيف يتعاطف القارىء العربي مع هذا التيار وقد بدا ذوقه — عبر أجيال — على شعر يهتم بالعلاقات القريبة بين الأشياء وكان أقرب إلى الواقع وبساطة الخيال

[illegible] هذه بقلة الشعرية في مسيرتنا الابداعية كانت مفاجأة باترة حادة ، ولم يكن لها تمهيد على الاطلاق . ولأنها قادمة من بيئات ذات تطور حضاري معين ، كانت الهوة عميقة بين الجمهور المتذوق للشعر وهذا التيار الجديد ، وقد ساعد على انصراف الناس عنه النماذج الغريبة الشاذة التي اطلعوا عليها . من هنا كان عدم التعاطف معه على المستوى العام ، وإن كان الشعر المعقول في هذا التيار يحتاج بطبيعته إلى جمهور خاص من النخبة ، ويكفي أن تسأل قارئاً محباً للشعر عن اسم شاعر يعجب به لتدرك أن اسماً واحداً من شعراء هذا التيار لا يمر بذاكرته ، وستتأكد أن الشعراء الذين لا يتجاوزون عشرين شاعراً أو أكثر قليلا هم الذين يقرأون بعضهم لبعض وخارج هذ العدد المحدود لا أحد يعرف شيئ عن هذ الشعر واصحابه

نقد مشروع

إن النقد الذي يوجه إلى هذا التيار الشعري الذي بدأ منذ السبعينات . أي حوالي ربع قرن ، يمكن اختصاره فيما يلي .

• لم يفرز هذا التيار شاعراً ناجحاً ولا أقول جماهيراً على الرغم من مرور هذه المدة الكبيرة . وأدونيس نفسه ، وهو رائد هذه المدرسة ، معروف

مدرسة شعرية ولكن!

كشاعر قبل أن يتبلور عنده هذا التيار.

• لم يستطع شعراء هذا التيار أن يقدموا (قصيدة واحدة) ممتازة. يتفق جمهور الأدب ومتذوقوه على امتيازها مثلما اتفقوا على امتياز (سدوم) لأبي شبكه و(صلوات في هيكل الحب) للشابي و(أخي) لميخائيل نعيمه و(لست أدري) لأبي ماضي و(أنشودة المطر) للسياب الخ..

• عدم قدرة القارىء على حفظ قصيدة واحدة من هذا الشعر ولاشك أن انعدام المنطق في تركيب الجملة والغموض الذي يرين عليها عامة يقف وراء هذا العجز.. من هنا كان هذا الشعر متأبياً على القراءة.. والفهم.. والحفظ.. والتلحين (كأي شعر آخر) بعيداً عن أن يكون نموذجاً أدبياً راقياً يختار منه لتنمية الذوق الأدبي للطلبة (كأي شعر آخر).

• لم يستطع شعراء هذا التيار أن يكتبوا أو يكتب واحد منهم مسرحية شعرية. وهذا شيء طبيعي.. فإذا كانت القصيدة الفردة لا تحقق تواصلا فنجاحاً لدى الناس المهتمين بالشعر، فما بالك بمسرحية؟

العيب في القصيدة

• يحتاج هذا التيار الشعري إلى مقاييس نقدية جديدة. فالمقاييس التي يعتمد عليها النقاد قد استقرت في الساحة الأدبية بعد مئات السنين استنتاجاً من واقع النصوص الأدبية الممتازة. وهذه المقاييس تنادي مثلا بوحدة القصيدة. وعلى الأقل وحدة الموضوع على الأقل.. فأين هذه الوحدة في أغلب شعر هذا التيار؟ وهذه المقاييس تنادي بأن الانسجام بين تجربة القصيدة وإيقاعها اللفظي من معالم نجاحها الشعري ولكن القصيدة المنتمية الى هذا التيار لا يقاع لها يتفق مع نوعية تجربتها.. لأن التجربة ضائعة.. مهوشة.. مبهمة. والقصيدة كومة من المجازات والمجردات.. من هنا كان النقاد الشباب الذين تناولو بعض شعر هذا التيار يقفون في فراغ القصيدة، فيدورون حولها من الخارج، لأن داخلها معتم لا يبين شيئاً، فيعمدون الى العموميات، والعموميات تؤدي الى الانشاء وخلق الجمل الأشد غموضاً من القصيدة المنقودة، وإذا بنا - في السنوات الأخيرة - نقرأ نقداً غامضاً وانشاء لا يفصح عن شيء. والعيب غالباً عيب القصيدة التي لا تقدم إلا هذه الألاعيب اللفظية. فليست هناك تجربة شعورية ذات صلابة تتيح للناقد أن يتعامل معها

• كانت نتيجة هذه المجازات التي لا يمسكها منطق، ولا يحددها ذوق أدبي متمرس، أن وقر في ذهن كثير من الشباب الأدباء أن الغموض هو سبيل التعبير الوحيد، وها هو كاتب شاب يكاد ينكر الوضوح فيعتبر له مبرراً.. يقول (وإن لم يكن الشاعر مفهوماً واضحاً فما ذلك بعائب له. فهو ذو قضية أصبحت (موضوعه) الشاغل الذي يصب فيه مضامينه.

ولنا أن نسأل: اذا كان هذا التيار الشعري يمثل مرحلة في الكتابة الشعرية تجريبية الوجه والهدف.. فالى أي حد تجح؟ وما الأعمال التي قدمها؟ هذا سؤال يجب أن يكون هدف الأدباء والنقاد؟

إن هذا التيار قد انتهى في الشعر الانجليزي الحديث.. مات.. وماتت مدرسة إليوت منذ ثلاثين سنة بتأثير الشعراء الشباب أصحاب ما يسمى بـ(الحركة) الذين أرجعوا الشعر الى بساطته.. وغنائيته.. ورومانسيته، وإذا بهذه الرومانسية التي كانت سبة في حق الشاعر (العجيب أنها مازالت عندنا نحن المقلدين للتيارات الأدبية الغربية!) تكون المعلم الرئيسي لهذا التيار الذي قوض التجريد والغموض واستخدام الأساطير والثقافات المختلفة في وقت ـ

كما كتب في مكان آخر أصبح الناس يحتاجون بعصبية الواحة (لا القصيدة / الكفر) بسبب من تعقد بحياة والتعقيد، حتى وإن كنا لا نسخه بسيطة لأنفسنا فيها، فعلا هو يرضي الأعماق فينا، وفينا حب الحضارة الآلية التي يعيش الناس

يؤكد كلامي هذا، كما يؤكد صحة الحركة الشعرية الجديدة في انجلترا، ما نشرته جريدة الثورة العراقية في العدد الصادر بتاريخ ١٨ أيار ١٩٨٣. (ألقيم في مدينة نيويورك المؤتمر السنوي لعشاق الرواية الرومانسية حضره ٤٠ مؤلفاً وكاتبة وكاتبة في الرواية الرومانسية من الولايات المتحدة وبريطانيا، وتمت خلال المؤتمر مناقشة العديد من الموضوعات الخاصة بهذا النوع من الكتابة الذي زاد الاقبال عليه من قبل القراء والذي بلغ عددهم ٣٠٠ مليون قارىء. وتمثل نسبة المبيعات فيها ٤٠ في المائة من مجموع الكتب التي تصدر في الولايات المتحدة...).

أما جريدة الجمهورية في عدد من أعدادها (الثلاثاء ١٧ أيار ١٩٨٣) خبر له دلالة تؤيد هذا الاتجاه. يقول الخبر ان رواية (الجندي الطيب شفايك) للكاتب التشيكي (جاروسلوف هزيك) قد ترجمت الى خمسين لغة أجنبية وحققت شهرة عالمية و(ان عناصر المرح والدعابة والسخرية التي تطبع أعمال (هازيك) على تصادم مع بؤس الواقع والكآبة التي تصورها أعمال معاصره وابن بلده (فرانز كافكا) الذي ألف كتبه بالألمانية والذي يبدو أنه يستأثر باهتمام أقل من (هازيك) على صعيد تخليد ذكراه، إذ تصادف هذا العام أيضاً الذكرى المئوية ميلاد كافكا).

العودة الى البساطة

وفي هذين الخبرين المختلفين دلالة لا تقبل الشك على اتجاه الأدب في العالم كله الى البساطة والى التفاؤل والى روح الرومانسية.. بعد أدب التعقيد والعقد النفسية واستعراض العضلات الثقافية (إليوت) والغموض الذي لا يفصح عن شيء (ديلان توماس).. يجري هذا في العالم كله وتحدث هذه الارتدادة لأن طبيعة الحياة استوجبتها، ولكننا نحن المقلدين لتيارات الغرب الأدبية أشد حرصاً على هذه التيارات الأدبية التي تركت مبتدعوها!

إن الشيء الذي يجب أن يعرفه شعراؤنا هو أن الانتماء الى تيار شعري معين لابد أن يبرره قرب مزاج الشاعر وتكوينه النفسي لهذا التيار.. فالشاعر سمعي طبعاً وفطرة لا يمكن أن يكون شاعراً رمزياً، والشاعر الرمزي طبعاً وفطرة لا يمكن أن يكون شاعراً واقعياً.. ولكن أن ينتمي جيل بأكمله الى تيار ما. وافق أمزجة الشعراء وطبائعهم أم لم يوافق، فهنا الخطورة

والعجيب أن شعراء هذا التيار يعتقدون أن طريقتهم في الكتابة الشعرية هي الطريقة الوحيدة. فهم يتهكمون على الشعراء الآخرين الذين لا ينتمون الى تيارهم وكأن الشعر (موضة) كما يحدث في مجال الأزياء في الوقت الذي لا يرتقي فيه شعر في أمة ما إلا اذا ترك الشعراء يقولون في الأسلوب الذي يلائم مزاجهم وطبائعهم.

من هنا كان تشابه وجوه الشعراء لأنهم دخلوا (القالب). ولأن التيار أصلا بضاعة غير متوقعة للذوق الأدبي العربي كان هذا الحاجز الحائل بين شعر هذا التيار وجمهرة المتذوقين. وإن كانت هناك نماذج ناجحة فالذين يتعاطفون معها قلة من النخبة الذين تمرست أذواقهم على نماذجه الغربية لتمكنهم من لغة أجنبية

كمال نشأت

بين أدب البساطة وأدب العُقَد النفسية

كائنات

شعر: محمد آدم

في الحجرة
معتمة الضوء
تموجُ الأشياء
وتدخلُ ريحٌ من فتحاتِ الحائطِ
تدهمُ مصباح الغاز الموقد
يهتز قليلاً
ويغيبُ الضوءُ المتارجحُ
ما بين الظلمة
والظل
فأبحثُ عن عود ثقابٍ
أشعلُ قنديلاً
هلْ تأتي السيدةُ الآنْ
ويأتي الطيرُ البحريُّ
من السفرِ المتربِ
عبر الغاباتِ
المتلاصقة الأطرافِ
انفرطَ المطرُ الليليُّ
على قِطعَانِ الأيلِ المتحركِ
صوبَ النبعِ
الساكنِ
صمتٌ
يخرقُ أرجاء القريةِ
مازالتْ أغنيةُ الليلِ تُحلِّقُ
فوقَ الأعمدةِ المتساقطةِ
الضوء
كلابٌ تتعاركُ فوق الوحلِ
المتألقِ
مازالَ الفجرُ يُعرِّشُ

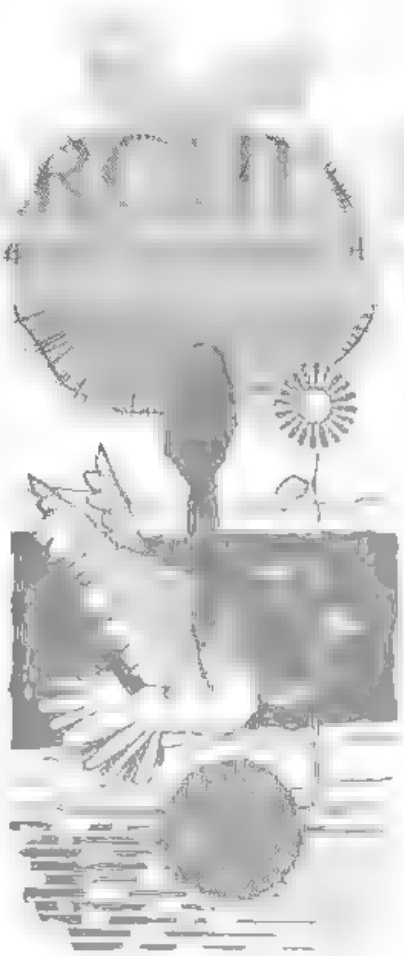

حلّونه
والسيدةُ تُرتبُ زينتَها
وتعدُّ الشايَ
الرجلُ الكهلُ ـ المتأنقُ ـ
يتأبطُ
فَرَحَ طفولتهِ
ويثرثرُ
عن حربٍ قد شارفَ فيها
من زمن
لا يتوقفُ فوقَ عقاربِ
ساعتهِ
قِطعٌ من غيمٍ أبيضَ تتسابقُ
ناحيةَ الأفقِ المُعتمِ
وتخلّفُ أشباحاً
من غيمٍ
يتراكضُ
في ذاكرةِ الوقتِ
وها هيَ ريحٌ تطرقُ بابي
وتُنقِّرُ فوقَ الجدرانِ
المنصالبةِ
على أنقاضِ العشبِ
هدأتْ أمطارُ الليلِ
ابتدأ رجالُ الدَّرْكِ
يجوبون
شوارعهُمْ
في الحجرةِ
معتمةِ الضوءِ

الخرائط الجيولوجية

بقلم
درويش مصطفى الفار

عن صناعة الخرائط بأنواعها من سمات الحضارة الإنسانية منذ بدأ الإنسان يعقل . ولا تستطيع دولة من الدول أو مجموعة من البشر . في زماننا هذا أن تدعي الانتماء إلى الركب الإنساني وإلى ركابه التقدم العلمي المعاصر إذا لم تخط لعلم صناعة الخ[illegible] والخريطة أو الخارطة وكلمة جيولوجية في [illegible] التي نستبين منها . بمختلف مقاييس [illegible] سطح هذه الأرض من وبحر

وكان جغرافيونا الأقدمون ، كالمسعودي ، والجيهاني ، وابن خرداذبة والعذري وابن حوقل ولكيماكي والقزدي واليعقوبي والنجم والبصري والادريسي يسمون الخرائط ، مساحة الأرض ، أو صورتها ، أو رسمها ، ولم ترد في كتبهم كلمة خريطة أو خرطة

ولا نود أن ننحو منحى المتزمتين والمتنطعين ، الذين يطيب لهم الجدل العقيم في أن الشاعر الانجليزي (شكسبير) من أصل عربي وكان اسمه (شيخ زبير) ..

فقد ظهرت كلمة (كارت) أو (تشارت) بمعنى الخريطة أو الخارطة في سنة ١٥٧١ في اللغة الانجليزية ، وكان الانجليز آنذاك أكثر الناس اهتماما بصناعة الخرائط ، تمهيدا لإنشاء الامبراطورية

واشتقت تلك الكلمة من كلمة إغريقية وأخرى لاتينية معناهما رقعة من (البردى) أو قرطاس من البردى ، وكان البردى ورق الكتابة منذ أن اخترعه المصريون القدماء على ضفاف النيل ..

ولا أدري هل (قرطاس) العربية هي الأقدم بين الناس أم (خارطس) الإغريقية أم (كارد) أو (شارتا) اللاتينية

ثم استخدموا كلمة (تشارت) سنة ١٦٠٥ لتسمية لوحة دائرية من (الكاغد) أو الورق المقوى ، يحلوها اثنان وثلاثون خطا كل منها يبدأ من مركز الدائرة ، لتبيان الجهات الأصلية على البوصلة . أما كلمة (ماب) الانجليزية فقد استخدموها سنة ١٥٢٧ ، اختصارا لعبارة لاتينية تلفظ (مابا موندى) بمعنى صورة الأرض من سطحها

ولعلنا لا نبعد عن الحقيقة ، إذا قلنا إن كلمة خريطة أو خارطة كما نستعملها اليوم في لغتنا العربية هي تعريب أو توليد من كلمة (تشارت) أو (كارتا) . تماما كما أخذنا من الآخرين كلمات ، جغرافيا ، وفيزياء ، واسطرلاب ، وكما أخذ منا الآخرون كلمات ، الجبر ، والكوفاريتم ، والترسانة ، والقند ، وما إلى ذلك

• والخرائط في الحضارة الإنسانية ، على طول الزمان ، أنواع وأشكال لا غنى للناس عنها في السلم والحرب والبر والبحر ، وحتى نجوم السماء وبحارها ، صنعوا لها الخرائط بمختلف المقاييس

• ولعل من أهم أنواع الخرائط التي يتناولها الناس كأساس لبنائه أنواع العمران الحضاري ، ما نسميه الخرائط الجيولوجية

• والخرائط الجيولوجية تتميز عن غيرها من الخرائط ، في أن نوعاً منها ، تعبير عن (الزمان والمكان) معا ، بينما غيرها من الخرائط والمخططات هي تعبير عن المكان فقط .

• وإذا كانت الخرائط عادة ، صورة لسطح الأرض من ظاهره ، فإن الخريطة الجيولوجية تبيان ، عند أهل الاختصاص ، لباطن الأرض وما تحت سطحها ، لأن المشتغل بعلم الخرائط الجيولوجية ، يستطيع بما لديه من العلم والخبرة والممارسة ، أن يرى باطن الأرض من ظاهرها ...

فإذا نظر المختص إلى خريطة قطر الجيولوجية مثلا ، ووجد أن سطحها تغطيه طبقات العصرين (المايوسين) و(الايوسين) الأوسط والأدنى ، علم انه بالحفر يمكن اختراق طبقات العصور المتتابعة من الأحدث إلى القديم ، الطباشيري والجوري

والتريسى والبرمى والفحمى والديفونى والسيلورى والأوردوفيسى والكامبرى ، وان ما فوق الميوسين ، من طبقات البلايوسين والبلايستوسين ، إما أنها لم تترسب أصلا على سطح شبه الجزيرة ، أم أن عوامل التعرية قد محتها خلال الأحقاب منذ بروز شبه الجزيرة وجزر حوار وما عاليه والسفلية من تحت الماء .. وان غياب طبقات الأيوسين الأعلى والميوسين الأدنى والأوليجوسين والميوسين ، قد يعود إلى واحد من أسباب عديدة لا مجال هنا لحصرها

وقد بدأ العلماء فى الاهتمام برسم الخرائط الجيولوجية لسطح الأرض منذ زهاء قرنين من الزمن ، باستثناء أقدم خريطة جيولوجية عرفها علماء التاريخ حتى اليوم ، وهى بردية تورين التى يرجح الباحثون أنها لمنطقة منجم ذهب الفواخير بالصحراء الشرقية المصرية .

وقد حاول العلماء فى البدء تمييز أنواع الصخور فى سطح الأرض من نارية وبركانية ورسوبية متماسكة ورسوبية لا تزال سائرة إلى التماسك كالكثبان الرملية ورواسب الأنهار والشطوط والأوشال والسباخ والبحيرات والبطائح ، وسموا الأولى بصخور العصر الأول والثانية بصخور العصر الثانى والثالثة بصخور العصر الثالث ، دون أن يؤكدوا حقيقة العلاقة الزمانية بين تلك المجموعات الثلاث الكبرى

ثم تصادف أن اكتشف مهندس انجليزى يدعى وليم سميث سنة ١٨١٥ أن الطبقات متتابعة تختلف عن بعضها البعض ، مهما متد بها المكان ، بوجود بقايا مستحجرة من القواقع والحفريات وعظام الأسماك وغيرها من الحيوان ، وأوراق النباتات البائدة ، فاستنتج أن ذلك التشابه فى المحتوى الأحيائى المندثر ، لابد وأنه يعنى علاقة زمانية قطعا ، أى أن كل الطبقات ، وان اختلفت سحنتها التى تحتوى على مخلفات ما انقرض واستحجر من المخلوقات ، تنتمى إلى بحر واحد ترسبت فيه بما كان يعج به ذلك البحر فى زمانه من الأحياء

ومن هنا بدأ اهتمام العلماء بالعلاقة الزمانية بين الصخور وطبقاتها ونشأ ذلك الفرع من علم الجيولوجيا الذى نسميه علم الاستراتيغرافى أو علم الطبقات ..

وهذا الفرع من العلم هو الذى يقودنا إلى مظان زيت الصخر أو النفط وكذلك الغاز ..

ولولا قواعد هذا العلم وقوانينه ، لما تسنى فى الثلاثينات ، الاقتناع بحفر أول الآبار وما تبعها فى منطقة دخان بغرب قطر ، وما نجم عن ذلك من خير ونعمة وفضل من الله ..

ولعل أقدم ما نعرف عن التخريط الجيولوجى لشبه جزيرة قطر كان ما عمله بلجريم سنة ١٩٠٨ ..

وكان بدء الاهتمام بعمل الخرائط الجيولوجية لدولة قطر ومياهها الإقليمية ، من مجموعة جزر

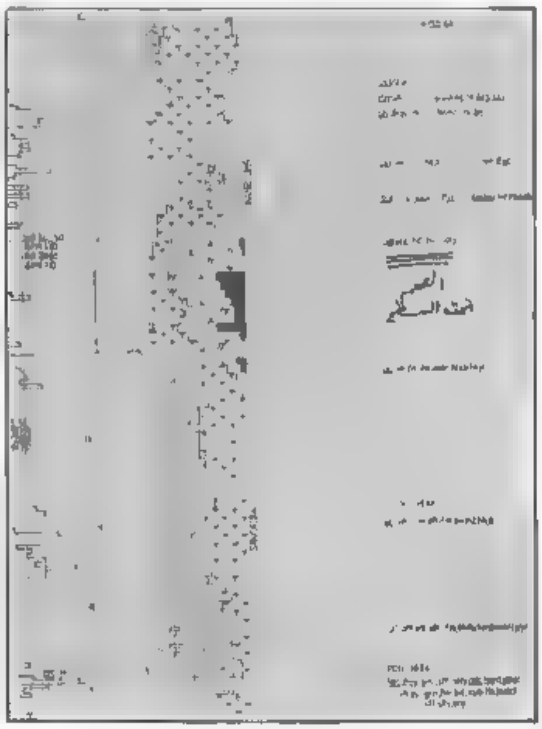

خريطتان : الأولى تمثل الخريطة الجيولوجية لدولة قطر أما الخريطة الأخرى فهى طبقات من الفحم الحجرى ، يبلغ سمكها رهاء أربعين قدما ، فى العصر الطباشيرى الأدنى ، على عمق تحت سطح الأرض فى شبه جزيرة قطر ، وقد أسفر عنها الحفر بحثا عن النفط والغاز الطبيعى ، وربما تكون ذات فائدة اقتصادية يوما ما .

الخرائط الجيولوجية

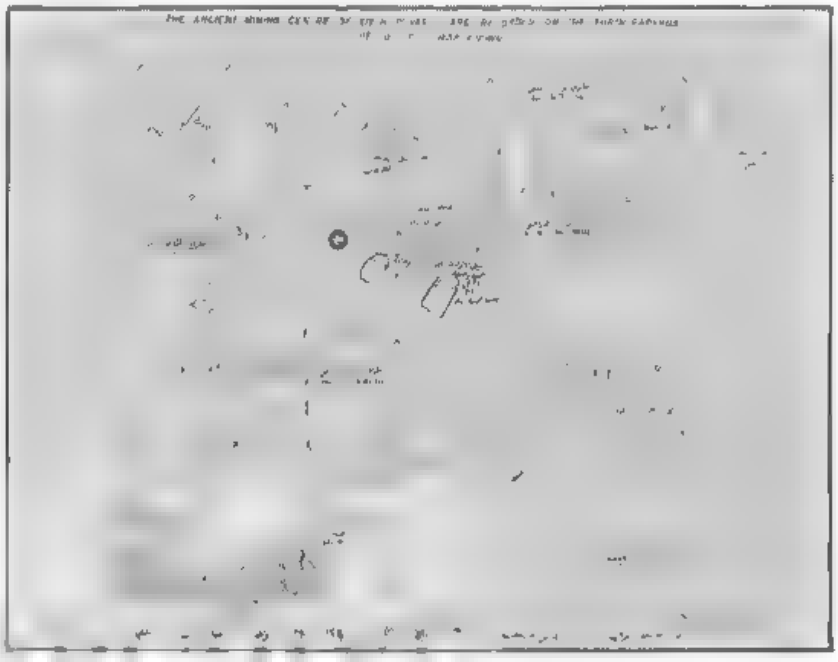

أقدم خريطة جيولوجية عرفها الانسان ويرجع تاريخها إلى عهد الملك سيتي الأول (١٣١٣ ق م) وتمثل منجم للذهب بالصحراء الشرقية بمصر وهي محفوظة بمتحف تورين بإيطاليا

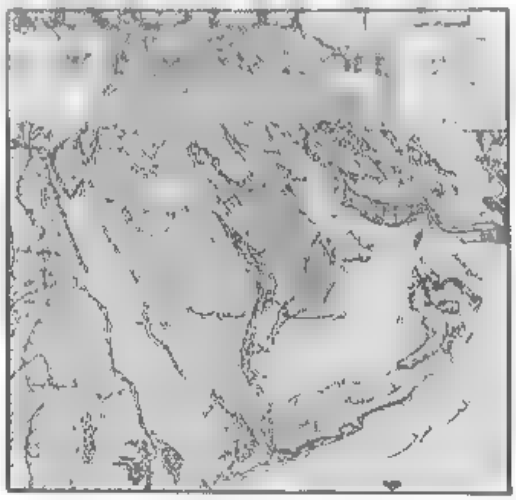

خريطة جيولوجية لشبه الجزيرة العربية

(حوار) غربا إلى جزر حالول وشراعوه شرقا، قد بدأ في الثلاثينات من هذا القرن الميلادي.. ولقد تواصل العمل في صناعة الخرائط الجيولوجية لدولة قطر دون انقطاع منذ أن كان رسم الخريطة الجيولوجية بأنواعها؛ الاستراتيغرافية و التركيبية يقوم على أساس العمل بالطرق التقليدية باستخدام اللوحة المسطحة أو (البلانشيطة) وما يكتنفه من مشقة وعناء، إلى استخدام الطائرات والصورات الفضائية، مما يسمونه في مصر (الاستشعار عن بعد) ويسمونه في العراق (التحسس النائي) ويطيب لنا أن نسميه (الاستشراف) ترجمة لكلمتي (Remote Sensing)؛ وهي ترجمة في رأينا عربية تعني تماما معنى اللفظة الأجنبية

وإذا كان عمل الخريطة الجيولوجية لدولة قطر، قد استقصيه البحث عن مظان النفط والغاز بالدرجة الاولى، فإن البحث عن الثروة المعدنية والحجرية قد ناله بعض العناية أيضا، مما أسفر عن وجود جبس، وطين الأتابولجايت وكبريتات الاسترنشيوم (السلستاين) وكبريتات الباريوم (الباريت) والحجر الجيري الصلب، وأنواع الحصى والرمال.

ولكن الأمل لا يزال معقودا على أن تتبنى دولة قطر، استكمالا لمسيرتها الحضارية ونهضتها، إنشاء (مساحة جيولوجية) مستقلة، لكي تضطلع

(١) بتجميع كل ما سبق، حتى الآن، الحصول عليه من معلومات جيولوجية في مضمار البحث عن النفط والغاز، تكتابة (جيولوجية قطر) وتاريخها خلال الأحقاب بطريقة مستوفاة كاملة.

(٢) ودراسة المحتوى الحفري للأحياء المستحجرة الكبيرة والمجهرية من النبات والحيوان، دراسة مستوفاة متكاملة، سواء في طبقات الظاهرة على السطح، اعتبارا من الحقب القديم الذي تظهر طبقاته وما يقطعها من الجدد البركانية في جزيرتي حالول وشراعوه، حتى أحدث رواسب السبخ في سواحل الجزر وخاصة في منطقة حوار، وسواحل شبه الجزيرة الأم، لعمل (كتالوج) مصور كامل يشمل ذلك كله.

(٣) ودراسة العينات المستخرجة من آبار الحفر عن البترول وغيرها مما تم حفره لأغراض أخرى، أو يجري حفره حاليا ومستقبلا بصدد تحديد موارد الماء الباطني أو تقييم انتشار الغاز طبيعي، دراسة مستفيضة قد يتأتى من ورائها الحصول على ما يفيد اقتصاديا تحت سطح الأرض في أعماقها، لا سيما، وأن بعض الآبار يشير تتابعها الطبقي إلى وجود راقات من (الملح) لا ينبغي اغفالها، إذ قد تكون ذات نفع في المستقبل

ولعلنا لا ندعي غير الحق، حين نذكر أن (المساحات الجيولوجية) منذ أواسط القرن التاسع عشر لميلادي، كانت، ولا تزال، هي المدارس الحقيقية التي تربى أجيال الجيولوجيين الأفذاذ الذين يقدمون بين آن وآخر من الملاحظات والاكتشافات، ما يغير النظريات العلمية الجيولوجية ويعدل مسارها ويستجلي غموضها، لأن علم الجيولوجيا قبل كل اعتبار (علم مشاهدة) للفرد فيه أثره العميق منذ نشأ وحتى اليوم وإلى الغد القريب والبعيد، ولا مكان أقدر على تقديم وجبات التضوج للمشتغل بالجيولوجيا من جهاز (المساحة الجيولوجية) ولعلنا كذلك لا نقول جزافا، حين نذكر أن أجهزة المساحة الجيولوجية كان لها نصيب الأسد في رسم السياسة العالمية منذ مطلع هذا القرن، وأن الخرائط الجيولوجية لمختلف مناطق العالم، هي التي تحدد اليوم القيمة الحضارية العالمية لأي دولة من دول العالم في مشارق الأرض ومغاربها

درويش مصطفى الفار

بقلم : الدكتور محمد البهي

في أدب الرجال والنساء

قال الله تعالى ، قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم (وغض الرجال من نظرهم عند لقاء النساء . هو عدم الاسترسال فى النظر اليهن ، وعدم ملاحقتهن بالنظرات الجارحة لحيائهن) .

ويحفظوا فروجهم (فلا يباشروا المعاشرة الجنسية غير المشروعة . وهى الزنا إذ فى اقتراف جريمة الزنا انتهاك بحرمة المرأة .. وضياع لشرف الرجولة ، الذى يتمثل فى المسئولية الفردية عن الولد) ذلك أزكى لهم (أى ما جاء هنا خاصاً بالرجال فى أدب اللقاء مع النساء هو طريق الطهر والنمو فى العلاقة بين الاثنين) ان الله خبير بما يصنعون

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن (أى لا يتابعن الرجال بالنظرات ، ولا يثرن بنظراتهن الفتنة فيهم) .

ويحفظن فروجهن (أى لا يقترفن جريمة الزنا ، لأن مباشرتها منهن ليس فيها اهدار لكرامتهن فحسب ، بل فيها أيضاً : اعتداء على كرامة المجتمع ، وعلى تحديد المسئولية الخاصة برعاية الأطفال الذين يلدنهم ، عن طريق اقتراف هذه الجريمة) .

ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها (أى وليسترن أبدانهن إذ المراد بزينة امرأة . بدنها . فهو فى ذاته فتنة للرجل ، لو كشفت عنه أو عن بعض جزئه ولكن يسمح لها بالكشف عن الوجه والكفين لضرورة حاجتها فى الحركة والتعامل مع الآخرين أو الأخريات

ويضربن بخمرهن على جيوبهن (أى وليسترن ما ظهر من أبدانهن ، عند عورة ، لا يعتدونهن ، وإذا [illegible] حولهن ، أو بنى اخواتهن ، أو بنى اخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت ايمانهن ، (من النساء) أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال (أى الذين يتبعونكن لفضل يترقبونه منكن من الرجال الذين ليست لهم حاجة الى النساء : لبله ... أو لعجز .. أو شيخوخة) أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء (ويراد بهؤلاء الأطفال : الصغار الذين لم يستطيعوا بعد أن يميزوا : ما هى عورة المرأة ، وربما يقصد بهؤلاء الأطفال من هم فى سن الطفولة المبكرة)

ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن (أى ولا يحركن أرجلهن فى المشية أو فى الجلوس : حركة تكشف عن سيقانهن) .

وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون (والتعقيب يطلب التوبة من المؤمنين والمؤمنات جميعاً ينبىء عن : ان ما أمر به المؤمنون والمؤمنات هنا الآن من : غض البصر عند اللقاء وعدم مباشرة الزنا .. وعدم ابداء المرأة زينتها لغير محرم لها واسدالها خمارها على نحرها وصدرها

وعدم تحريك رجليها ، بما يكشف عن ساقيها : كانت اباحته من العادات السائدة فى العصر الجاهلى للمجتمع العربى السابق ، وكذلك فى المجتمعات الحضارية المادية فى عصر ما قبل الرسالة : فلم تكن المرأة بما تكشف به عن فتنة بدنها لأجنبى عنها ..

بما تهيجه لنفسها من معاشرة جنسية غير مشروعة : تعتقدانها ترتكب أمراً مخالفاً للآداب السائدة فى مجتمعها إذ ذاك . كما تفعل المرأة الآن بنفسها لاغراء الرجال والثارته نحو المرأة : من الكشف عن مفاتنها وعن تجسيم ما تبقى من بدنها بلباس يكاد يحدد عورته . ولم يكن الرجل بما يفعله إذ ذاك من التقاء المرأة بنظراته وبما يبيحه لنفسه من معاشرتها معاشرة حيوانية و أية صورة من صورها : يشعره بمخالفة يخجل منها لأنها ضد تقاليد مجتمعه أو ضد آدابه فى السلوك) النور : ٣٠ــ٣١ .

ــ وجاء فى أدب الجلوس ، قوله تعالى ،

« يا أيها الذين آمنوا . إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا ، يفسح الله لكم (أى فى نعيمه ورضاه)

وإذا قيل لكم : انشزوا (أى ارتفعوا من أمكنتكم لضرورة اقتضتها التوسعة فى المجلس) فانشزوا ، يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات (أى وبسبب طاعتكم هنا واستجابتكم لما يطلب منكم فى أدب الجلوس : يزد الله من منازلكم لديه) والله بما تعملون خبير » المجادلة ١١ .

فلنتعلم من كتاب الطبيعة المجيد ففيه أنفع مبيد!

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح

من قديم الزمان ، ظهر على هذا الكوكب طير يدعى « أبو قردان » ، وكان من الطيور الوديعة التى تعيش على التهام الحشرات والديدان . وقد ظل على هذا الحال ، الى أن جاء الانسان ، وعندئذ حدث الاستلطاف بين هذا وذاك . فالانسان يحرث الأرض ويرويها فتخرج منها الآفات الكامنة فيها ، ويجىء أبو قردان ليخلص صاحبه من بلاويها ، ويتحسس الانسان منه هذا الفعل المفيد والحميد ، خاصة وأن الطير لم يكلفه أجرا ، أو يسبب له ضررا ، واستمرت هذه الصداقة والألفة بين الاثنين آلاف الأعوام ، حتى عرف عن أبى قردان أنه صديق الانسان ، الى ان حدث شىء مؤسف أضر بهذه الصداقة التقليدية ، وأصبح الطير ضحية ، وكأنما الانسان قد قطع اليد التى امتدت اليه بالاحسان !

لكن « أبا قردان » لم يكن الضحية الوحيدة للانسان ، بل هو واحد من طوفان الضحايا التى كانت بمثابة « للبرد » الحية ، أو أداة من أدوات المقاومة البيولوجية التى استمرت على هذا الكوكب مئات الملايين من السنين ، لكن الانسان راح يبيدها بمبيدات من صنع يديه ، فلنا منه أن هذه المبيدات ستخلصه الى الأبد من الآفات ، فخاب ظنه ، اذ لازالت هذه الآفات تتسلط عليه وعلى زرعه وضرعه ، هذا رغم أن المبيدات قد ظهرت على نطاق واسع منذ أكثر من أربعين عاما ، وكان من المفروض أن تؤدى الى نتائج طيبة ، الا أن واقع الأمر يشير الى غير ذلك ، إذ يذكر أحد التقارير الأمريكية أن استهلاك المبيدات قد تضاعف ١٤ مرة مابين عام ١٩٤٧ ــ ١٩٧٥ ، ورغم ذلك فقد زاد دمار الآفات الى حوالى الضعفين فى المدة ذاتها .

ويعنى ذلك أن المبيدات لم تحقق الآمال العريضة التى كانت معقودة عليها ، إذ كانت بمثابة مخدر أو علاج مؤقت ، ولابد ــ والحال كذلك ــ من

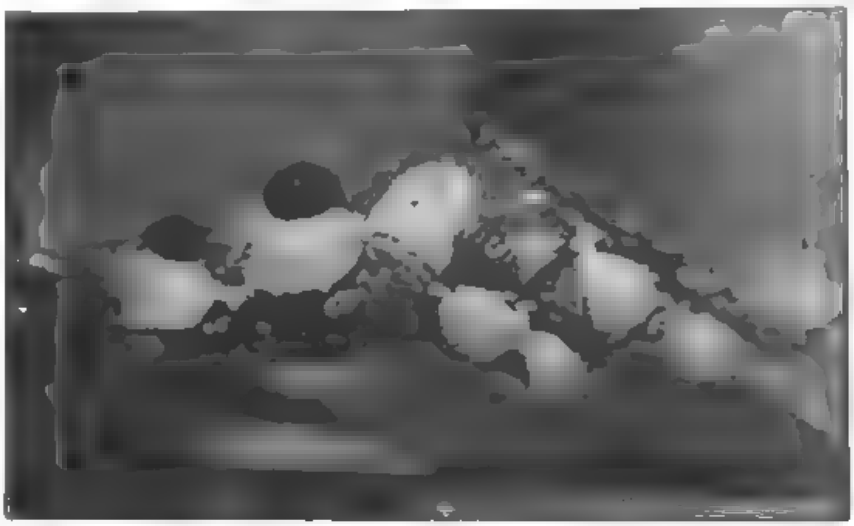

شكل (١) أحد الأسلحة البيولوجية الناعمة والمعروفة باسم حشرة الدعسوقة او « أبو العبد » وهى ــ كما ترى هنا ــ تعيش على التهام الحشرة المعروفة باسم ذبابة الوسادة القطنية ، لأنها تبدو وكأنها تنفث نفسها بغطاء من القطن .. (الدعسوقة تبدو داكنة اللون فوق الحشرة البيضاء)

البحث عن وسائل أخرى للانقاذ ، خاصة وأن المبيدات سلاح ذو حدين : حد منه لقتل الآفات وهذا خير ، لكن الحد الآخر قد أصاب الانسان وأصاب البيئة ، وهذا شر ، وهو ما تعرضنا له فى مقال الشهر الماضى على صفحات هذه المجلة .

المبيد أباد النافع مع الضار

وعندما تسرع الانسان فى استخدام المبيدات ، وأسرف فيها ، فقد قتل النافع مع الضار ، وأحدث بذلك خللا فى الميزان .. ذلك أن الحياة لم تترك للمخلوقات الحبل على الغارب لتتكاثر دون ضابط أو رابط ، بل أوجدت لها ، الفراس ، التى تحد من انطلاقها الجامح فى التكاثر ، ورصدت لها ، المبرد ، الحية التى تبرد أعدادها الزائدة ، فلا تطغى ذرية نوع على ذرية نوع آخر .. اذ لا يوجد كائن حى الا وله أعداء طبيعيون ينالون منه فى كل مرحلة من مراحل حياته ، يستوى فى ذلك الميكروب والنبات والحيوان والانسان .

والذى يسعى الى « كتاب » الطبيعة ، ويقلب فى صفحاته ، ويتطلع الى أحكامه ، فلاشك أنه واجد فيه معلومات غزيرة تساعده على مقاومة تلك الآفات ، وبالسلاح البيولوجى الذى تسلط عليها من قديم الزمن ، فكما لا يفل الحديد الا الحديد ، كذلك لا يفر الآفات الا آفات مثلها .. المهم أن نستخرج من سجلات الحية ما يفيد لنا يفيد ، خاصة وأن هذه السجلات المدونة فى كتاب الطبيعة الأصيل تحتوى على كل دساتير الحرب البيولوجية التى استخدمتها وتستخدمها ضد الأنواع التى تتكاثر وتفتك بغير حدود .

فطائر أبى قردان الذى حلى به الانقراض أو كاد ، ليس الا نوعاً أو سلاحاً واحداً فى قائمة ضخمة من ترسانة الأسلحة البيولوجية التى استخدمت قبل ظهور الانسان ، وكانت تقضى على اعداد لا حصر لها من الحشرات والديدان ، ولقد تعطل هذا السلاح بظهور المبيدات الكيميائية ، وسبب ذلك لا يخفى على لبيب ، اذ عندما قتلت المبيدات الآفات ، لم تكتفها أسراب أبى قردان أو غيرها من طيور تعيش عليها ، تجمعت المبيدات بالتدريج فى أجسامها ، فقتلت بعضها ، ودمرت الكثير من ذريتها ، فأدى ذلك الى نقص ذريع فى أعدادها ، مما يهدد بانقراضها ؛ فخسر الانسان بذلك صديقاً وسلاحاً كان يبيد له بالمجان ، وطبيعى أنه قد أخل بالميزان ، لأنه دمر أحد أركان التوازن البيولوجى المتمثل فى أبى قردان ، أو غيره من كائنات كثيرة كانت تشتغل لصالحنا .

ولكى تتضح لنا الأمور أكثر ، فعلينا أن نتعرض لتلك الكارثة التى حلت بمساحات هائلة من الأشجار فى شمال شرق الولايات المتحدة ، اذ تسلطت عليها يرقات (ديدان) نوع من الفراشات

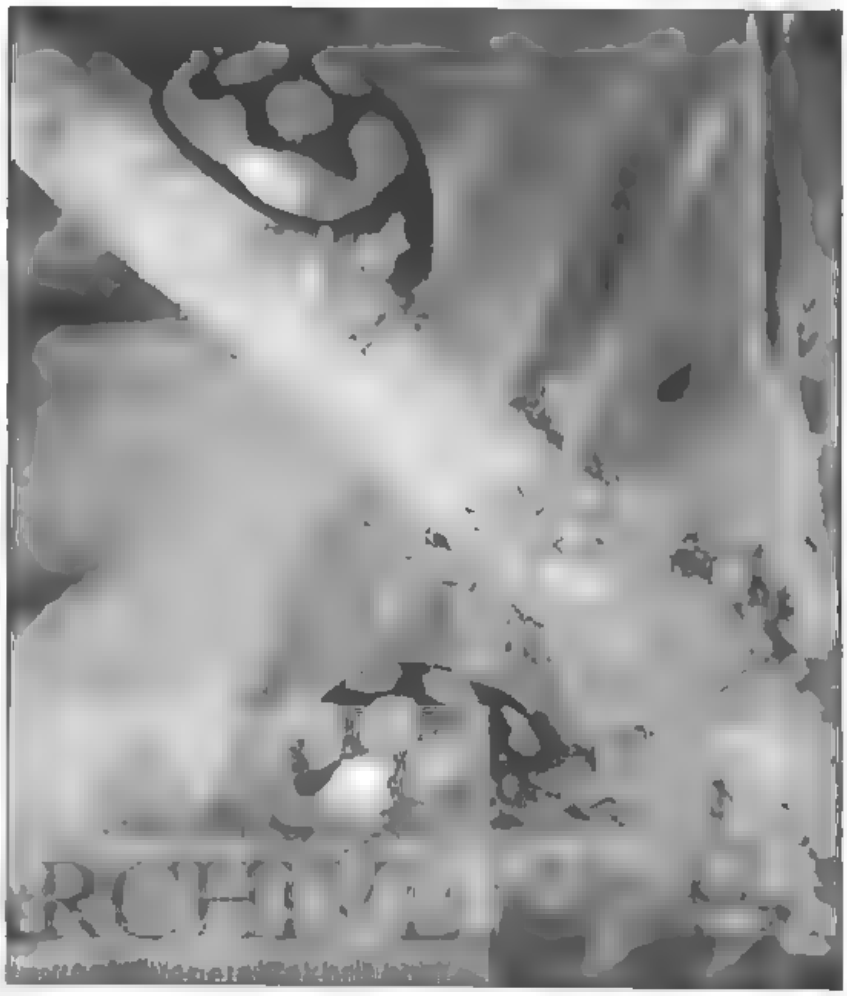

شكل (٢) حشرة أبى العبد أو الدعسوقة وهى تتجول بين أسراب من النباتى لتبيده قبل أن يبيد النبات .. وهذه الحشرة الصديقة قد تقتلها المبيدات مع ما قتلت من حشرات ضارة ، ويعنى ذلك خسارة فى أحد عناصر المقاومة البيولوجية للآفات . وقبل أن تظهر المبيدات

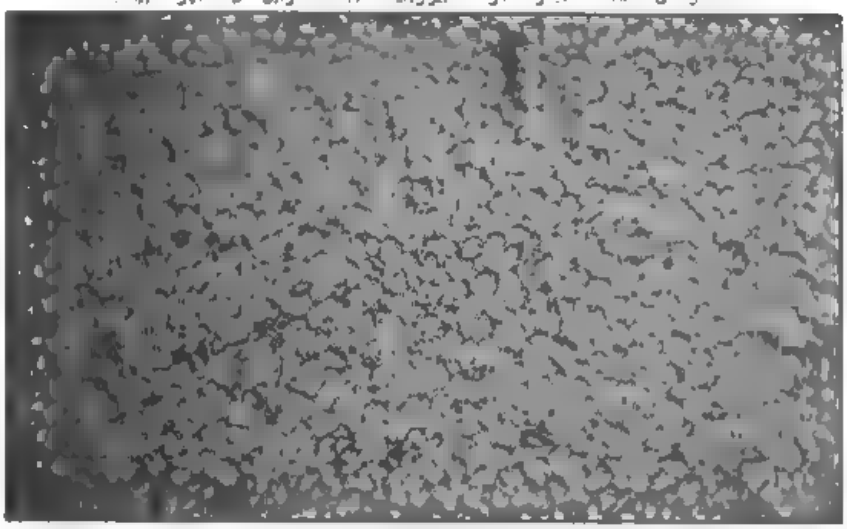

شكل (٣) حشود من حشرة أبى العبد التى تبيع فى أكياس للصيع ، مبردا ، طبيعى للآفات ، وهى ـ بلاشك ـ أسلم وأرخص من المبيدات .

فلنتعلم من كتاب الطبيعة الجيد فقيه أنفع مبيد!

تعرف باسم الجيبسي Gypsy (أو الغجرية ـ ان صحت الترجمة الحرفية) ، وفقد بلغ من سرعة انتشار هذه الآفة وضخامة تدميرها ، أنها كانت تكتسح أمامها كل عام ١٣ مليون فدان من الأشجار التي أهلكت أوراقها الديدان . ولاشك أن تلك خسارة فادحة بكل المعايير ، فما الذي داس على زنادها لتنطلق كفديفة مدمرة؟ ثم كيف حدث ذلك ؟ . وأين ـ اذن ـ السلاح البيولوجي ، أو المبيد الطبيعي الذي يكبح جماحها ؟

لاشك أنه موجود ، لكن الخطأ كان من الانسان ، فلقد دخلت هذه الآفة الى الولايات المتحدة ، دون أن يدخل معها عدوها ، وفي غياب هذا العدو تكاثرت على هواها دون ضابط أو رابط ، ولكي لا تتفاقم الكارثة ، سافر فريق من العلماء الأمريكيين منذ عامين الى الصين ، حيث الموطن الأصلي لهذه الفراشة ، وبعد شهور من البحث في مناطق بلغت ٥٢ منطقة مختلفة ، خرجوا بحصيلة وفيرة من « المبيدات » الحية لهذه الفراشة أو يرقاتها ، وكان بيانها كالآتي : ثلاثة عشر نوعا من الطفيليات التي تعرضه وتقتلها ، وأربعة عشر نوعاً من الطيور والحيوانات والحشرات الأخرى التي تصطادها وتعيش عليها ، هذا بالاضافة الى أعداد أخرى من أنواع الفيروسات والفطريات التي تنهكها وتحد من تكاثرها

ان هذا المثال يضع أمامنا صورة شبه كاملة لعدد أنواع « المبيد » الحية التي تحد من انتشار نوع واحد من الحشرات في بيئة محددة من البيئات . لكن هذه الظاهرة ليست جديدة تماماً ، اذ استخدم الصينيون القدامى بعض أنواع النمل ، وربوها على أشجار الفاكهة ، لتبيد الحشرات والديدان التي تعيش عليها ، وفي عام ١٨٠٠ ركز الطبيب والعالم الطبيعي ارازموس داروين على ضرورة استخدام وترويض المقاومة البيولوجية للحشرات الضارة في كتابه فلسفة الزراعة والبساتين . وفي عام ١٨٨٨ استورد الأمريكيون من استراليا حشرة صغيرة تعرف باسم الدعسوقة ، ليقاوموا بها حشرة قشرية كانت تعيش على أشجار الموالح (شكل ١) ، وتسبب فيها خسارة فادحة ، وبالفعل أبادت هذه الأداة الحية أعداداً هائلة من الآفات ، وانقذت الأشجار من تدميرها

تركة ثقيلة من الآفات

لكن مما لاشك فيه أن اختيار السلاح البيولوجي ، أو المبيد الطبيعي لكل آفة من الآفات

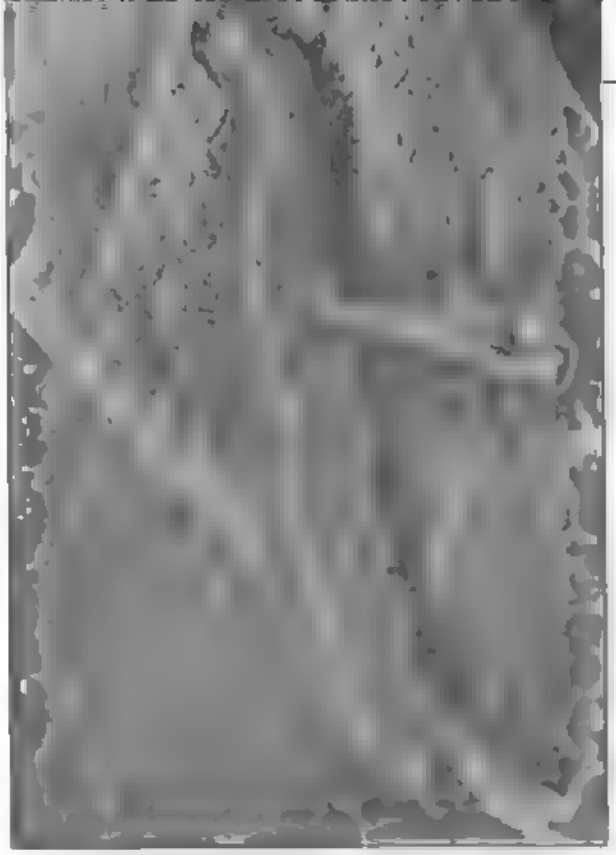

شكل (٤) مبيد حي آخر في هذه الصورة يهين عشرة يعرس خرطومه في يرقة (دودة) تأكل النبات، فتقتلها قبل أن تعبر

أمر بالغ التعقيد ، ويتضح ذلك من حد ... فراشة الجيبسي ... أنها أكثر من ... عدو ... عدو يهدد ... من الفراشة تعيش ... واحد من بين عشرة آلاف نوع من الحشرات المدمرة التي لها صلة مباشرة بالنباتات ... الانسان ... هذا بالاضافة الى حوالي ٨٠٠ نوع من الأمراض الخطيرة التي تصيب ... والانسان . واكثر من ٢٠٠ نوع من الديدان الثعبانية الدقيقة التي تخترق جذور النبات ، وتسبب فيها خسارة فادحة ، كما يوجد حوالي ٢٠٠٠ نوع من الحشائش والأعشاب الضارة التي تحتاج الى مقاومة ، هذا غير آلاف أخرى من الفيروسات والبكتيريا والحيوانات الأولية التي تتسلط على كل الكائنات .

انها ـ كما ترى ـ تركة ثقيلة تحملتها مخلوقات هذا الكوكب ، وعلى رأسها الانسان ، ومع ذلك لم يفقد العلماء الأمل ، لعلمهم أن هناك توازناً بديعاً قد أرسيت قواعده بين المخلوقات ، وهو محصلة تجارب طويلة استمرت عشرات الملايين من الأعوام ، وفيها تفاعلت الكائنات فيما بينها على أوسع نطاق ، حتى صارت بالصورة المتألقة التي نراها بها الآن ، وما علينا الا أن ندرس ونختار منها العدو المناسب ، للآفة المناسبة ، وفي الوقت المناسب ، وتحت الظروف المناسبة ، لنصل الى تحقيق الأهداف المرجوة ..

فمن الحشرات ما هو عدو وصديق ، فأما الصديق فقد أعان الانسان في الحد من الآفات ، ومن الممكن توجيهه ليصبح مبيداً حيوياً أقوى من المبيدات الكيميائية التي تلوث البيئة ، وتؤذي الانسان ، فالحشرة المعروفة باسم « أبو العبد » ، أو « أم سعيد » ـ كما يطلق عليها بعض المزارعين ، أو الدعسوقة ـ كما تعرفها بهذا الاسم بعض البلاد العربية ، هي حشرة صديقة تعيش على التهام أعداد هائلة من المن والبق والقمل النباتي (شكل ٢) بالاضافة الى الحشرات القشرية التي تعيش على أشجار الموالح أو على غيرها من أشجار فيها مآرب للانسان ، فمن مؤهلات هذه الحشرات الضارة أنها تتكاثر بسرعة رهيبة ، وتمتص عصارة النباتات بشراهة شديدة ، وتسبب خسارات فادحة ، لكن الأمر يختلف في وجود « أبي العبد » الذي يستبشر الناس بحضوره خيراً ، وهو بالفعل فاعل خير !

لكن أبا العبد هذا ليس نوعاً واحدا ، بل أحصى العلماء منه أكثر من أربعة آلاف نوع ، ولكل نوع بيئته وسلوكه وطعامه وشكله المميز ، ثم ان الأنثى تختار النباتات المناسبة التي تتكاثر عليها تلك الآفات ، وتضع بويضاتها بين حشودها ، حتى اذا خرج الأنجال ، وجدوا الموائد منصوبة وعامرة ، وهي كأمهاتها تتميز بشراهة بالغة للطعام ، لدرجة ان الواحدة منها تستهلك من المن النباتي مثلاً عدة مئات في بضعة أيام ، ولنتصور ـ بعد ذلك ـ ان الدعسوقة الواحدة تضع ما بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ بويضة ، وأحياناً قد يصل العدد الى ألف ، فهذا يختلف باختلاف النوع ، ثم ان انتاج الأجيال قد يتكرر مرتين أو ثلاثا في الفصل الواحد ، ويعني ذلك ان الذرية الناتجة من

حشرة واحدة قد تصل الى عشرات الألوف أو الملايين في غضون ثلاثة أشهر أو أربعة ، ما لم يحد من تكاثرها شيء ، وكل واحدة منها تنتهم البشت وهذا ينبئك بقدرتها الفائقة على إبادة هذه الآفات ، ودون أن تكلفك شيئاً مذكوراً ، ومن أجل هذا ظهرت فكرة جمعها وتربيتها وبيعها في أكياس يحوي الواحد منها ما بين ٤٠٠٠ ـ ٦٠٠٠ حشرة (شكل ٣) ، خاصة بعد أن ثبت أن الدعسوقة قد أنقذت بالفعل ـ وفي غضون سنتين ـ زراعات الموالح في كاليفورنيا ، وبتكلفة لم تتجاوز خمسة آلاف دولار ، وهي تكلفة لا تذكر بالنسبة لمحصول يدر عدة ملايين من الدولارات كل عام

ونقد هددت ديدان فراشة قرمزية محصول جوز الهند في جزر فيجي ، وانتقلت الفراشات بعد ذلك من جزيرة الى جزيرة ، وكادت زراعات جوز الهند أن تبور ، بولا أن استغاث الناس بالعلماء ، فأغاثوهم بذبابة ، لكنها ليست كذبابنا المنزلي ، بل نوع آخر يتطفل على فراشة جوز الهند في مواطنها الاصلية ، وأرسلوا منها لجزر فيجي ٣٠٠ ذبابة لا غير ، وانطلقت على يرقات الفراشات ، لتضع فيه بويضاتها ، فتفقس لتعطي مزيداً من الذباب ، الى أن وصل عددها في غضون سنةواحدة الى ٢٠٠ ألف ذبابة ، وحاميت بين الفراشات كألسنة اللهيب ، فأبادت منها أعداداً هائلة ، وبهذا أنقذت المحصول من دمار أكيد

والأمثلة بعد ذلك كثيرة ، ولا يتسع المجال لذكر المزيد

آفاق أخرى أشمل ..

وليس سلاح الابادة البيولوجية مقصوراً على آكل ومأكول ، أو صيد وصياد ، كما هو الحال مع الطيور التي تلتهم أعداداً ضخمة من الحشرات والديدان ، ولا هو كذلك حكر على حشرات تأكل حشرات أخرى ، أو تتطفل عليها ، كما هو الحال مع ، أبي العبد ، وذبابة فيجي وكثير جداً غير ذلك (شكل ٤) بل قد يمتد مجال المقاومة البيولوجية للآفات إلى آفاق أخرى أوسع وأشمل ، فالداء موجود بصور شتى ، والدواء متاح في البيئة ذاتها ، لأنها مسببة نفسها . أو هي كانت كذلك قبل أن يتدخل الانسان في شئونها ، فأخل بموازينها ، وما دام قد تدخل ، وعلى ما فيه من ملوثاته التي لا تعد ولا تحصى ، فعليه أن يعد الى البيئة بستعين بما اختزنته من أسلحة أو ، عقاقير ، بيولوجية لها فاعليتها التي لا تنكر

ولاشك ان لكل كائن حي ميكروباته وأوبئته وطفيلياته .. بداية من الانسان الكبير ، ونهاية بالميكروب الضئيل ، لأن للميكروب الصغير ميكروباً أصغر يعيش عليه ويهلكه ، وميكروب الميكروب فيروس ، ومع أنه أضأل من الميكروب حجماً ، الا أنه أخطر منه شأناً ، وهكذا يسير الصراع بين كل الأنواع ، وعلى جميع المستويات ، فرب كبير يهلكه الصغير ، كما أن الصغير قد يصبح لقمة سائغة للكبير ، وهكذا يتطاحن الكل مع الكل ، ليحدث التوازن المطلوب بين الأنواع ، وهذا ما عبر عنه اوجستس دومورجان في شعره (مع شيء من التصرف البسيط منا) .

للبراغيث الكبيرة براغيث صغيرة
على ظهورها تعيش وتلدغ
وللبراغيث الأصغر براغيث أضأل ،
وهكذا فالكل يلسع .
لكن للبراغيث الكبيرة بدورها براغيث أكبر
وعليها تسود وتتجبر .
بينما لهذه الأكبر براغيث أكبر منها فأكبر
. لهذا فعليك أن تتدبر .

ولكي نتدبر ، فعليب أن نأخذ على سبيل المثال هذا النوع من الصراع غير المنظور في التربة الزراعية بين فطر (عفن) وديدان ثعبانية (نيماتود) ، ولا يكاد كلاهما يرى بالعين المجردة ، ومع ذلك فهي تتكاثر بسرعة فائقة ، وتصيب جذور النباتات اصابات بالغة ، لكن الفطر يوجد عادة حيث توجد هذه الديدان ، وينصب لها المشانق الحية بخيوط نسيجه البالغي ، فاذا حدث وعلقت الدودة في الأشراك (عقدة أو حبه كالتي توجد في لشقه ، ضغطت عليها ، واحتجزتها ثم اخترق جسمها بخيوطه ، وتغذى عليها ، وتفرع الفطر في جسمها حتى يقضي عليها ، ويجهز عليها بعد موتها (شكل ٥) وبهذا السلاح البيولوجي يشير لهلكت المحاصيل ، ومن أجل هذا تربى تلك الأنواع من الفطريات ذات المشانق ، وتوزع في التربة الزراعية ، لتبيد لديدان بطريقة أكفأ وأسلم من لمبيدات الكيميائية التي تستخدم ضد تلك الديدان الثعبانية

وليس ذلك بالسلاح البيولوجي الوحيد ضد تلك الديدان ، بل هناك كثير غيره توصل إليه العلماء ، ولنذكر حالة أخرى ذكرتها بعض المراجع العلمية كمبيد للديدان الثعبانية . فالنبات المعروف باسم الآدريون أو القطيفة (ماريجولد) يفرز من جذوره مادة كيميائية في التربة الزراعية ، وبها يبيد الديدان الثعبانية ، ومن أجل هذا يزرعه بعض الناس بين محاصيلهم ، ليخلصهم من دمار تلك الديدان .

الشيء بالشيء يذكر

ومادمنا قد تعرضنا لهذا النبات الذي يبيد الديدان ، فلا أقل من التعرض لنبات آخر ورد ذكره في بحث هام أجراه دكتور محمد فخر الدين الصاوي ـ أستاذ صحة المناطق الحارة بالمعهد العالي للصحة العامة بجامعة الأسكندرية ، ففي أثناء بحوثه عن بدائل لمبيدات القواقع التي تضاف الى مصادر المياه العذبة ، واضعا نصب عينيه ما تحدثه من آثار ضارة وقاتلة للأسماك ، وما تسببه من أورام خبيثة في مبايض وكلى حيوانات التجارب ، مما قد يشكل خطورة على صحة الانسان ، هذا بالاضافة الى أن المبيد المستخدم والمعروف باسم البايلوسيد يتركز في النبات والحيوان ، وينتقل بعد ذلك الى الانسان ـ على حسب المراجع العلمية التي أشار اليها د . الصاوي في بحثه الممتع ـ من أجل هذا فقد حاوله التوفيق في التوصل الى بديل طبيعي يغني عن استخدام المبيد الكيميائي . والبديل نبات عشبي ينمو في وادي النيل ، ويعرف باسم الدمسيسة (أمبروزيا) ، ولازال يستخدم كوصفة شعبية لعلاج المغص الكلوي . وطرد بعض الحصوات من الكلى ، ويعني هذا ان المبيد لا أذى فيه للانسان ولا ضرر ، لكن المثير حقاً أن التجارب التي قام بها د . الصاوي ، أو قام بها غيره من بعده ، قد أثبتت أن هذا النبات لو أضيف الى الماء في حالة جافة أو غضة لكان كفيلا بابادة القواقع ويتركيزات تتراوح ما بين ١٠ ـ ١٢ جزء في المليون (أي كيلوجرام من النبات في حوالي مائة ألف لتر من الماء) .. وهي نتيجة طيبة ، والأمل ـ بعد ذلك ـ معقود على استخدام هذا النبات غير المكلف على أوسع نطاق ، حتى يمكن القضاء على تلك القواقع الحاملة لديدان أمراض ظلت مع الناس آلاف السنين ، ولازالت (منها البلهارسيا والدودة الكبدية .. الخ)

واذا كانت بعض الديدان الثعبانية تضر ، فإن بعضها الآخر ينفع ، ومن أنواعه لنافعة ما قد يسميه مبيداً بيولوجياً لعدد من الحشرات الناقلة للأمراض ، والتي اكتسبت مناعة ضد المبيدات ، كبعض بيوت مبيعة لنوع من الديدان الثعبانية الممرضة باسم « ريزهبديتس » ، فهذه الدودة الضئيلة تتطفل على يرقات البعوض وتقتلها (شكل ٦) . ولو أحسن استغلالها ، لكانت سلاحاً بيولوجياً فتاكاً .. لكن ليرقات البعوض عدواً آخر يلتهمها التهاماً ، ويتخذها طعاماً مستساغاً ، ولهذا يستهلك الواحد منها أعداداً هائلة ، والمستهلك سمكة تعرف باسم سمكة البعوض أو الجامبوزيا ، ولقد أثبتت التجارب أنها ذات أثر فعال في المقاومة البيولوجية للبعوض

ومن الديدان الثعبانية أيضاً ما يتطفل على أنواع من الحشرات التي تصيب النباتات ، ومنها أيضاً ما يهاجم الأعشاب المائية غير المرغوب فيها ويدمرها ، وغيرها يلتهم الفطريات التي تتطفل على جذور لنباتات .. الى آخر هذه الحلقات المتشابكة والمعقدة ، والتي تحتاج الى دراسات مكثفة ، للعلم مالم نكن نعلم ، وعندئذ نعرف كيف نوجهه لصالحنا ، فلا تطبيق سليم ، بغير علم قويم

سلاح الميكروب

وكما يعرض الانسان بقائمة من الميكروبات ، ومعه أيضاً النبات والحيوان ، كذلك يكون الحال

فلنتعلم من كتاب الطبيعة المجيد
شهيد نفع مفيد!

مع الآفات ، اذ أن لها أمراضها .. المهم أن تعزل منها ميكروباتها التي تتسلط عليها في الطبيعة وتصيبها ، ثم ندرسها ونوجهها اليها بحالة وبائية كما انتشرت هي أيضاً بحالة وبائية

ولقد حقق العلماء تقدماً في هذا المجال ، فمنذ حوالي خمسين عاماً ، استخدموا أنواعاً من البكتيريا بعد اكثارها في أوساط غذائية خاصة ، ثم ترش بالطائرات أو بالعمالة البشرية على الحشرات التي تهدد الزروعات ، ولقد طبقت هذه الطريقة بنجاح في بعض الخضروات وزراعات القطن والتبغ والبطاطس وما شابه ذلك (شكل ٧) .. وفي كل من الاتحاد السوفييتي والصين ، استخدمت جراثيم الفطريات التي عزلت من الحشرات المصابة بها ، ورشت بالطائرات على مساحات واسعة من أشجار الفاكهة والغابات ، وعندما تأكل الديدان النباتات التي تلوثت بتلك الجراثيم ، فلا مناص من انباتها في داخل أجسامها ، ثم تتفرع بنسيجها الفطري الغزير لتمتص لحمها ، وتقضي عليها

اكتشف العلماء كذلك عدداً من أنواع الحيوانات الأولية التي تسبب أمراضاً مميتة لبعض أنواع الحشرات الضارة ، وعندما ربيت تلك الحيوانات الدقيقة على أوساط غذائية ، وتكاثرت فيها بالملايين ، أصبح من الممكن استخدامها كمبيد حيوي . فهناك — على سبيل المثال — حيوان أولي اسمه « نوسيما » المتخصص في اصابة أحد أنواع الجراد ، وعندما رشوه بالطائرات على هذه الآفة المدمرة ، وبمعدل بليونين في الفدان الواحد ، أهلك حوالي ٦٠٪ من الجراد ، وهي نتيجة طيبة على أية حال ، خاصة وان الاصابة في الجراد كانت تنتقل من جيل الى جيل ، حتى خفت حدتها ، ومن الممكن بعد ذلك تكرارها ، لتكرر مزيداً من الابادة في هذه الحشرة الضارة

وعلى صعيد آخر تمكن العلماء حتى الآن من عزل حوالي ٣٧٠ نوعاً من الفيروسات التي تصيب الحشرات المدمرة ، ولازالت البحوث سارية لترويضها كمبيد بيولوجي بشر ، ولقد تحقق بعض النجاح في هذا المضمار ، اذ يذكر عالم الحشرات ريتشارد ريد جواي الباحث بوزارة الزراعة الأمريكية في دراسة نشرت له عام ١٩٨١ ، أنه قد تم حتى الآن تجهيز خمسة أنواع من الفيروسات لرشها على النباتات المصابة بأنواع خاصة من الحشرات ، وانها مطروحة الآن في الأسواق بعد أن ثبت صلاحيتها في المقاومة البيولوجية لهذه الآفات

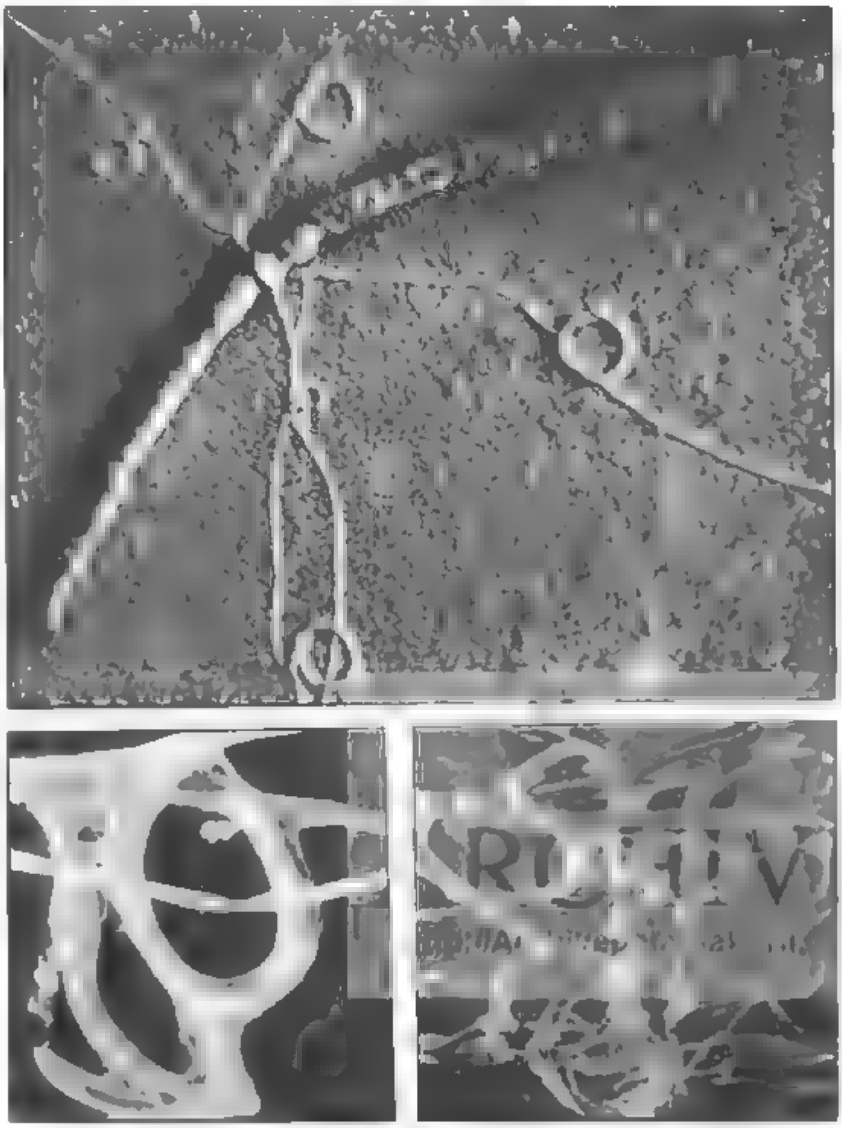

شكل (٥) صورة مكبرة بالميكروسكوب لخيوط ثلاثة أنواع من فطر يعيش في التربة الزراعية ، وقد اتخذت شكل الأنشوطة أو العقدة (الحية) لتلتف بها حول الديدان الثعبانية (الصورة السفلى) ، ثم يتفرع الفطر داخل جسم الصيد ليبيده ، فينقد المحاصيل من شروره

ولازالت البحوث جارية لترويض أنواع أخرى .

ابادة عن طريق الخداع

وآخر ما تفتق عنه ذهن العلماء تلك الحيلة الخادعة التي استخدموا فيها عطر الحب الذي يجمع بين ذكور وأناث النوع الواحد ، ليتم التلقيح والاخصاب وانتاج ذرية جديدة ، والعطر — بطبيعة الحال — ليس من عندنا ، بل هي مواد كيميائية تنتشر من أناث الحشرات ، لتتوزع في الهواء بتركيزات ضئيلة غاية الضآلة ، لكن الذكور البهائمة تحس بها ، وتدرك أن هناك اناثاً تنادي ، فتتوجه إليها ليتم التزاوج .

وقد اهتدى العلماء الى بعض هذه العطور ، والمعروفة باسم الفيرومونات ، لكن الأمور لم تكن سهلة كسهولة هذا الكلام ، اذ اكتشفوا أن لكل « ليلى » عطرها المميز الذي يجذب « قيسها » ، وليس قيساً سواه ، ويعني هذا ان لكل نوع بطاقته أو هويته الكيميائية التي يتعرف بها على نوعه ، ولابد — والحال كذلك — ان يعزل العلماء الفيرومون أو العطر الخاص بكل نوع ، ليعرفوا تركيبه الكيميائي ، وبهذا يمكن تصنيعه في المعامل على نطاق واسع . لكن ذلك أيضاً يحتاج الى جهد ووقت وصبر ، فالغدد التي تفرز العطر الأنثوي الحشري غدد جد صغيرة ، وتركيز الفيرومون فيها ضئيل . ولهذا فان الحصول على جرام واحد

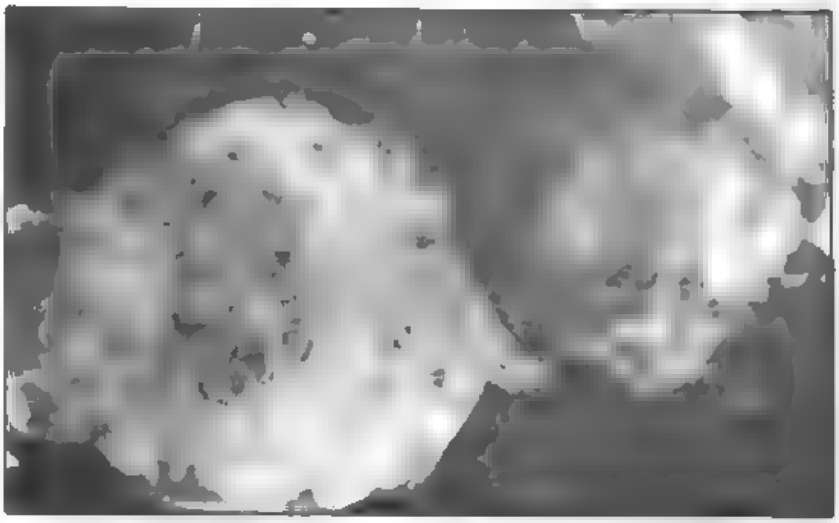

شكل رقم (٦) هذا الحشد الكبير من الديدان الصغيرة الدقيقة قد أصاب احدى برقات الديوص فى رأسها ويحفنها ، وسوف تنطلق هذه الديدان لتصيب مزيدا من اليرقات وأنسم به من سلاح بيولوجى أفضل بكثير من المبيدات .

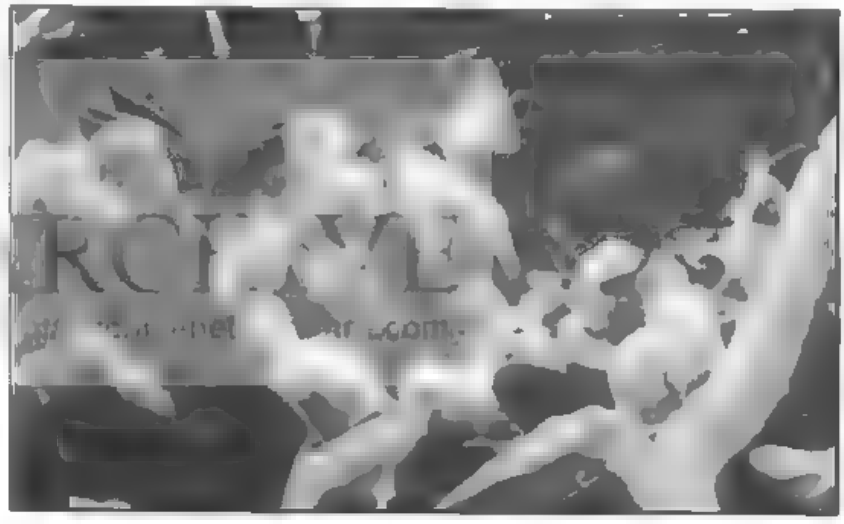

شكل رقم (٧) أحد أنواع البكتيريا التى تم عزله وتربيته بكميات ترشه على الورق الصابة بآفة من الآفات ، وعندما تأكلها الآفة يدب عليها من بكتيريا (التى تبدو كأسطوانات) أو من سموم تفرزها البكتريا (البلورات الموجودة فى وسط الصورة) . فانها تمرضها وتقتلها ، وتخلص النباتات من لمكبه (الصورة مكبرة آلاف المرات)

من أى عطر ، يستلزم جمع عشرة آلاف مليون حشرة (أى تقريباً ضعف سكان العالم من البشر) .

ورغم ذلك ، فلا بأس من ارتياد هذا المجال الدقيق والصعب ، وتم بالفعل عزل عدة فيرومونات من الحشرات التى تسبب خسارات فادحة ، وأمكن تصنيعها فى المعامل بكميات تسمح باستخدامها على نطاق واسع ، ثم وزع كل فيرومون فى مصائد على مساحات واسعة ، والى المصائد تتجه الذكور وتتجمع ، فلماذا منها ان الدعوة صادرة من أنثى ، لكنها كانت دعوة الى الموت . ثم اتضح ان هذه الطريقة مجهدة ، فاستبدلوها بغمس بلايين القصاصات من الأوراق التى تتشرب الفيرومونات ، ووزعوها على الحقول الشاسعة بالطائرات ، فانتشرت القصاصات على مساحات ضخمة ، وانتشرت روائحها فى كل الاتجاهات ، وهنالك لم تستطع الذكور ان تهتدى للاناث ، فلقد اربكتها العطور الأنثوية التى تهب عليها من كل الجهات ، وأحدثت بذلك تشويشاً أضلها عن الاهتداء للجنس الآخر ، وبهذا فوتت عليه فرصة التلقيح والاخصاب ، اللهم الا من صدفة عابرة وفى أضيق الحدود .. ويقال ان مثل هذه الوسائل قد استخدمت بنجاح فى عدد من الآفات ، وعلى رأسها سوسة أو خنفسة لوزة القطن التى تسبب وحدها خسارة سنوية فى هذا المحصول الأمريكى تتراوح ما بين ٢٠٠ ــ ٣٠٠ مليون دولار ، وكانت تستهلك فى مقاومتها ثلث كمية المبيدات التى تستخدم فى كل الزراعات الأمريكية ــ على حسب ما ذكره أحد التقارير الصادرة من وزارة الزراعة الأمريكية

الانسان هو الهادى، بالخلل

الموضوع بعد ذلك طويل جدا ، لكن فيما قدمنا من لمحات عابرة يكفى لتوضيح أن أمور التوازن البيئى بين الكائنات محكومة بعوامل وموازين حساسة ، وأن التلاعب فيها قد يؤدى الى خلل لا تحمد عقباه ، ولاشك أن الانسان هو النوع الوحيد الذى تدخل بكل ثقله فى إحداث هذا الخلل ، وهو خلل غريب لم يشهده هذا الكوكب منذ مائة عام فقط ، ويرجع ذلك الى أسباب كثيرة ، ومن هذه الأسباب حدوث انفجار سكانى فى البشر ، نتيجة للتقدم الطبى والصحى والدوائى الذى قضى على أمراض وأوبئة كثيرة كانت تصيب الناس قديماً ، وتحد من أعدادهم ، لكن ليس معنى ذلك أن يطالب أحد بعودة « مبارد » الأوبئة لتبرد فى الناس ، فهذا شىء لا يستقيم مع منطق سليم ، بل ان الأمر يتطلب أن تتوازن موارد الطعام ، مع الزيادة المضطردة فى السكان ، وهذا يستلزم مزيداً من الأرض الزراعية ، لتزدحم الأرض بنباتات موجودة فى كل آن وحين ، ولابد ان يتبع ذلك المزيد من الآفات ، لأن فرصة أية آفة فى التكاثر ستكون ميسورة ومتاحة طالما هى واحدة دائماً فى مساحات هائلة من النباتات فى كل المواسم ، وطبيعى أن يسعى الانسان للحد من الآفات ، فاستخدم المبيدات ، لكن المبيدات قد قتلت النافع مع الضار ، وعندما اختفى النافع الذى كان يبرد الضار ، حدث الخلل فى التوازن ، أضف الى ذلك ان كثيراً من الحشرات الضارة التى كانت تقتلها المبيدات فى الماضى ، أصبحت الآن منيعة ضد كثير من هذه المبيدات ، مما جعلها تنتشر بضراوة أكثر مما كانت فى الماضى .

فكأن البيئة كائن حي معتدل ، أو كأنه هى تسير على مبدأ « خير الأمور الوسط » .. أى انه لا تحسب التخمة فى نوع على حساب نوع آخر ، وعندما حلت التخمة بالنوع الانسانى على هيئة انفجار سكانى ، أدى ذلك إلى خلل قد يعانى منه الناس لأجيال طويلة ، مالم يتداركوا الأمر ، ويعودوا لكتاب الطبيعة ، ليتعلموا منه الشرائع المضبوطة ، والحكم السامية ، والسنن العظيمة التى وجهت هذا الكون الدقيق من المخلوقات عبر مئات الملايين من السنين ، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة أدق تعبير « وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » ، الى ان جاء الانسان ، فطغى وبغى بالميزان ، فكان ماكان مما ورد ذكره من ثلوث وخلل وضحايا ، وهو ما تعرضنا له فى سلسلة من المقالات .. وآخرها هذا المقال ، وفى ذلك الكفاية ، لعل الناس يرشدون ، وعلى بيئتهم يحافظون ، وفى مبيداتهم لا يسرفون .

عبد المحسن صالح

بكائيات متقاطعة

قصة بقلم : ســـــارة

« أنا على ردّ مالم أقل أقدرُ مني على ردّ ماقلت »

قيصر

(١)

قال سيقتلك عنادك
قلت ولا يقتلني خوفي
تناثرت النجوم ، انغلق القمر ، وشح ضوء الشمس
و افترقنا

(٢)

كان لي بيت ، يتضوع ترفاً ، وريحان وعصافير ، وشموس .
كان لي بيت كبيوت غرناطة ، لكنه ضاع
كما ضاعت غرناطة ، في غفلة مني ضاع ، وفي غفلة منه ضعت

• • •

« ليس بعد التمام إلا النقص » قالها أحد الصحابة وهو يبكي حين سمع خطبة الوداع في حجة الوداع

(٣)

تمددت على السرير في إحدى العيادات السرية ، ملوعة كنت ، مشروخة كنت ، مغمومة في الحزن كنت ، وكان « مارس » يورق في الطرقات ، الحوارى ، الحقول ، الوجوه ، يورق في ضحك الماعز ، وفي ثغاء الصغار ، في عيون الأقاحي ، وفي انغماس العشق في العاشقين .
سألني الأشيب ذو النظرة الرمادية : لماذا تنوين التخلص من الجنين ؟
قلت : تعودت أن أختار النهايات قبل أن تختارني .
و .. فرت من صدرى آهة ، دمعة ، شهقة ، لوعة

قال مسلمة بن عبد الملك ، ما مدحت أو شكرت نفسي على ظفر ابتدأته بعجز ، ولا ذممتها على مكروه ابتدأته بحزم .

(٤)

يا وجه أمي البعيد ..
يا وجه أمي البعيد ..
« آه يمه »

(٥)

كان حبي محيراً ، مهيباً ، جميلاً ، عصيباً
وكنت أعرف ذلك ، بل محيراً ، ومهيباً ولم يكن جميلاً ولم يكن عصيباً
حيرت عقلي أن أحدده ، وأهابه ، وأحبه وأحطمه .
بحطمني ، تعبدته بحبه ، وأحبني وأغضب

.

قال محيي الدين أحمد بن ابراهيم النحاس الدمشقي صاحب « مشارع الأشواق » المتوفى سنة ٨١٤ هـ . قال « شاهدت مراراً الفأر يركب على النهر ، وينزل ويعود مراراً ، لا يعدو النهر على الفأر ، ولا ينفر الفأر من النهر ، وذلك بالتعليم والتدريج في الإقدام ، حتى ينعكس الطبع إلى ضده »

(٦)

كنت أصرخ ، أصرخ ، أصرخ .
ولا أصرخ .
كنت أموء ، أفتو ، أعوي .
ولا أبكي .
كان على بعد أمتار مني مضرجاً بدمائه — هكذا قررت الحرب وقرروا — بلا ذراع .
كانت ذراعه في يدي .

كان ميتاً ، كنت ميتة
الشظايا تنفجر ، تنفجر الشظايا ، النيران تلتهب ، تلتهب النيران ، يشتعل الشارع والبيوت والأشجار والأرض والسماء ، الشارع والبيوت والأشجار تشتعل ، يندلع الرصاص الطائش ، الرصاص الطائش يندلع ، يندبني الرماد ، يندبني الحريق ، تندبني الكلاب الضالة ، تندبني بقايا الأجساد المشوهة
أتبعثر ، أتبعثر ، أتبعثر
يجدب العمر بعدك يا من كانت ذراعه بذراعي ..
يجدب العمر ..
آه يا بيروت ..
يا لذكرياتي التي ، يا لذكرياتي التي .

• • •

قال ابن عربي : لو وجدنا إلى الفراق سبيلاً ، لأذقنا الفراق طعم الفراق
ليرحمك الله ..
و .. يرحمنا .

(٧)

فارساً كان يمتطي الغمام ويقاطع النجوم قبل أن يدخل المعتقل .
بعد أربعة أقمار مكتملة ، وأربعة أيام مجللة ..
وأربع ساعات متثائبة ، وأربع لوعات منذرة .
عاد إلينا ..
كان غاضباً بانكسار ، لكن ما عاد قادراً على أن يتنفس حلماً
آه .. كم تؤذينا السجون

• • •

قال الإمام الغزالي : « من مال غضبه إلى الفتور ، عالجه بما يقويه ، ومن مال غضبه إلى الإفراط عالجه بما يكسر سورته » .

(٨)

في برد « لندن » الموحش .
وأيامها الموحشة .
وبشرها الأكثر وحشة .

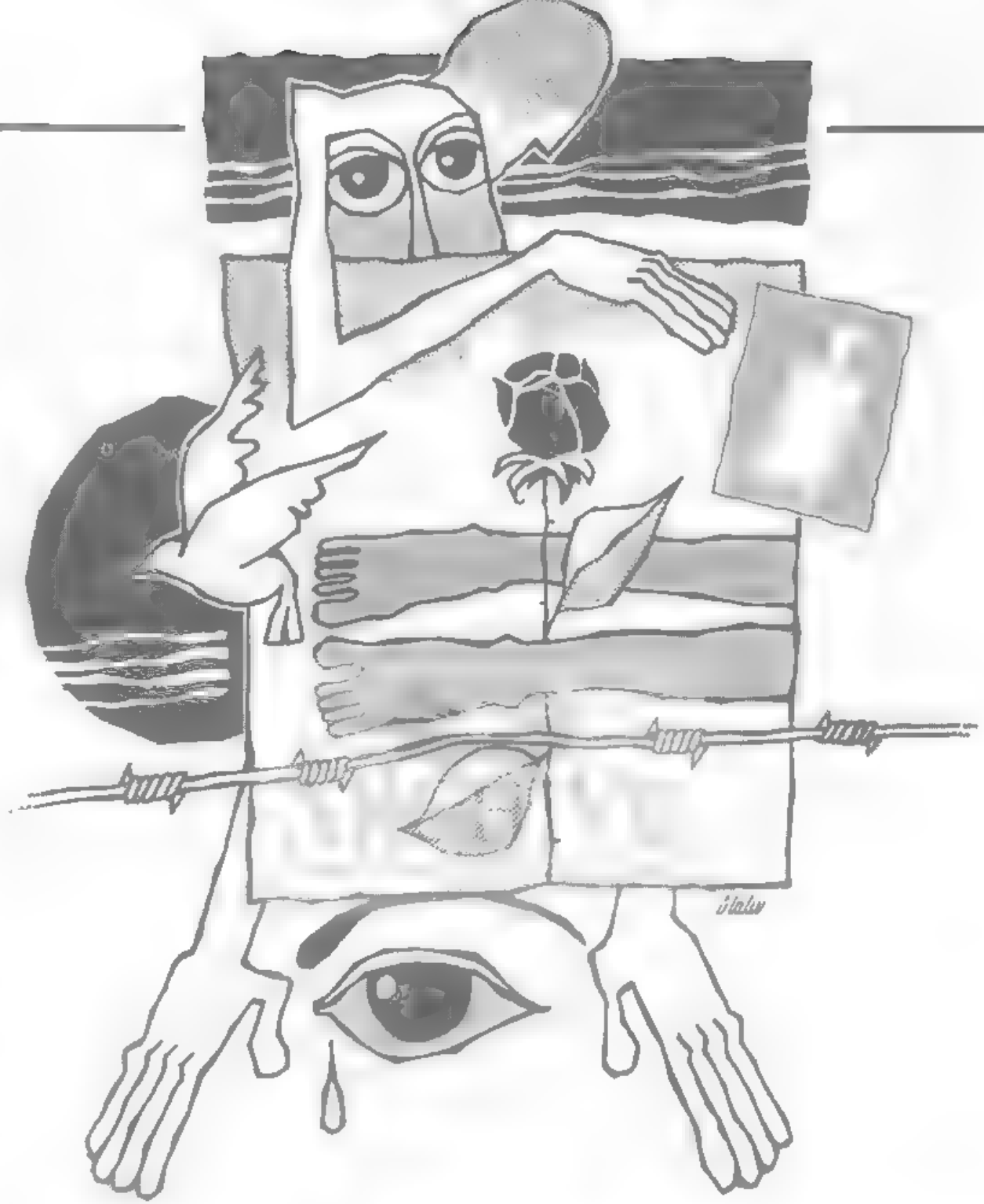

قاومت جوعاً ـ ما أكثر ما قاومت ـ حاصرتني ليال طويلة الأنفاس ، ثقيلة الأنفاس ، مطيرة الأنفاس ، مثلجة الأنفاس ، قاومتها بشرائح من « التوست » أنقعها فى اللبن ، شريحة فى الصباح ، شريحة فى المساء

أتذكر ، أتذكر

. . .

قال أرسطو : « يا إسكندر : لا تجزع على مافاتك ، فإن ذلك من خواص الضعفاء » .

(٩)

الحزن يصدىء القلب .
الحزن يصدىء القلم

(١٠)

فى ليلة تطفح بالسأم ..
قررت أن أثرثر معكم على الورق فكانت هذه البكائيات المترقرقة ، قد تثير فى نفوسكم السأم ، هذا ليس ذنبي .

و .. قد تقلبون شفاهكم وتقولون : كم هي سخيفة هذه المرأة

هذا ذنبكم ، لأنكم واصلتم القراءة حتى النهاية

أتركتكم فى أمان ، لتتركوني فى أمان .

سارة ـ القاهرة

كتاب الشهر

عرض وتقديم:
حسني شحادة

إحدى لوحات كتاب كليلة ودمنة

لوحة من مقامات الحريري رسمها يحيى بن محمود الواسطي

فن التصوير عند العرب

- استطلاع الفن
- عندما هاجر

فن التصوير عند العرب ، كتاب يتناول فناً جمالياً أبدع فيه الأجداد إنه يحكي قصة هذا الفن عبر العصور العربية المختلفة بكل ما أعطتنا من ثراء وغناء في أشكال الفنون المتعددة ، التي تبلورت من جديد بقيام الدولة الاسلامية ، مكونة أساليب متميزة . تحقق تطلعات أولئك المؤمنين من العرب الحماة ، الذين خرجوا من شبه الجزيرة العربية ، مجاهدين في سبيل الله ، فاتسعت الدولة الاسلامية ، وعمرت ونما ذلك الوعي لنضج بين المسلمين على اختلاف مشاربهم وأجناسهم وربما كان هذا الأمر هو الذي عبر عنه ـ بكل وضوح ـ العالم الكبير ، أبو الريحان البيروني بقوله « إن ديانتنا وامبراطوريتنا عربيتان وتوأمان ، لأولى تحميهما قوة الله ، والثانية تحرسها يد السماء فلطالما حاولت طوائف من الرعاع أن تتآلف سوية لاضفاء الصفة غير العربية على الدولة ، ولكنها لم تنجح في هدفها » .

وقبل الدخول فى تفاصيل عرض هذا الكتاب الهام ، أحب أن أقول إن التراث هو الميراث الذى يخلفه السلف إلى الخلف . وإلى المجموعات البشرية المتعاقبة . فهو وسيلة حضارية ، جمعت بجهد فكرى وابداع عقلي ، وقوة بدنية . وبالعلم والعمل ، تجسد الانجازات ، والتجارب ، والخبرات ، والمواقف ، والقيم .

ومن هذه الأنماط الحضارية ، الكلف بالجمال ، وتطوير فنونه ، وأساليبه ومراميه ، ذلك أن حب الجمال ، قديم قدم الانسانية ، فبهجة الانسان ، بنواحى الجمال التى تحوطه ، من مظاهر طبيعية ، أو فيما ترك من آثار ، أمر يشهد به تاريخ الانسانية ، وتسجله آثارها ، منذ العصر الحجري ، ومروراً بالحضارات القديمة ، حتى يومنا هذا .

ولهذا فإن كتاب « فن التصوير عند العرب » هو خلاصة تراث العرب الفني على مر العصور ، ويزيد من أهميته ، أنه من تأليف عالم متخصص من أبرز العلماء فى الفن وهو « ريتشارد اتنغهاوزن » ، وترجمه الى العربية الدكتور عيسى سلمان ، والأستاذ سليم التكريتي .

ويشتمل الكتاب على خمسة فصول ، تقع فى حوالى مائتين وخمسين صفحة من القطع الكبير ، ومزود بلوحات مختارة من الفنون الاسلامية فى العصور المختلفة

بداية الفنون التصويرية

وقد استخدمت كلمة تصوير فى هذا الكتاب بأوسع معانيها ، فهى لم تشمل الرسوم على الجدران ، وعلى الخشب ، وعلى الورق ، فحسب ، بل شملت الرسوم على الزجاج ، ورسوم الفسيفساء الزجاجية ، والرسوم على الفخار أيضا

ولما اتسعت الدولة الاسلامية ، فأصبحت دمشق حاضرة الأمويين ، وبغداد حاضرة العباسيين ، وقامت مدن اسلامية كبيرة فى مشارق الدولة الاسلامية ومغاربها ، أصبح للفن التصويرى دعاة ، فهذا الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك (٧١٢ ــ ٧١٥م) ، يشيد قصر عمرة فى بادية الشام فى الأردن ، طرف البحر الميت الشمالي الشرقي ، فيزين السقف والجدران بالنقوش الجميلة ، وكذلك الخلفاء العباسيون ، زينوا قصورهم فى بغداد ، وسامراء ، وآل عثمان فى تركيا ، بالاضافة الى الفرس الذين سبقوا غيرهم فى هذا المضمار .

لقد عني المسلمون بإبداع رسوم جميلة ، ولكن يندر تصوير الأحياء فيها ، إذ تكون فى غالبيه من أشكال نباتية هندسية فنية ، يتداخل بعضها ببعض ، فتكون زخارف ، أصبحت من مميزات جمالية الفن الاسلامى . وبقيت تلك الرسوم شاهدة على فنية هذه الأعمال التصويرية .

قبة الصخرة المشرفة

ومن أهم تلك الرسوم ، أقدم التصاوير التى ابتدعت فى الحضارة الاسلامية ، والتى مازالت محفوظة على نطاق واسع ، على الجدران الداخلية لقبة الصخرة المشرفة فى بيت المقدس ، وهو أول بناء ضخم فى دولة الخلافة الاسلامية ، بنى بأمر الخليفة عبدالملك بن مروان عام ٦٩١ م ، ويتألف البناء من قبة كبيرة ، وروافين يدوران حول ما هو بارز من الصخرة ، وذلك إحياء لذكرى المكان الذى بدأ منه معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إن مظاهر الزخارف التى تزين البناء ، تحكي قصة فن التصوير العربى الاسلامى المميز ، فنرى فى الفسيفساء الزجاجية التى تغطى أجنحة وبواطن عقود الروافين ، ورقبة القبة . تنوعاً كبيراً ،

لوحة من كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » وهو محفوظ فى مكتبة طوبقبو سراى باسطنبول

لأشكال رسوم نباتية ، فهذه أشجار رسمت رسماً واقعياً ، وهذه رسوم نباتية شكلية ، تتخللها أزهار وورود ، في زهريات مختلفة الأشكال ، مزينة بفروع وأغصان ذات التواء ، وأخرى عمودية محتشدة وبنطاق واسع ، وتلك زهرة ذات حجم كبير ، تطغى على ما حولها .. وهكذا .

وهناك صفة مميزة أخرى ، وهي الاستعمال المفرط لأشكال المجوهرات المصنوعة من الأصداف والأحجار الكريمة ، المرصعة على الأشكال النباتية . وأكثر هذه الرسوم الفنية دهشة ، تلك التيجان المتنوعة الأكاليل والدروع على جوانب الأروقة المواجهة للصخرة في الوسط .

إن هذه الزخارف الفسيفسائية المفرطة في الغنى ، مظهر له ما يبرره . فهي قبل كل شيء في بناء يشغل مكاناً مقدساً منذ القدم .

وهذه أشكال التيجان والجواهر الثمينة الفاخرة الأخرى حول الصخرة المشرفة ، إبراز لدور القوتين الكبيرتين المعاديتين للاسلام الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية الفارسية . كما أظهر الخليفة تقواه كمسلم ، حين أرسل شعار الدولة المؤلف من سرادقين الى الكعبة في مكة المكرمة .

أما الهدف الثالث لعلاء هذه الزخارف ، فهو صنعه ، فهو التفوق على أبهة مباني الديانات الأخرى ، واستمالة المهتدين الجدد ، الداخلين في دين الله أفواجاً .

ونحن نرى أن الغرض الأساسي لهذه الزخارف ، يبدو وكأنه ليس لايهار أبصار المشاهدين فحسب ، بل أكثر من ذلك ، وهو الإعلان عن انتصار دين الله ، وإظهار سيادته العالمية .

الجامع الأموي في دمشق

وكما نعرف فقد اتسم عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك ، كعهد ازدهار للدولة العربية الاسلامية . فقد اتسعت الفتوح شرقاً وغرباً ، فأظهر طموحاته العظيمة في الداخل ، وخاصة ازدهار العمران ، فبنى عمائر كبيرة في مراكز الخلافة . وشيد المسجد الأموي في دمشق ، ومسجداً في المدينة المنورة ، وثالثاً في القدس الشريف ، وتقول المصادر التاريخية ، بأنه أمر بتزيين الكعبة الشريفة في مكة المكرمة بالفسيفساء .

ويعتبر جامع دمشق الكبير ـ الجامع الأموي ـ الأهم بالنسبة لتاريخ التصوير ، حيث نجد أوراق « الإكنثس » النابعة من « قرون الرخاء » . والأشجار المرسومة رسماً واقعياً ، مشابهة لما هو موجود منها في قبة الصخرة المشرفة ، أما المباني ، فتظهر في الرسوم ، على هيئة مجاميع صغيرة ، أو وسط مناظر برية ، كما هو ظاهر في المشهد الشامل على الجدار الغربي للرواق ، وهذا الرسم هو المخزن الفني الباقية من زخارف المسجد الأصلية ، حيث وصلت الى تلك الرسوم يد البلاء والتلف ، بسبب الزلازل تارة ، والحرائق أخرى .

وهناك مجاميع عديدة من المباني ذات الطرز المختلفة بين ثماني أشجار ضخمة ، بالقرب من متسع مائي ، يخاله الرائي كنهر يجري بشكل واقعي .

وقد تجلت مهارة وإتقان الفنانين ، في إنجاز هذه الأعمال الفنية وتصويرها طبقاً لمتطلبات الشريعة الاسلامية ، اذ لم تظهر مطلقاً رسوم لمخلوقات بشرية أو حيوانية من جهة ، ومن جهة أخرى فقد كانت تمثل العالم الاسلامي الفسيح ، وقد أكد العالم الجغرافي المشهور « المقدسي » ذلك بقوله :

« من العسير ان تكون في هذه الرسوم شجرة معروفة أو مدينة شهيرة ، لم تصور على تلك الجدران » .. ويعزز « ابن شاكر » وهو من مؤرخي القرن الرابع الهجري هذا الرأي ، عندما يصف الفسيفساء « انها تمثل كل الأقاليم المعروفة » .

ويعلق المؤلف على ذلك فيقول :

من العسير على مرء أن يصور ملأ قوس قزح منتظمة بعضها فوق بعض بروعة حقيقة ... غير أن وجدنا معروضاً في هذه الزخارف الفسيفسائية التي تضمنها الجامع الرئيسي في العاصمة دمشق

قصر عمرة

في قصر عمرة ، فقد شيد الوليد بن عبد الملك باني مسجد جامع دمشق الكبير الجامع الأموي ، ويرجع قصر عمرة الى الناحية الغربية إلى أنه حلقة الوصل بين الفن العربي الذي تأثر بالفن والثقافة البيزنطية ، وبين بداية الكشف عن شخصية الفن العربي المتميزة . فالزخارف التي حفظت على جدرانه ، تعطينا فكرة ذات أهمية كبيرة ، فالتصميم المركزي للقاعة الكبرى ، يشكل وحدة زخرفية منتظمة ، ذات أشكال هندسية ، مربعة ، أو ذات أضلاع كثيرة ، مزخرفه بأقواس تحسب اللب من جمالها وتناسقها . أما عرف النوم فقد زينت جدرانها وسقوفها بزخارف مستوحاة من النباتات ، ومن المجموعات الحلزونية لأشجار الكرمة ، وقد وشيت هذه الزخارف بالرمر والفسيفساء ، وقد غطي السقف بزخارف هندسية ، وتشاهد على الجدران شعارات تمثل زهرة ، اللوتس ، في كأس مفرطح ، ذات تعبيرات رمزية .

ومن الموضوعات الفنية الشيقة والحية التي نرى في أحد الأروقة ، قصة صيد البقر الوحشية بالشباك . وعلى الجدار المقابل رسم تقوم فيه كلاب الصيد بالهجوم على قطيع من الغزلان .

وهناك في إحدى المقصورات ، سقف يدعو الى الدهشة والتأمل ، اذ رسمت فيه زخارف القبة السماوية ، بأبراج ونجوم ، وبطريقة علمية ، وهذه الزخارف مصنوعة من ألوان الذهب ، حتى السماء فيها مذهبة ، ومزينة بالفسيفساء .

ولعمري فإن الفن التصويري في قصر عمرة ، ينتقل من موضوع تصويري الى آخر ، وكأنه كتاب مصور ، يرى فيه الدارس لوحات مختلفة ، وفي انتقال مفاجيء باتجاه نحو تقسيم المنظر إلى وحدات تتكامل لتكون صفة بارزة من صفات فن التصوير عند العرب .

القلاع والقصور الأخرى

لم يكن قصر عمرة هو المنزل الوحيد الذي شيد في زمن الأمويين في الصحراء ، ذلك لأن معظم بني أمية كانوا يكرهون العيش في المدينة ، لأنهم كانوا يظنونها غير صحية لازدحامها . لذلك بنوا لأنفسهم الكثير من المباني التي تشبه القلاع عند تخوم الأراضي الزراعية في سوريا ، والأردن ، وفلسطين . فعدا قصر عمرة ، يوجد قصران أمويان آخران ، يتجلى فيهما فن التصوير العربي ، وهما « قصر الحير الغربي » و « قصر خربة المفجر » .

وقد شيد قصر الحير الغربي بإتقان ، وزخرف بإفراط ، وهو يقع على الطريق من دمشق الى تدمر ، ويعود تاريخه الى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، ويحتمل أن يكون قد شيده في حوالي سنة ٧٣٠ م ، ويحتوي القصر على صورتين كبيرتين على جدران الغرف ذات السلالم ، الأولى موشاة بالفسيفساء ، التي يستغرق صنعها وقتاً طويلاً ، وأما الثانية ، فهي مرصعة بالرمر في تصوير بديع .

أما قصر خربة المفجر بالقرب من أريحا في فلسطين ، فقد شيد في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، وقد عثر المنقبان « هاملتون » و « ديرمكي » ، على نحو مائتين وخمسين قطعة مرسومة ، وعلى عدد كبير من الفسيفساء التي بقيت في حالة جيدة ، من قصر خربة المفجر .

إن هذه التصاوير مدهشة خلابة ، اذ تحتوي على تصاميم هندسية ، في احداها مثلا شكل يتألف من شجرة تفاح أو سفرجل كبيرة ، مع نباتات مورقة على يمين الصورة وعلى يسارها ، ويرى بين هذه النباتات من الجهة اليسرى غزالان يقضمان الأوراق في حركة بطيئة نحو الواجهة الأمامية ، وعلى الجهة اليمنى ، فتوجد صورة أسد مفزع ، قد قفز على ظهر غزال يرتعد فرقاً ، وهو يحاول الافلات .. ولكن دون جدوى .

ازدهار فن الكتابة

والواقع أننا عندما نستعرض الرسوم التصويرية العربية ، فإننا لابد أن نتطرق من ذلك الى فن الكتابة ، في الفترة الممتدة من أوائل القرن الحادي

عشر الميلادى وحتى منتصف القرن الثاني عشر ، لم يحدث أي تطور مباشر ، بعد التجارب السابقة لحركة التصوير الواقعية ، إلا فى التحف المعدنية ، والأوانى الخزفية ، والقراميد ، والجص

وقد ظهر فى نهاية القرن الثاني عشر ، باعث آخر للتطور بشكل ملموس ، فى المخطوطات ، وهى أجمل المنمنمات التى يبدأ تاريخها بصفة أساسية فى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى

كليلة ودمنة

كان شعراء العرب القدامى يتخذون الحيوانات مادة لموضوعاتهم الأدبية ، ولاسيما الخيل والإبل ، لذلك لم يكن من المدهش ، أن نجد واحداً من المؤلفات العربية يتناول أساطير عن الحيوان ، وهو كتاب « كليلة ودمنة » يعزى الى الفيلسوف الهندي « بيدبا » ، وترجمه ابن المقفع المتوفى سنة ٧٥٩ م ، والذي يبين فى مقدمته بأنه لم يستخدم التصوير الملونة للحيوانات ، ليجتذب الشباب العوام فحسب ، بل اهتمام الملوك على وجه التخصيص لقد كان الكتاب فى الواقع مرآة للأمراء . وقد قيل عن صوره التى رسمت بألوان مختلفة ، أنها قد رسمت ، لتزيد من بهجة القارىء ولتجعل المفاهيم الواردة فى القصص اكثر تأثيراً .

كتاب الأغاني

ويتمثل هذا النمط التصويرى أيضاً بصورة مشابهة فى كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الاصفهاني ، المكون من عشرين مجلداً ، والذى أنجز سنة ١٢١٩ م ، بعد عمل استغرق أربع سنوات ، وبقيت من هذا الكتاب ستة أجزاء ، منها المجلد الثاني والرابع والحادي عشر موجودة فى دار الكتب المصرية ، أما المجلدان الرابع عشر والتاسع عشر ، فهما فى مكتبة « ملت كتب خانه سي » باستانبول ، والجزء العشرون فى المكتبة الملكية فى كوبنهاجن عاصمة الدنمرك

الفن البيزنطي في لبـــاس عربى

ولقد ساد عنصران رئيسيان فى التصوير العربى خلال العهد الأموي ، العنصر البيزنطي (الكلاسيكي) والعنصر الساساني ، أما فى العصر العباسي ، فقد كان ـــ بادىء ذي بدء ـــ العنصر الايراني هو السائد ، ثم ماثبث أن ساد العنصر الكلاسيكي عن طريق الايحاء البيزنطي ، عندما استطاع المصور العربي أن يدخل التأثيرات الكلاسيكية فى منهجه الخاص ، ثم تكييفها بطريقة الحياة الإسلامية ، ويتضح ذلك فى المخطوطات الاغريقية التى ترجمت الى العربية بتصاوير مزوقة بالزخارف المختلفة ، مثل مخطوطة « مادة الطب » الاغريقية « لديوسقوريديس » المؤرخة فى عام ١٢٢٩ م ، والموجودة فى متحف « طوبقبو سراي » باستانبول فى تركيا .

وهناك صورتان تستحقان التنويه فى تلك المخطوطة ، عن النباتات الطبية ، الأولى تمثل رسماً لشجرة الكرم ، تمثل نمو النبتة من الجذر حتى الأوراق ، بتصوير صادق ، لدرجة أنها لو لم ترسم على ورقة ، لحسبها المرء نبتة أصيلة أغريقية أدخلت فى كتاب عربى

أما الرسم الثاني : فهو تصوير لنبتة « العدس » وهى تقف على شكل مغاير تماماً لشجرة الكرم ، فنجد أن الصورة قد رسمت فى شكل متناظر لأجزاء ، دون أي تدرج فى التلوين

وفى هذه المخطوطة العربية لمادة الطب رسم جدير بالتنويه عنه ، لنبتة « الاتراغالوس » ، التى تستعمل كعلاج لبعض الأمراض ، فقد رسمت بطريقة عادية ، ولكن بدلا من أن توضع فى مكان خال ، كما هو فى مخطوطة مادة الطب الأصلية [illegible] أضيفت فى المخطوطة العربية [illegible] مع منظر [illegible] يظهر فيه كلب مفترس [illegible] التلال يطرد ثعلباً شريداً ، فقد حاول [illegible] أن يضع هذه المنمنمات [illegible] بعيداً عن الرسوم العباسية .

عاصمة الخلافة العباسية

وقد بلغ فن التصوير العربى شأواً تكامله بعد سنة ١٢٠٠ م ، فى عاصمة الخلافة العباسية ، بغداد ، وبلغ مجده فى الربع الثاني من ذلك القرن ، وشاء القدر أن تكون أول إشارة تدلل على هذا التطور ، مخطوطة فى الطب البيطري ، خاصة بعلاج الخيل ، وهى مخطوطة « البيطرة » ، لأحمد بن الحسين الاحنف » ، وتوجد منها نسختان ، نسخة محفوظة فى دار الكتب المصرية ، نسخت عام ١٢٠٩ م ، أصاب المنمنمات فيها بعض التلف . أما الأخرى ، فموجودة فى « استانبول » ، ونسخت سنة ١٢١٠ م ، وتحتوى على تصاوير من ذات الأسلوب تماماً

ولكن مرحلة النضوج تتمثل فى منمنمات نسخة من مخطوطة « رسائل إخوان الصفا » ، وهى موسوعة علوم ، نسخت فى بغداد سنة ١٢٨٧ م ، وتمثل الأسلوب البغدادي الخالص فى أوج عظمته ، لأن فكرة التصاوير قد خضعت جيداً ، فى مفاهيم الحضارة العربية الاسلامية ، فأصبحت نتاجاً متميزاً .

مقامات الحريري

ولقد كان لرسوم « مقامات الحريرى » ، التى أنجزت فى بغداد ، بالجهد الكبير ، والمتنوع ، والذى بذل فيها ، منزلة ، دفعت عن التصوير العربى الى الذروة

تحتوي مقامات الحريرى على خمسين مقامة ، دارت أحداثها فى أماكن متفرقة ، ومختلفة ، أعطت للفنان العربى بعداً وخيالا ، ووفرت للقارىء تصوراً يضفى على المقامة حيوية وجمالاً وتاريخاً ، حيث اعتبرت مرآة للحياة العربية فى العصور الوسطى .

واشتهر من المقامات ، مخطوطتان ، الأولى محفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس العاصمة الفرنسية ، تحتوي على تسع وتسعين صورة ، برسم الواسطي ، وتعرف باسم « شيفر حريري » نسبة الى مالكها « شيفر » .

أما الثانية ، فمحفوظة فى معهد الدراسات الشرقية ، بأكاديمية العلوم فى « لينينجراد » ، وتمتاز بمنمنماتها ذات الصفة التعبيرية المتوافقة مع قصة المقامة المعبرة عنها

ولابد من وجود عدد من المخطوطات المفقودة لمقامات الحريري وقد دل على ذلك اكتشافه نسخة ثالثة مزوقة مؤخراً ، فى استانبول ، ولكنها تعرضت لتشويهات لا يمكن اصلاحها

لقد اعتمدت كل المنمنمات الموجودة على خيرة وحسن اطلاع على المناظر النوعية التى رسمت ، ولكن هناك استثناء وحيداً يتمثل فى صورة إحدى الجزر الشرقية التى رسمت عندها سفينة « أبوزيد وبحيرة » إن هذا الرسم من بنت أفكار المزوق ، فقد رسمت بطريقة زخرفية بديعة ولكنها مبسطة

وغير مقامات الحريرى . هناك الكثير من المخطوطات المزوقة ذات التصاوير وقد اقتصرنا على ذكر ماسبق ، المشهورة الذائعة ، مثل ألف ليلة وليلة ، ومخطوطة رياض وبياض الأندلسية . وكلها تدلل على ما كان للتصوير العربى من أشكال أكثر جاذبية وبهاء .

فن ما بعد الغزو المغولى

ويعتبر الغزو المغولي نقطة التحول الكبرى فى تاريخ التصوير العربى الاسلامي ، والذى بلغ ذروته القصوى باحتلال بغداد ، سنة ١٢٥٨ م ، حيث قتل آخر خليفة عباسي حاكم فيها ، فخربت المدن ، وقتل الناس ، وأحرقت الكتب ، ورميت المخطوطات فى نهر دجله حتى غلب لون الحبر على الماء ، فدمر المناخ الاجتماعي والاقتصادى بعد الازدهار الذى أدى الى سمو فن تزويق الكتاب . فتبع ذلك ثلاثة تغييرات كبرى أولها هجرة كثير من الفنانين الى أماكن آمنة فى الغرب أو فى الشمال الغربى ، وأجبر آخرون الى الهجرة الى الشرق الأقصى للعمل فى العواصم المغولية

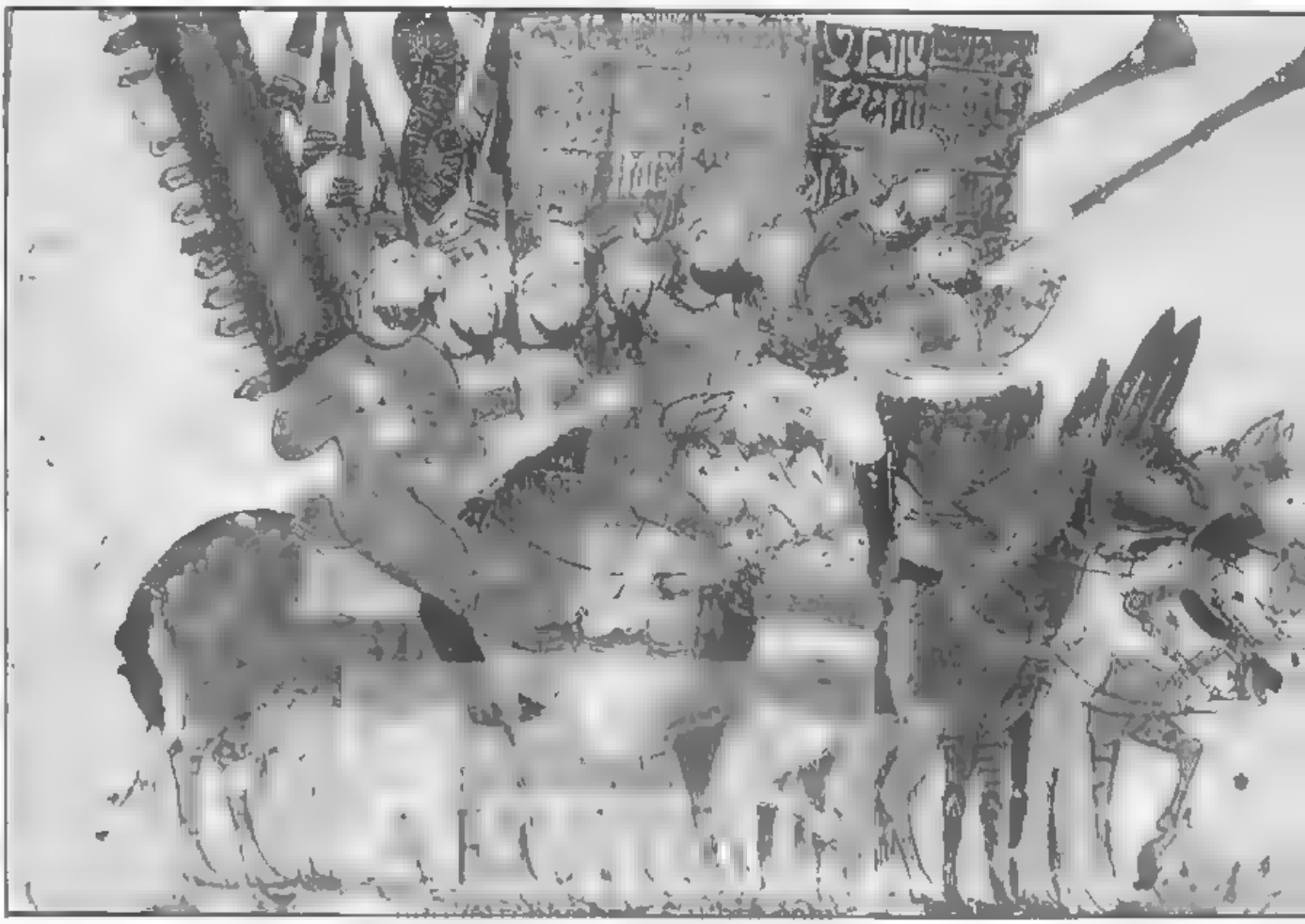

فرسان يهجمون المشركة في معركة حدى لوحات مقامات الحريري

الحديثة ، وهذا التحول أحدث بدوره التغير الثاني الذي جعل الفنانين الذين أخذوا للعمل تحت إمرة الأسياد الجدد ، فهيأوا أنفسهم لأذواق فنية متغيرة . وانسحت خضوع هؤلاء الفنانين الى تأثيرات مغولية

وخضعت بغداد مدة مائة وخمسين سنة تحت الحكم المغولي . الذين كانوا وثنيين ثم هداهم الله فاسلموا . ولكن انتاج المخطوطات المزوقة بقي مستمر بشكل محدود جداً ، فقد انتقل مركز الانتاج الحقيقي الى دولة المماليك في مصر وسوريا ، ولكنه لم يبلغ المستوى الرفيع الذي بلغه في النصف الأول من القرن الثالث عشر . ولكنه شهد انتعاشاً ضئيلاً في النصف الأول من القرن الرابع عشر فمن أهم المسلسلات المميزة منمنمات هذه الفترة سلسلة تتألف من إحدى عشرة صوره في بداية كتاب « منافع الحيوان » لمؤلفه « بختيشوع » وهو مخطوط طبي يتناول الانسان والحيوان والنبات ، بنفس الطريقة التي طبقها « ديقوريدس » عن النباتات . وهناك أيضاً مخطوطة واحدة ، امتزجت فيها الصفات العربية والصينية (المغولية) وهي مخطوطة « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ، للبيروني ، مؤرخة سنة ١٣٠٧ م ، فتظهر رسومها الأشخاص بسحنة مغولية ، ولباس عربي ، وكذلك مخطوطة « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » للقزويني الذي تناول فيها الاجرام السماوية والمعادن والنبات والحيوان والانسان ، وهناك منمنمة أخرى في مخطوط عنوانه « منافع الحيوان » تأليف « ابن الدريهم الموصلي » ، الذي خطه بيده في سنة ١٣٥٤ م . وهكذا يتضح أثر الغزو المغولي في المنمنمات العربية ، ولكن يبقى الطابع الحريري هو الغالب

المنمنمات في العصر المملوكي

وقد تجلى مظهران من مظاهر فن التصوير العربي في عهد المماليك البحرية (من سنة ١٢٥٠ م ـ ١٣٩٠ م) ، الأول هو الفن المتقن التأليف في العالم الاسلامي ، الذي يتمثل في الاشكال الهندسية المعقدة . التي لم تكن تغطي جدران المساجد وقبابها فحسب ، وإنما كانت تغطي المنابر ، والأبواب ، ودفات الشبابيك ، وأغلفة الكتب ، والسجاد

أما المظهر الثاني فهو ظهور شكل واحد من الأشكال الرئيسية للزخرفة ، بل إنه الشكل الوحيد أحياناً ، ذلك هو الكتابة الخطية لاسم السلطان ، أو الأمير بكل نعوته الدقيقة وأوسمته ، وهذا ما جعل الرسام الرسمي في عهد المماليك ، غير قادر على انتاج فن واقعي ، يمثل الحياة اليومية تمثيلاً صادقاً بمضامينها النفسانية . ويتخلى عن الفن الاجتماعي على غرار ما حوته مخطوطات مقامات الحريري ، الموجودة في مكتبتي باريس ولينينجراد .

ويتمثل الأسلوب المملوكي في مخطوطة مملوكية فريدة مؤرخة سنة ١٢٧٣ م ، وهي مخطوطة « دعوة الأطباء » من تأليف « ابن بطلان » ، وبها إحدى عشرة صورة ويمكن مشاهدة جملة من مظاهر المميزة للأسلوب المملوكي فيها ، ذلك أن التصويرة لها إطار تخطيطي ذو أقواس وزخارف

متناظرة ، كما نسخت مقامات الحريري وزينت بتصاوير مملوكية وكذلك كليلة ودمنة .

وهناك مرحلة أبعد فى تطور التصوير فى العهد المملوكي ، فى مخطوطة فريدة تم التوصل إليها ، وأنجزت فى حوالى منتصف القرن الرابع عشر ، وهذه المخطوطة هي « كشف الأسرار » لمؤلفها « ابن قائم المقدسي » ، الذى تناول الأزهار والطيور والحيوان ، وصورها تمزج بين العرض الشكلى فى التصوير المملوكى ، وبين رشاقة الترتيب الزخرفي

المنمنمات فى القرآن الكريم

وهناك فرع ثالث ، بالإضافة الى الرسوم والزخارف التى صنعت فى البلاطات وفى المراكز المدنية ، ألا وهو التصوير الزخرفي فى القرآن المجيد ، والذى سار موازياً لهذين النوعين ، ويتمثل هذا الفن فى أشكال هندسية مضافاً اليها أشكال نباتية ، إذ منذ القرن الحادي عشر الميلادى غدا زخرفة القرآن المجيد شكلا أساسياً للمصحف الشريف .

وتتمثل أقدم الزخارف القرآنية ، فى تلك الأشكال التى تفصل بين الآيات ، ثم تلك الزخارف التى تفصل بين السور ، وزخارف الهوامش والمقاطع ، وأخيراً فهرست الزخارف التى تحصى صفحة الغرة بكاملها . إلى على شكل تركيب من صفحة واحدة أو صفحتين ، كما تضاف زخرفة فى خاتمة القرآن

المرحلة الأخيرة فى التصوير العربى

ثم يعتبر عام ١٣٥٠ م هو المرحلة الاخيرة للتصوير العربى الاسلامى ، لأنه خضع لأساليب غير عربية ، ما عدا تزيين القرآن الكريم ، الذى استمر ولازال بأسلوبه المميز .

لقد طغى الأسلوب التركى فى بلاد الامبراطورية العثمانية ، والأسلوب الفارسى فى بلاد فارس ، فنجد مثلا مخطوطة « عجائب الخلق » المنسوبة للطوسى تنسخ فى عام ١٨٨٨م ، وقد وضعت بأسلوب فارسى ظاهر . وكذلك جميع المخطوطات التى نسخت بعد ذلك ، فقد تغلبت عليها إما الصفة التركية أو الصفة الفارسية ، وإن كان قد صيغ الفن التصويرى بطابع غير عربى ، إلا أن الحرف العربى يبقى بجماله ورونقه ، لان العربية هى لغة القرآن

وستبقى تلك الرسومات والمنمنمات العربية أصدق مرآة للحضارة العربية الزاهرة .. فقد ورثنا الكثير وتعلم العالم شرقه وغربه من حضارتنا فكيف نقف اليوم إزاء هذا الإرث الحضارى ، وما منزلته فى حاضرنا وعند الأجيال المقبلة ؟

حسنى شحادة

شجرة مع مناظر حيوانية (٧٢١ ـ ٧٤٣ م) وهى صيغت لزينة فى غرفة الاستقبال لحمام حربه الغجر (الاردن)

من كتاب رسائل اخوان الصفا ، ١٣٨٧ م (٧٨٦ هـ)

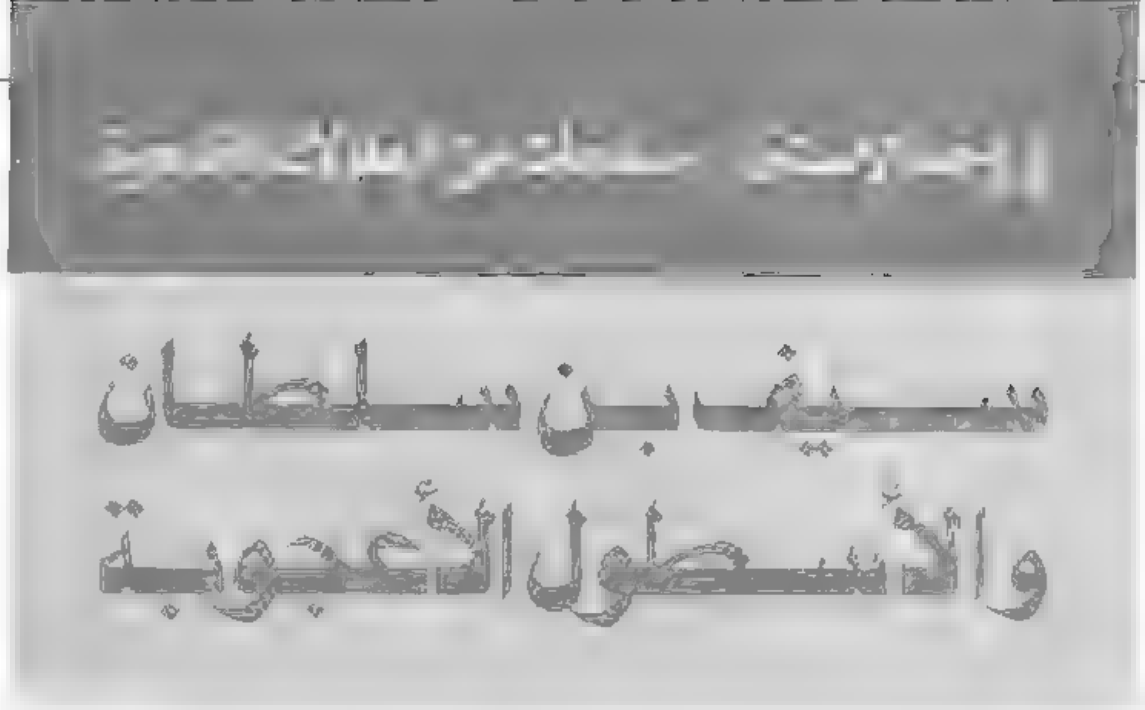

سيف بن سلطان والأصول العمانية

بقلم: أحمد العناني

لا نزال مع فترة ماجدة من تاريخ عمان ترعرعت فيها زهرات مجد مقتطف من دماء مختلطة ، بعضها دماء المجاهدين ضد المستعمرين الوغدين ، وبعضها من صف بأيدي دماء سفكها المسلمون في فتنهم الداخلية .. ويا لله كم تكبر فطنة الرجل الدين يوفقون جياد الحياة الجامحة في عصور المحنة الكبرى .. وهي عظمة في التاريخ الاسلامي لا يمكن أن تكون بغير جذور إسلامية وصفت من العظمة حقيقية . واذا اجتمعت غاية الاسلام وشرف الرجولة في قائد فهو الحق الذي لا يلحق .

يرى الدكتور صلاح العقاد المتخصص في تاريخ الخليج (١) أن الحافز الديني (كان) يلعب نفس الدور الذي تؤديه المشاعر الوطنية في عصرنا الحديث ومن ثم لم يكن بوسع أي زعيم تحقيق الوحدة إلا على أساس دعوة دينية ومن هنا (كما يرى هو) ارتبط قيام أسرة اليعاربة باحياء نظام الأمة ، كما نسبت إلى بعض الأئمة المعجزات ... الى آخر ذلك .

ونحن على خلاف حاسم فيما يراه الاستاذ الدكتور صلاح العقاد في أمر « كان » هذه هن الدور الديني في استقلال وتحرك الشعوب الاسلامية ، فان الذي نراه من منطلق عقيدتنا غيرما يراه هو من منطلق اعتقاد أنه يداري التخفي فيه وهو غير خاف .. ترى أن الحافز كان ويظل يلعب الدور الأساسي في قيام أمواج لا تنقطع من التحديات التي تواجه طبعا بردود فعل استعمارية وأحياناً وطنية . ولقد كان ذلك بالضبط هو رأي دزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا الاستعماري اليهودي الذي قدر عبثية المواجهة مع الإسلام بغير القضاء على جذور القرآن من المجتمعات الاسلامية ..

وإني لا أشك إطلاقاً أن دراسات توينبي في تاريخ الاسلام وهو رجل شغل بابن خلدون كل الانشغال وبالدراسات الاسلامية بعامة ، هي التي حفزته إلى بلورة نظريته المعروفة في سير التاريخ عن التحدي ورد التحدي والتي نقض بها نظرية ماركس في الموضوع نفسه فالاسلام قد يظن أن شعوبه ماتت تأخرا وقهراً وصراعاً فيما بينها ، واذا بقيادة رجل مخلص حكيم تأخذ الأمور اتجاهاً آخر ، واذا القلوب كلها من وراء ذلك الرجل صفاً واحداً وكتلة شعور واحدة .. ذلك ما حصل في غير حادث واحد .. وما معركة الزلاقة ومعباسة وعين جالوت وحطين ووادي المخازن وغيرها كثير إلا أمثلة عن ظاهرة الاسلام العجيبة ..

واذا ما عم الألم والغضب الشعوب الاسلامية فإن الأمر لا يتطلب إلا قائداً يحمل سمات الاسلام للرجل الزعيم فاذا الأمور بين ليلة وأخرى على غير ما عرف عنها تماماً .

استعادة الثقة

في وهج المشاعر التي أوجدها طرد البرتغاليين من آخر معاقلهم في مسقط عام ١٦٥٠ للميلاد ، لم يستعد العمانيون ثقتهم بأنفسهم ، وبمقيدتهم وبتاريخهم وحسب ، ولكنهم في الواقع اتخذوا دوراً هجومياً لطرد البرتغاليين من المجال الحيوي العماني ولا سيما في شرقي أفريقيا ، ومعروف جيداً دور العرب المسلمين في كل ساحل زنجبار على المحيط الهندي ، في موانئه الزاهرة مثل كلوه ومعبسة ، وبانا ودار السلام ونجيا ومافيا وغيرها .. فبعد أن عمروا واجهة افريقيا الشرقية على المحيط وأوجدوا فترة نشاط هائلة بين تلك

الجبهة البحرية وآخر أبعاد المحيطين الهندي والهادي . جاء البرتغاليون بأساطيل متقدمة لتسليح وارادة للعدوان لا تبالي ولا تتردد ، وحقد صليبي متوقد

وما ان صحت العمانيون على حقيقة وضعهم الجديد حتى أدركوا أن ورود البرتغاليين من موانيء بلادهم ما لم يتبعه هجوم آخر لاستعادة حقوق عمان المسلوبة في مجالها الحيوي في ساحل زنجبار وفي الجزائر ذوات الأهمية الاستراتيجية للمحيط الهندي . وفي المواقع التجارية على ساحل العربي للهند . خصوصاً وان النفوذ الاسلامي كان غالبا في مواقع كثيرة منه . أقول أدركوا أي العمانيون انه بغير إكمال حلقات النصر فان كل شيء كان معرض لأكبر الخطر . وذلك ما أدركه الامام سيف الدين بن سلطان بخاصة

خصائص عمان البحرية

لقد صحت عزيمة الامام سيف بن سلطان على اعادة مجد بلاده البحري ، والعمانيون كما هو معروف محمولون حملا على مثل ذلك المجد ، فهم يواجهون على الجبهة البرية امتداد من مجاهيل الربع الخالي ، وبينهم وبين مراكز الخصب النسبي في ساحات الاحساء (حيث موقع مدينة الخط العظمى اجرعاء في قديم الأيام) وفي جزر البحرين وسيراف مع دروب الشمال الى البصرة واعراق واقليم فارس . مسافات باهظة الكلفة على المتاجرين او حتى المسافرين في البر ..

ولم يكن للعمانيين لندخول الناشط الى عالمهم الخليجي وعالمهم في المحيط الهندي إلا النهضة البحرية . وهي حين يوجد القائد العازم ليست أمراً عسير التحقيق

فعمان بلد يزخر بموانيء لطبيعية الممتازة ، والمتاجرون في البحر تتفتح أمامهم أخصب الفرص المواتية سواء في القارة السوداء أم في الهند واشرق على حد سواء .

وكانت ذكريات المجد العماني البحري قد بدأت تطوف بأذهان الناس وما زال لعمانيين سفنهم المتنوعة لكثيرة من سفن صيد وسفن تجارة ونقل من العبرة ــ ذلك القارب الرفيع المعروف باسم لكانوه ــ وحتى سفن انتقل الكبيرة من نوع « البغلة » ذات المؤخرة العالية . وكان سهلاً عليهم الحصول على أشكال الخشب من العادي منه حتى خشب الساج الهندي .. لكن الشيء الوحيد الذي كان ينقصهم هو السفن الحربية المزودة بالمدافع وذخيرة البارود النافذة ، وهذا ما استعانوا في الوصول اليه .

وانه لأمر يثير أعظم الاعجاب أن يتمكن سيف بن سلطان خلال تسع عشرة سنة من احكم أن يبني أسطولاً حربياً عرفت فيه ثمان وعشرون قرقاطة ضخمة ، لكن أحداً لا يستطيع أن يجزم بعدد سفنه المساندة الأخرى ، وحسبنا أن نعلم أن اليوارج من سفنه الكبرى كانت مسلحة بثمانين مدفعا ، وأنه كان في الامكان وخلال فترة استنفار محدودة تحوين ما يقارب لأربعمئة سفينة وقارب من الخدمات المدنية في الخدمة العسكرية بفضل الاحتياطات المتخذة سلفاً في بناء تلك السفن

والواقع أن لعمانيين كانو قد تلقو منذ مدة طويلة رسائل الاستغاثة من سكن زنجبار وغيره من المناطق الداخلية والبحرية من شدة وطأة الاستعمار البرتغالي وتعصبه الديني ، بعد أن اصبحوا يبتزون أموال الناس لأتفه الأسباب حتى قيل إنه حين كانت تعثر دابة لبرتغالي أمام بيت أو متجر مسلم كلف المسلم تعويضاً قد يستغرق كامل ثروته

وقد تمكن الامام سلطان بن سيف عام ١٦٩٠ م بأسطوله المتواضع عندئذ أن يحتل ممبسة لكنه كان عاجزاً عن محاوية الهجوم على القلعة الهائلة المعروفة هناك بقلعة يسوع فما لبث البرتغاليون أن استردوا ممبسة ، وكان شيئاً لم يكن . ولم يكن نصيب سائر الحملات التي شنها خلفه وابنه بلعرب بن سلطان بأحسن من حظ حملته هو ، وظل البشر الكبير يعصف بمسلمي شرقي أفريقيا حتى عام ١٦٩٣ حين كان حكم ابنه ... سيف بن سلطان .

النصر البحري العظيم

لقد دخل الاسطول العماني [illegible] معركة ممبسة التي ابتدأت في ١٣ مارس ــ الذي عام ١٦٩٦ واستغرقت سجالاً حتى ١٤ ديسمبر ١٦٩٨ . حين أدت العناية الالهية الى حسم المعركة نهائيا في صالح المسلمين حيث استشرى الطاعون حتى أهلك بقية المقاومين البرتغاليين

لقد أدى الاسطول العماني القوي الدور الرئيسي في معركة الممبسة بصورة من أقسى صور الصراع العنيد بين حماة الاسلام والنصرانية ، وليس هذا الكلام من باب المبالغة في شيء أبداً ، فحين وجد البرتغاليون أن بوارج العمانيين كانت تغطي النسان البري الضيق من خلف قلعة يسوع ، الذي كانت امداداتهم ترد منه ، تكبد البرتغاليون مشقة حمسة ضخمة سيروها من جوا في الهند ... وكان التحدي الكبير أن تتمكن النجدات من الوصول الى داخل قلعة يسوع وتوصل المؤن والأدوية الى المحاصرين فيها ، ولهذا دارت معارك وحشية ومطاردات عنيفة في البحر والبر ، ولم يتمكن سوى ما يقرب عشر المدد من الوصول الى القلعة ، ولكن أولئك العشرة في المئة ما لبثوا ان اصيبوا بالطاعون الذي كان قد استشرى داخل القلعة

وفي أوائل سبتمبر ١٦٩٧ وقد مضى على حصار المسلمين للقلعة واحد وعشرون شهراً تمكنت حملة من موزمبيق من الوصول تسللاً الى داخل القلعة بعض المؤن ، ولكن ذلك لم يفت في عضد المسلمين ، فظلوا يتابعون الحصار . وفي ديسمبر من عام ١٦٩٨ وفيه كان أسطول جديد للبرتغاليين يحل على ممبسة وقلعة يسوع قد أوشكا بتجريدة كبرى لفك الحصار ، كان المسلمون قد قضوا على مقاومة آخر جندي برتغالي ، ودخلوا الى القلعة التاريخية التي اشبهت مدينة الاشباح إذ كان معظم جنودها قد سقطوا صرعى المرض والجراح والمجاعة

ولكن من وجه البطولة من ناحية سيف بن سلطان و عمانيين طالما كان لمطاعون كل ما كان له من يد طولى في حسم المعركة ؟ إن الجواب على هذا يدخلنا إلى الجوانب الحزينة من التاريخ الاسلامي منذ القرن السادس عشر للميلاد بخاصة وهي جوانب تبرز منها ثلاث سلبيات كبرى شوهت تاريخنا تشويهاً رهيباً

الثالوث المفزع

يتألف ثالوث السلبيات المفزع في تاريخنا الحديث من ثلاث نقاط سيئة : هي الخلافات القبلية أولا والخلافات المذهبية ثانياً ، والصراع على السلطة مما يؤدي الى تمزيق الأمة

ولضيق المجال هنا لو أردنا أن نعدد مصائب الخلافات القبلية التي شوهت وجه الحياة أيام دولة اليعاربة وما بعدها ، ومعروف مع الأسف بداية أن الخلافات المذهبية الدينية تتبع النزعات القبلية كتبعية الظل للشيء .

إن المذابح والصراعات الداخلية كانت طول الوقت مستمرة في خلال صراع السلطان مع البرتغاليين بطردهم من شرق أفريقيا كله .

ولقد استفحل الشر وعظم الخطب حتى انتكفأ الرجل الذي كان يعد لأسطول على مستوى دولة عظمى يسترد به الطرق الاسلامية التجارية في المحيط الهندي والهادي حتى أسقط في يده ، ويبدو أن بعض القوم أخروه اغراء شديدا بالاستعانة على خصومه بدولة أجنبية فوجد من يستنجد بنادر شاه الفارسي بدلا من الاستعانة بقوة أوروبية من نوع الذي كان يحاربه .

وكانت خطوة غير موفقة على الاطلاق فان قدوم نادر شاه الى عمان على رأس قوة فارسية للتدخل في شئون عمان الداخلية أثبت أنه كان شراً مستطيراً . لكن الرجل العصامي الذي أوجدته تلك الظروف العسيرة لانقاذ عمان من حضيض كارثة كبرى كان هو أحمد بن سعيد الذي سيكون إن شاء الله تعالى موضع دراسة في مقالنا المقبل .

أحمد العدناني

هامش .

(١) التيارات السياسية في الخليج العربي ص ٤٨ طبعة مصر

الملح في حياتنا

مادّة لها تاريخ في حياة الإنسان

كثرتُها في الطعام خطر وقلّتُها أمان وسلامة

● كانوا يقولون عن الجندي الروماني الشجاع: إنه يساوي وزنه ملحاً!

● طريقة قطرية ناجحة لعلاج الحروق بالملح

بقلم: الدكتور عبدالله الباكر

يعتبر ملح الصوديوم من العناصر الهامة بالجسم . وهو العنصر الموجب الأساسي في سوائل خارج الخلية . حيث نجده في محلول متعادل تسبح فيه الخلايا لاستمرار عملها وتغذيتها . وبالتالي حياتها . إذ أن خلايانا بتعبير «دق» تسبح في بحر من الملح » . ويخضع تعادل الملح في المحلول لتأثيرات هرمونية وعضوية أهمها الكلى وغدد ما فوق الكلى والغدد العرقية .

ولقد عرف الملح منذ فجر التاريخ ، وبدأ تذوقه يضيف نكهة على الأكل إذ أن الأكل الطبيعي لم يكن مذاقه مالحاً ، وكانت للملح قيم مختلفة عبر التاريخ فكانت له قيمة « مادية » لدرجة أنه كان يطلق على العبيد الجيدين وعلى الجنود في العصر الروماني والذين كانت رواتبهم تدفع بكميات من الملح « أنه يساوي وزنه ملحاً » . والأغرب من ذلك أن كلمة راتب Salary جاءت من اسم الملح Salarium . وكان الملح أيضاً يستعمل في بعض الأحيان كقيمة بديلة لمواد أخرى ، ويقال إن اثيوبيا كانت تستعمل الملح على هيئة قطع نقدية مستديرة منه حتى بداية هذا القرن ، واستعمل الملح في الطب أيضاً بمختلف الأشكال : فكان يستعمل في غسيل العيون والقروح والدمامل والحروق ولتنظيف مختلف الجروح ، وكسائل معبأ بتركيز متعادل أو بدون العناصر الأخرى كبديل لفقدان السوائل والدم من الجسم بادخاله عن طريق الأوردة أو الفم في حالات الاسهال عند الأطفال . واستعملناه حديثاً في قطر في علاج الحروق بتركيز معين « ٤,٥ جرامات » لكل لتر من الماء في الطريقة القطرية لعلاج الحروق والتي عالجنا بها ٢٠٠٠ مصاب حتى الآن .

وكان يستعمل في كثير من الاعتقادات والمناسبات مثل رش الأطفال في العصر البابلي لمنع الشياطين عنهم ، أو عند الكاثوليك عند التعميد حيث يوضع في الفم كرمز للصفاء والنقاء ، كما كان يعلق على أبواب البيوت والمحلات ليكون مانعاً للحسد وحارقاً لعين الحسود .

وبالرغم من هذا التاريخ عن الملح الا أنه من المواد التي أضيفت حديثاً الى طعامنا ، اذ أننا نشأنا في سابق الزمان على أكل فيه قليل من ملح الصوديوم وكثير من ملح البوتاسيوم ، لأن الانسان كان يعيش على الفواكه والخضروات ، أي أنه كان نباتياً بالطبيعة — لذلك السبب فان الآلة الفسيولوجية في

رغيف دجاج ٢٫٢٢٤		فطيرة دجاج ٩٠٧		دجاج ٢/١ صدر ٦٩	
صلصة ٤ معلقة ١٫٩٣٨		زيت خضروة معلقة ١٫٠٢٩		بيسون ١	
صلصة طماطم لسخان ١٫٤٩٨		شوربة الطماطم فنجان ٩٣٢		بصل ١١	
كعكة ١٫٣٠٤		هامبرجر ٩٩		شريحة لحم ٣ اونصات ٥٥	
خيار مخلل ٩٢٨		صلصة خيار بالليمون ٢٣٤		خيار ٧ شرائح ٢	
فطيرة السمك ٧١٥		سمك مدخن ٣ اونصات ٣٨٤		سمك القود ٣ اونصات ٥٠	
فوار لحموضة ٥٦٤		ماء الصودا ٨ اونصات ٣٩		ماء ٨ اونصات	
بطاطا مقلية لسخان ٤٨٥		بطاطا مقلية عشر شرائح ٢٠٠		بطاطا ٥	
حبيبات حليب ربع اونصات ٤٥٧		حليب مجفف ٢/١ فنجان ٢٢٢		حليب لسخان ١٢٣	
ذرة معلبة فنجان ٣٨٤		كورن فلاكس فنجان ١٥٦		ذرة ١	
كعك ٢٩٣		كعك شريحة ١٧١		خبز محمص قطعة و نصف ١١٤	
فطيرة التفاح ٢٠٨		فطير مدهم فنجان ٦		شمندر ٢	
مارجرين سبانخ ١٤٠		رشوة مدهم معلقة صغيرة ١١٦		سبانخ فنجان	
فطير عسل اربع رقائق ١٩		حليب مكثف معلقة صغيرة ٢		عسل خوخ ١	

جدول (١) يوضح كميات ملح زائد في كثير من الاطعمة نحبها ونحفوفها مشار إليه بالرقم جرام

مأكولات طبيعية يوجد بها الكمية الضرورية للجسم من الملح ، وذلك تحت شرط عدم إضافة الملح على هذه المأكولات ويستثنى من ذلك بالطبع طبق شوربة الطماطم والذى نقول لك بمصدر منسه

الجسم مركبة على أساس احتفاظ على الصوديوم وفقدان البوتاسيوم حتى لا يبقى البوتاسيوم بكمية زائدة في الجسم فتضر الانسان .

والأطفال حديثو الولادة يحسون بطعم الملح اللاذع ، وبتقدم العمر يبدأ تذوق الملح والشهوة له تزداد ، حتى في سنين المراهقة ، فقد وجد أن البعض يلعق الملح ويشتاق بشدة إليه ، ويذهب الدكتور / ليدت بيج الى القول مستنتجاً ، الى أنه من الواضح أن الشهية للملح تعتمد على التغذية الأولية المتعود عليها ، وليست لها علاقة بحاجتنا الى الملح .

ما عن أهمية الصوديوم في الجسم فتتلخص في التالي

(١) ان عنصر الصوديوم من اهم العناصر لاستمرار العمليات الحيوية في الجسم ، إذ أن التناضحية Ormolarity في سوائل خارج الخلية والبلازما بالذات تعتمد أساسا على وجود كمية معينة منه يمكن قياسها ، حيث أن الزيادة والنقصان في هذه الكمية تؤدى إلى تفاعلات فسيولوجية سريعة تشمل غالبية الأجهزة في الجسم لاحداث التعادل المطلوب ، الأمر الذى إن لم يتم سيؤدى إلى حالات مرضية بسبب هذا الاضطراب قد تؤدى الى الوفاة إن لم يتم التدخل الطبي فيه

(٢) أما على مستوى الخلية فإن حركة الملح في مختلف الاتجاهات خروجا أو دخولا هامة جدا ، حيث أن خلايا الجسم يوجد بها مضخة تسمى مضخة الصوديوم ، للتحكم في حركة الصوديوم والبوتاسيوم معا ، وأهمية هذه المضخة أنها :

• تحافظ على حيوية الخلية واستمرار مفعولها إذ أن فشل هذه المضخة التي تعتمد عى الطاقة يؤدى إلى موت الخلية .

• لها دور كبير في امتصاص الأملاح والمواد المرافقة لها سواء في الأمعاء أو في الكلية مثل الجلوكوز والأحماض الأمينية .

• لها دور كبير في الافرازات بمختلف أشكالها في مختلف أجزاء الجسم .

مقادير الملح الصحية

إن الكمية الضرورية للجسم من مع الصوديوم تعادل ٢٥٠ ــ ٣٠٠ ملليجرام يومياً ، وحتى إذا تجاوزنا ذلك في بعض الأماكن التي يعمل فيه الانسان ويفقد كميات ضخمة بالعرق فإنه يجب أن لا يزيد عن ١٫٥ ــ ٣٫٥ جرامات يومياً وهذه الكمية موجودة في جميع المأكولات الطبيعية بدون إضافة الملح على الأكل ، فهل نحن متمسكون بذلك ؟ طبعاً لا . فلقد وجد أن الأمريكي العادى يأكل ما يعادل ١٠ جرامات ــ ٢٠ جراماً من الملح يومياً بسبب إضافة الملح على المأكولات المصنعة والمعلبة والمجففة لحفظ والتخزين

وبنظرة بسيطة على كميه الصوديوم الموزعة في جسم الانسان ستتضح عدة حقائق

يحتوى جسم الانسان على ٩٠ جراما من الصوديوم موزعة على الشكل التالى .

١) السوائل خارج الخلية (٤٠ جراما منها ٤٤ فى المائة قابلة للتبادل

٢) سوائل داخل الخلية (٨ جرامات) منها ٩ فى المائة قابلة للتبادل

٣) العظام (٤٢ جراما) جميعها قابلة للتبادل

التغيرات في نسب الملح

أ ــ نقص الملح فى الجسم

ينتج عن إحدى طريقتين :

(١) إما عن طريق نقص الكمية المتناولة عن طريق الفم كما هو الحال في علاج حالات هبوط القلب ، أو بعد العمليات الجراحية عندما يعطى الماء وحده لعدة أيام ، أو عدم التعويض بعد العرق الغزير أثناء التأقلم والذى قد يصل النقص اليومي فيه الى ٣٥ جراما .

(٢) وإما عن طريق زيادة في اخراج الصوديوم . ويكون ذلك عن طريق .

• الدم كما في حالات النزيف أو الحروق أو العرق في بعض الحالات .

• الجهاز الهضمى كما في حالات القيء أو الاسهال .

• عن طريق الكلية كما في حالات التهاب حوض الكلى المزمن وفشل الكلى المزمن

ب) زيادة الملح في الجسم :

ينتج عن إحدى طريقتين

(١) زيادة فى الكمية المتناولة عن طريق الفم أو عن طريق الوريد ، خاصة بعد العمليات الجراحية

(٢) نقص في الكمية المخرجة من الصوديوم كما يحدث في بعض أمراض الكلى ، هبوط القلب ، أمراض الكبد أو خلل بعض الهرمونات .

من أين تأتى كمية الأمـــلاح الزائدة ؟

يوجد الملح الزائد فى كثير من الأطعمة المعلبة والمحفوظة ، واذا قلنا إن الأنشوجة والسالمون المدخن وأنواع المكسرات بها الكثير من الملح ، فهذا ليس بغريب ، ولكن الغريب إذا قلنا إن الحبوب والخبز والبسكويت والبتكيك (الكيك) وعصير الطماطم وجميع أنواع الشوربة تحتوى على كمية كبيرة من الملح أيضا (أمثلة جدول ١)

حتى مياه الشرب فى بعض المناطق قد تحتوى على كميات زائدة من الصوديوم . وتصل فى بعض مناطق الجنوب فى أمريكا الى ٤٠٠ مجم فى كأس من الماء فى بعض الأحيان .

أما بالنسبة لدولة قطر فان نسبة الصوديوم من مياه الشرب حسب تحاليل مختبرات وزارة الصحة العامة فانها على الشكل التالى

١ ــ المياه الحكومية : تختلف النسبة فيها من منطقة إلى منطقة حيث انها تتراوح بين ٤٥ ــ ٧٠ مجم فى كل لتر ، وهذه النسبة مقبولة صحياً حسب المواصفات الدولية

٢ ــ المياه المعبأة المتداولة فى الأسواق . انظر الجدول (٢) .

إن أكبر كمية من الأملاح توجد فى المأكولات المصنعة . وهذا مصدر القلق . والتى تعتبر فى بعض البلدان ٥٥ ــ ٦٠ فى المائة من مصادر الأكل

إن استعمالات الملح كثيرة ، فهو يستعمل بكميات ... في الأكل المصنع وفى الأطعمة المحفوظة . ويستعمل للتحكم في الخميرة وتقوية المواد الجلوتينية بها

ويدخل الملح فى اللحم المصنع كمادة حافظة وتعمل لتجمين البروتين . ويدخل ــ أيضاً ــ فى الحبوب والجبن مجففة ، ... الدسم ،

سابق مشروب إلى مبرد حيث يوجد حمض حافظة ، وفى الجبن كمادة للتحكم فى النضوج ولمنع تكاثر البكتيريا ويسهل الطعم

وطبعاً لاشك فى وجود الملح بكميات كبيرة فى جميع المخللات

ما هى بدائل الصوديوم ؟

١ ــ كلوريد البوتاسيوم :

يباع هذا الملح تحت أسماء مختلفة ، وقد جرب كبديل ، لكنه يجب أن لا يؤخذ من قبل المصابين بمرض القلب أو الذين لديهم اضطرابات كلوية ، وهناك مشكلة أخرى وهى طعمه المر ، لذلك تلجأ بعض الشركات الى اضافة مواد أخرى إليه للتخفيف من طعمه ، وتلك المواد ذاتها قد تشكل خطراً على الانسان .

٢ ــ ملح مورتن لايت :

وهو خليط من الصوديوم والبوتاسيوم للحد من مرارة الطعم والتقليل من الصوديوم فى نفس الوقت . ولابد من تحذير مرضى القلب والضغط المرتفع جداً والكلية من هذا المزيج

٣ ــ ملح البحر .

يباع ملح البحر فى عبوات فى بعض البلدان ، وبدراسته كبديل على الحيوانات وجد أنه يرفع الضغط أكثر ، ورغم أنه يحتوى على بعض المعادن الجيدة ، الا أن تسبتها تتراوح من مكان الى مكان وتعتمد على المواسم ، وبه مادتان ، هما النيكل والقصدير ، فقد ترتفع نسبتهم فتشكلان خطراً على الجسم وهذا الملح الى جانب أنه غالى الثمن بالنسبة للملح العادى ، لا ينصح بأن يكون بديلا .

٤ ــ مادة جديدة

أعلن حديثاً أن العلماء اليابانيين فى جامعة هيروشيما قد طوروا مادة جديدة ، لها طعم الملح ولكنها لا تحتوى على الصوديوم .

الملح والعرق

من ضمن التعادل الفسيولوجى للأملاح والتنظيم لعملية التبادل يفرز فى العرق كمية قليلة من الملح ، وتقل نسبة ملوحة العرق كلما غزر وقرب الصيف بالنسبة لناس العاديين والمتأقلمين على المناخ الحار ، لذلك كان الاعتقاد الخاطئ ، وهو الذى أدى الى الافراط فى الملح فى بعض البلاد الحارة ، بأن « الذى يعرق كثيراً يجب أن يأكل ملح أكثر » ، حتى أن بعض الناس يلجأون الى حبوب الملح وخاصة بالنسبة للرياضيين

الملح واليود

يعتبر اليود من المواد الهامة التى تدخل فى تكوين هرمون التيروكسين الذى تفرزه الغدة الدرقية . ويؤدى هو نقصه الى تضخم هذه الغدة ، ويحتاج الانسان منه الى (٥٠ ــ ٣٠٠) ميكروجرام يومياً

ويوجد هذا المرض بشكل واسع فى المناطق الجبلية والبلاد لواقعة بعيداً عن البحار وأهم مصدر له هو المأكولات البحرية ، فلذلك أصبح أمر اضافة اليود الى الملح فى البلدان التى لا تأكل من البحر أمراً ضرورياً فهو بنسبة ٧٦ ميكروجراماً فى كل جرام من الملح ، لذلك ننصح فى الأكل أن تكون هناك مأكولات بحرية عند الاقلاع عن الملح أو اضافة كميات صغيرة على الطاولة أثناء تناول الطعام من الملح الذى يوجد به يود ، وخاصة بالنسبة للذين فى طور النمو وعند البلوغ وأثناء فترة الحمل

ما الذى يجرى فى البلدان المتقدمة ؟

اتجهت الأوساط الصحية الى توجيه الناس فى أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات من خلال جميع القنوات وأجهزة الاعلام والتجمعات للاقلال من الملح أو الابتعاد عنه كلية . فهناك

● مدارس حديثة تعلم لناس "الطعام بدون ملح"

● كمبيوتر جديد للجيب يحذرك من خطر الملح

اصرار من الجهات العلمية المتعصبة بقناعتها بوضع علامة تبين نسب الملح وأنواعه وكمياته على كل عبة بشكل واضح حتى يعلم الناس مقدار الملح الذى يستهلكونه وبالذات المصابين أو المعرضين بالاصابة بالضغط المرتفع . وتفيد التقارير الواردة من أمريك .

١ ــ أن بيع المأكولات الذى كتب عليها « قليلة الملح » أو بدون ملح » بدأ يرتفع فى السنوات الأخيرة ، وبدأت المحلات الصحية تبيع منه بكثرة وأن بيع الملح فى السوق قد انخفض .

٢ ــ ظهرت مطاعم عديدة تعلن عن وجبات بغير الملح أو بقليل منه فأصبح يرتادها الكثير من الناس بناء على قناعتهم بخطورة الملح الزائد ، ودلالة ــ بالتالى ــ على الاهتمام بصحتهم

٣ ــ إن الأمور بالنسبة للملح قد ذهبت الى مرحلة أخرى فى أمريك بالذات ، حيث صدرت كتب الطبخ ونشرات الأكل بغير ملح ، ونظم البعض حلقات دراسية يدخلها الناس للتعلم بطريقة جماعية على أسلوب الاقلاع عن الملح والأكثر من ذلك وفى النهاية تم تسويق آلة تسمى « حارس أو مراقب الملح » ، وهى عبارة عن كمبيوتر صغير للجيب ، تستطيع أن تعد له بمعلومات عن رغبتك فى الأكل فتعطيك الجرعة منه وتحسب لك فى جميع الأطعمة بنسبة ملح موجود بها حتى آخر ملليجرام ، وإذا زاد ملح فى أكلك عن المعدل فإنها تعطيك صفارة انذار

٤ ــ نشر توجيهات عن طريق الاقلاع عن الملح :

• الرجوع الى الأكل الطبيعى والنباتى منه بالذات .

• الطبخ بدون اضافة ملح فى الطعام والاكتفاء بما يوجد من أملاح فى المواد الغذائية الطازجة

• الابتعاد كلية عن جميع المعلبات حيث أنها المصدر الرئيسى للاملاح ، ناهيك عن بقية المواد الكيميائية المستعملة فى حفظها والتى لها دور فى مرض السرطان

• إذا دعت الحاجة الى استعمال المعلبات فانظر الى المعلبات التى يكتب عليها كميات الملح وقدر حاجتك اليومية على أساسها وينصح أن لا تستعمل المعلبات التى يأتى اسم الملح الثالث على قائمة محتوياتها ، وفى نفس الوقت عليك بتصفيتها من الماء الذى بها ، واغسل الخضراوات بماء جديد لتقليل الملح

• الرجوع الى بعض الكتب والمقالات الجيدة التى تنشر بانتظام عن الأكل من غير أملاح .

• عند الأكل لا تضع مدحاً اضافياً من على لطاولة

• اذا كنت خارج البلاد فهناك مطاعم يمكن السؤال عنها تقدم وجبات بقليل من الملح أو بدون ملح

• ابتعد كلية عن الأكل السريع والجاهز كالهمبرجر وغيره ، فهو يحتوى على مواد أخرى قد تكون مضرة غير الملح

• اذا كنت مضطراً لادمانك على تذوق الملح فالجأ الى بدائل الملح مثل كلوريد البوتاسيوم أو المخلوط منه البوتاسيوم مع الصوديوم .

• حاول استقلين من مشتقات الألبان أو الابتعاد عنه وخاصة بجبن والزبدة . بهذا أيف أنت تقلل الدهون فى طعامك .

• تأكد من أن الماء الذى تشربه لا يحتوى على كميات كبيرة من ملح الصوديوم وينصح أن لا تزيد عن ١٠٠ ــ ٢٠٠ جزء من المليون (ينصح لمرضى القلب والكلى أن يكون أقل من ذلك بكثير)

• بامكانك فى بعض الحالات الآن أن تطلب طعاماً قليل الملح أو من غير ملح .

• اذا كنت من أصحاب الضغط المرتفع فلاحظ أن تنتبه أن يكون طعامك ويوماً أيضاً تحت اشراف الطبيب .

• أخيراً هذه بعض الخطوات للاقلاع عن الملح

(١) ابدأ بعد الرشة الملح أثناء الأكل

(٢) ــ بالتدريج بإنقاص كمية الملح عنها حتى لا تحس ويتحسن الذوق المقادير المطلوبة الى تتعلق ثم سنة عن هذا السؤال ثم لتصل الى مرحلة لا شيء .

(٣) استعمل الاعشاب والتوابل والليمون الأسود وغيره لاضافة النكهة على الأكل حتى تعتاد عن تذوق الملح

جدول رقم (٢)

مستوى الصوديوم فى بعض أنواع من المياه المعبأة المتداولة فى سوقه

النوع وبلد الانتاج	مستوى الصوديوم ملجم لتر
أبولوبرس ــ ألمانيا	٤٤٠
كيرالا ــ ايطاليا	١
دوحة ــ قطر	١٦
ايفيان ــ فرنسا	٧
جلف ــ الامارات العربية المتحدة	٧٢
جمسيكا ــ يوغوسلافيا	٨٧٥
مسفى ــ الامارات عربية متحدة	١٣
بيريير ــ فرنسا	١٥
راملوس ــ لسويد	٢٠٣
ريسان ــ قطر	٤٣
صحة ــ لبنان	٣

تعميد عن تذوق الملح

الملح والأطفال

هناك تركيز فى السنوات الأخيرة على ارتفاع الضغط عند الأطفال لدرجة أن معهد القلب والرئة والدم الوطنى فى أمريكا أوصى سنة ١٩٧٧ أن جميع الأطفال فوق سن الثلاث سنوات يجب أن يقاس ضغطهم سنوياً على أساس احتمال الاكتشاف المبكر لحالات ارتفاع الضغط الثانوى ، وأولئك الذين من المحتمل أن يصابوا بارتفاع الضغط الأساسي فى سن النضوج . إن هذا الاهتمام تؤيده غالبية الدراسات ولكن بطرق أخرى وبالذات فى الأطفال المصابين بالسمنة أو فى حالات تاريخ بالاصابة العائلية بارتفاع الضغط . إن هذا الاهتمام سببه أن هذا الأكل المصنع بالمعامل للرضع والأطفال يحتوى على كميات من الملح أكثر من المسموح به لنفس السن ، لذلك تقرر منع استعمال الملح فى كثير من هذه الأغذية بالذات وخاصة أغذية الأطفال الرضع

وقد أوصت لجنة التغذية التابعة للأكاديمية الأمريكية للأطفال بالتالى :

(١) ضرورة تخفيض وعدم زيادة كميات الملح الحالية فى غذاء الأطفال .

(٢) ضرورة كتابة المعلومات كاملة عن الملح على غذاء الأطفال

(٣) الذين هم من عائلات مصابة بارتفاع الضغط يمكنهم الاستفادة من غذاء قليل الملح بالرغم من أن الاثباتات حتى الآن ليست مؤكدة .

إن المشكلة هى عندما ينتقل الأطفال للأكل من نفس طعام العائلة حيث يتناولون كمية من الملح مجبرين ، وهذا يشكل خطراً كبيراً عليهم لأن الأطعمة المنزلية تجهز لكى ترضى الذوق المالح لدى الكبار ورب البيت فى الدرجة الأولى

ما هى علاقة ملح الصوديوم بضغط الدم ؟

صار من المعروف منذ بداية هذا القرن بعد الدراسة التى نشرها L. Ambard & E. Benjard أن تقييد استعمال الملح سيؤدى الى تخفيض ضغط الدم ، وتبع ذلك التطبيق العملى والاكلينيكي لهذا الاكتشاف حتى أصبح واسع الانتشار بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان أوائل الذين نشروا دراسة جيدة عن استعمال الأرز كغذاء وليس به ملح هو Kempenw واشتهرت بعد ذلك وجبة الأرز والفواكه كعلاج لضغط ، وظن

الحال على هذه الفكرة والغالبية العلمية بقناعتها أن هناك علاقة واضحة بين الملح وارتفاع الضغط . ووضعت على أساس هذا المفهوم نصائح وضع للمرضى للسير عليها سواء في المستشفيات أو في العيادات الخاصة بالضغط أو حتى للمتعالجين في البيوت ، ولكن الدراسات التي صدرت بعد منتصف السبعينات خرجت عن هذا الأساس وقللت من أهمية هذه العلاقة ، بالرغم من عدم نكران وجودها ، وكانت أول دراسة أثارت هذه الضجة من استراليا على أثر مقال نشرته في المجلة الطبية الاسترالية عام ١٩٧٥ الدكتورة بريسلا كنيد Priscilla Kinaid وتبعها آخرون

وظل موضوع الملح والضغط حتى وقتنا الحاضر موضوعاً ساخناً للنقاش بين مؤيد لدوره الكبير في الضغط وبين مقلل لعلاقته بالضغط التي ان وجدت فهي ضئيلة جداً .

ماذا يقول المؤيدون ؟

(١) الدراسات الوبائية بالدراسات الوبائية المقارنة للشعوب المختلفة وجد أن الضغط المرتفع الأساسي يكثر في البلدان التي تتناول الملح وبالذات في المجتمعات الغربية والحديثة . واليابانيون مثل لذلك حيث يكثر استهلاكهم للطعام النيء المجفف والملح والمخللات بأنواعها والخضراوات المجففة والمملحة واستعمال الصويا ، وحتى أوائل الثمانينات كان الشلل المفاجيء ونزيف المخ كمضاعفات للضغط العالي يتصدران قائمة الوفيات .

أما الشعوب البدائية والتي تستعمل الملح القليل كالأسكيمو ورجال القبائل في أفريقيا وسكان حوض الأمازون ومرتفعات ماليزيا فانها لا تعاني من هذا المرض وفي بعض الأماكن لم يسمع عنه . ولكن هذه الأجناس عندما تنتقل الى المجتمعات المتحضرة وتأكل من أكلها يرتفع ضغطها

(٢) الدراسات المختبرية : تبين في كثير من الدراسات على أنواع معينة من الحيوانات والفئران بالذات أن اطعامها الملح يؤدي الى رفع ضغطها وأن التقليل منه يؤدي الى انخفاضه .

(٣) الدراسات الاكلينيكية . هناك الكثير من الدراسات الاكلينيكية التي بينت أن تقييد الملح بدرجة كبيرة (٦٠٠ ملجم فما تحت) يقلل الضغط في المرضى بالضغط الأساسي وان كان بمختلف الدرجات ويساعد على التخفيض اذا استعمل

جميع المطبخ تحتوي على مواد حافظة يدخل في أساسها فيها ملح الصوديوم

بدرجة معينة مع بقية أنواع العلاجات إسواء كانت تعويضية أو علاجية بالأدوية أو العناصر التي تأتي في قائمة أسباب ارتفاع الضغط الأساسي .

(٤) الدراسات الفسيولوجيه : هذه الدراسات ، والتي قامت بها مجموعة من أساتذة هذا العلم وعلى رأسهم جايتون Guyton .. A C ومجموعته ، تربط ملح الصوديوم بالضغط من خلال عملية معقدة تعتمد ببساطة على ، أن الزيادة في الملح ستؤدي الى زيادة تجمع السوائل في سائل خارج الخلية ، الأمر الذي سيكون عبئاً على القلب والأوعية الدموية » .

أخيراً يقول الدكتور فرايز في مقاله الشهير : « بالرغم من أن ميكانيكية ارتفاع الضغط الأساسي لا تزال غير واضحة ، الا أن الظواهر وان لم تكن حاسمة فهي ظواهر جيدة للدلالة على أن تقييد الملح تحت (٢) جرام في اليوم سيؤدي الى منع حدوث هذا النوع من الضغط واختفائه كمشكلة صحية رئيسية » .

ماذا يقول المعارضون ؟

١) إن اسباب ارتفاع الضغط عديدة والملح ليس هو كل شيء كعنصر ، فقد أصبح لبقية العناصر والأسباب أيضاً دور مثل نقص الكالسيوم والمغنسيوم والبوتاسيوم ومثل السمنة واستعمال الكحول والكافيين والتدخين وقلة الحركة والقلق وغيره

٢) ان جميع الدراسات الوبائية ليست دراسات مستقبلية مراقبة ، والضغط فيها يخضع لاعتبارات اجتماعية ومعيشية واقتصادية وغذائية ونفسية وليس للملح فقط .

٣) ليس صحيحاً أن الحمية الشديدة للصوديوم (٦٠٠ ملجم في اليوم) تقلل من الضغط في المرض بالضغط العالي الا أن هذه الكمية ليست مقبولة للمرضى لتكون علاجاً لهم طول الحياة ، اضافة الى ذلك لا أحد يعرف حتى الآن ما هو تأثير هذه الحمية ، أو الذي أقل منها إن أمكن ، على أعضاء الجسم وبالذات الكلية على المدى البعيد .

٤) ان هناك أنواعاً كثيرة من الأدوية لتخفيض الضغط ثبت فعاليتها ومعروف حتى أعراضها الجانبية وأدى استعمالها في دراسات كبيرة في استراليا وأمريكا وعلى مدى طويل الى التحكم في الضغط والتقليل من مضاعفاته ، فلماذا يحرم المريض من ذلك الحق تحت شعار تقليل الملح ؟

٥) ان الدراسات الحيوانية والاستناد عليها كأمثلة للعلاج ليست كافية لاتخاذ قرار على أساسها يهم مصلحة البشر

٦) الى جانب أن دراسات قد نشرت لم تبين

● الذين يستعملون الملح بكثرة معرّضون للشلل ونزيف المخ
● تحذير طبي من المعلبات والمجمّدات والأطعمة الجاهزة

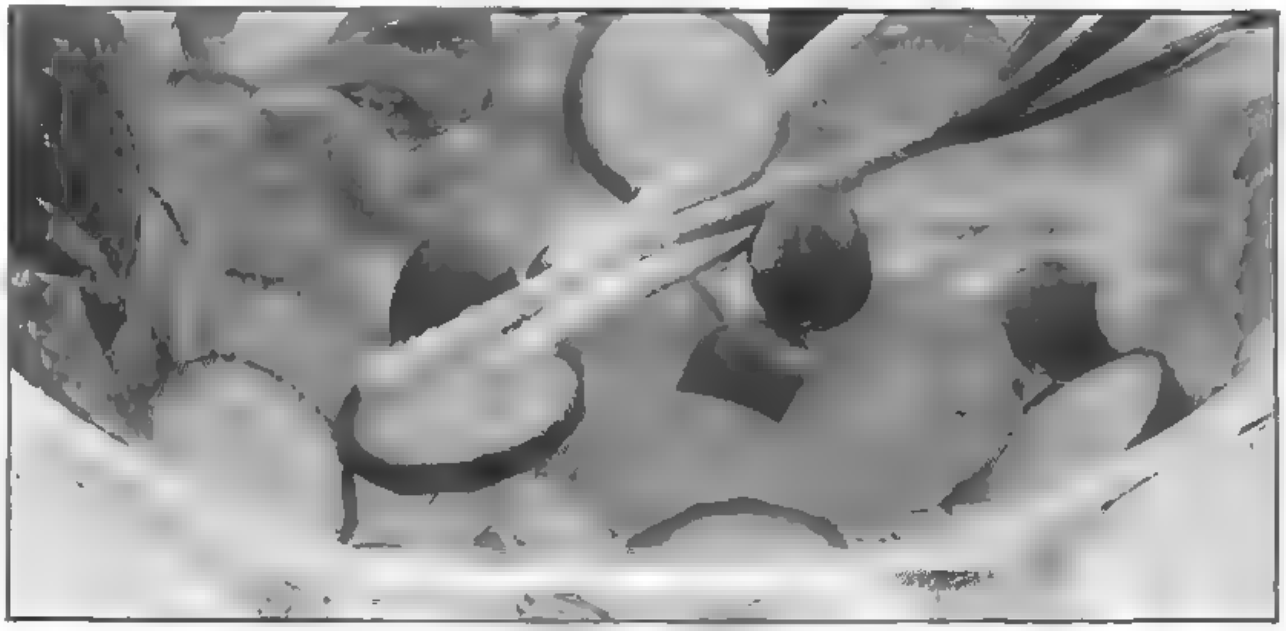

بدأت الأوساط الصحية الأمريكية في السنوات الأخيرة بنصح المواطنين بالرجوع إلى الأكل الطبيعي والنباتي منه بالذات

أي علاقة بين تقييد الملح وانخفاض الضغط في بعض المرضى ، فإن الدراسات الأخرى التي بينت هذه العلاقة قد أظهرت انخفاض الضغط في البعض وعدم انخفاضه في البعض الآخر وفي نفس الدراسات ، الأمر الذي يدعو الى التفكير بأن هناك من لديهم قابلية للتأثر بالملح وغيرهم لا يتأثر .

٧) لا يوجد شيء اسمه التقييد المعتدل للصوديوم يمكن أن نضعه لأحد لعلاج الضغط الأساسي ، بل يمكن أن يوجد نوع من التنظيم ، والبرنامج الغذائي المتشابك الذي تدخل فيه العناصر التي لها علاقة بالضغط ومن المعتقد أن تكون فيه فائدة لتخفيف الضغط

٨) لا يوجد دافع لهذه الضجة ولا داعي للتعميم على الناس جميعاً بأن يلتزموا بقرار أكل الطعام دون ملح حيث أنه لا توجد أي دلالة على أن الملح يؤدي الى اصابة الأصحاء بالضغط الأساسي العالي ، ولقد نشرت دراسات أعطي فيها مجموعة من ذوي الضغط العادي (٢٠ ــ ٢٥ جراما) من الملح في اليوم فلم تؤد الى ارتفاع ضغطهم

إذن ما العمل ؟

ان الاعتدال في كل شيء هو أساس السلامة والوقاية من هذه الظاهرة المرضية الخطيرة اذ أن هناك نسبة كبيرة في مختلف البلدان ومنها بلادنا يعانون من ارتفاع الضغط ومعرضون لمضاعفاته الخطيرة ، ولاشك أن الصوديوم له علاقة بالضغط ارتفع بشكل أو بآخر ، كذلك يعتقد الأطباء أن الاكثار من تناول الملح يسبب انهياراً للجسم وضعفا للقوى الجنسية ويجعل الجسم مستعداً للاصابة بالأمراض ، وهو يزيد من حموضة المعدة ، كما أنه مثير قوي للاعصاب والخلايا العصبية ومثير للأغشية الدقيقة الرقيمة .

لذلك ينصح بما يلي :

١) ان المرضى الذين يعانون من بعض الأمراض كهبوط القلب والكلى والذين يتوجب عليهم الاقلال والامتناع عن الملح حسب ارشاد الطبيب ، عليهم الالتزام بذلك .

٢) بالنسبة للأطفال والرضع يفضل أن لا يتعرضوا لمذاق الملح حتى لا يصبح عادة لديهم ، وعلى أفراد العائلة مراقبة الأغذية المقدمة لهم والتأكد من نسبة أملاحها ، هذا الأمر هام جداً بالنسبة للأطفال الذين يوجد في عائلاتهم أفراد من ذوي الضغط المرتفع الأساسي .

٣) ان المرضى المصابين بالضغط الأساسي المعتدل (الضغط الانبساطي من ٩٥ ــ ١٠٥) عليهم التعاون مع الطبيب في الالتزام بدقة بالتقييد في الملح ، فإن نتائجه جيدة في البداية وبالذات اذا كان مرافقاً لعلاجات أخرى وأهمها الأدوية والاسترخاء وتخسيس الوزن

٤) في المرضى المصابين بالضغط الأساسي العالي وهم حتماً تحت اشراف الطبيب ويتعالجون بالأدوية فإن التقليل والاعتدال في الملح له دور في مساعدة تخفيف الضغط

٥) لا توجد ضرورة لحرمان الناس العاديين من الملح ومذاقه ، والاسراف في هذا الحرمان خطأ بالنسبة للأصحاء ، ولكننا ننصح بأن يكون الاستعمال معتدلا ، ونبدي قلقنا فقط عندما يستعمل الملح بكميات كبيرة كما هو متبع حالياً حيث هناك الملح الموجود في المواد الغذائية والملح المضاف عليها للاغراض المختلفة التي ذكرناها والملح المضاف لارضاء الذوق أثناء الطبخ والملح المضاف من الملاحة التي على الطاولة والملح الموجود في الماء . ، هذا هو الاسراف الذي يخيفنا » .

ونعود لنكرر النصح للناس الذين في تاريخهم العائلي من هو مصاب بارتفاع الضغط أن ينتبهوا الى تقليل الملح في طعامهم .

وختاماً نحذركم من المعلبات والمجمدات والأطعمة الجاهزة السريعة .

عبد الله الباكر

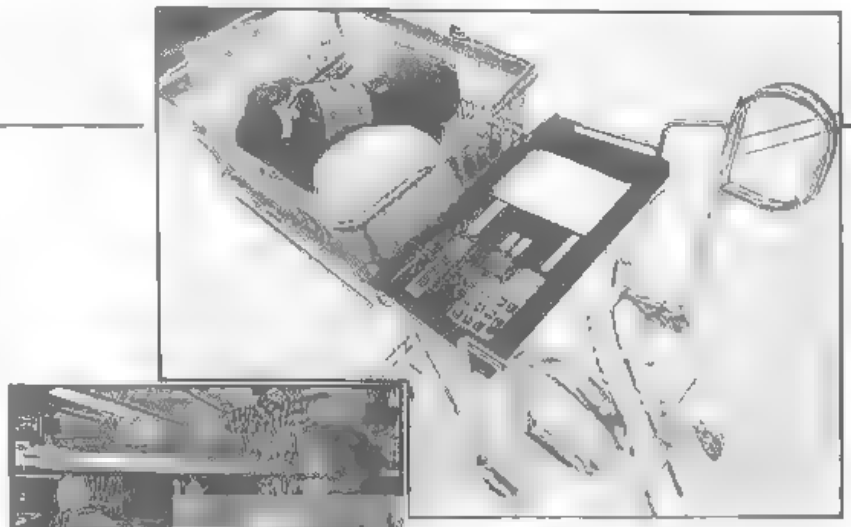

عربة المزودة بآلة حاسبة والعربة التي تتبع المشتري

أول مجمع استهلاكي إلكتروني

أقام ليبانيون في إحدى ضواحي طوكيو أول مجمع تجاري من نوعه ، فكل الأعمال تتم فيه اتوماتيكياً ابتداء من تفريغ البضائع إلى رصد مروراً بعمليات البيع نفسها .

فيتولى عملية تفريغ البضائع من الشاحنات فريق من الربوت يتميز كل واحد منهم بقدرة على القراءة بحيث يستطيع التعرف على المكتوب فوق كل صندوق ويقوم بتوزيعه طبقاً محتوياته على دوار مبنى التخزين الستة ، حيث تتم عمليات التخزين اتوماتيكيا أيضاً

ويستغرق تفريغ الشاحنة سبع دقائق ، ولا تحتاج إلا لربوت واحد في حين أن نفس الشاحنة تحتاج لأربعة عمال لتفريغها ، وتستغرق العملية في هذه الحالة ساعة كاملة .

ومن أغرب الأشياء في هذا المجمع أن الأرفف المعروضة عليها البضائع تتكلم الى العملاء ؛ فبمجرد أن يأخذ العميل شيئاً من عليها يقوم جهاز رصد بعض بالأشعة تحت الحمراء وملبت أعلى لبضاعة بتشغيل تسجيل صوتي يبين له مزايا المنتج ومكوناته وطريقة استخدامه .

أما العربة التي تضع فيها ربه بيت مشترياتها فمزودة بآلة حاسبة ، كما تبين الصورة ، بحيث تستطيع في كل لحظة حساب إجمالي المبلغ الذي أنفقته كما أن هناك نوعاً آخر من العربات تتبع المشتري أينما ذهب وهي تتخذ شكل ربوت مزود بسلة كبيرة لوضع البضائع . ويقدم « أوكي » ، وهذا اسمه ، نفسه الى العميل وابتسامة في صوت لطيف ويعرض خدماته ويتبعه على بعد متر منه .

وهو مزود بأجهزة رصد تجعله يتفادى أي اصطدامات أثناء سيره ، واذا ما حدث ذلك فهو يقدم اعتذاره بنفس الصوت العذب والطريقة المهذبة .وفي قسم الجزارة يتولى ربوت آخر تقطيع اللحوم إلى شرائح ووزنها وتغليفها ، فعندما يضرب المشتري على لوحة مفاتيح خاصة بقسم الجزارة ، نوع اللحم وانورن المطلوب وسمك الشرائح ، يقوم الجزار الآلي بتنفيذ الطلبية ، ولكن قبل أن يشرع في تقطيع اللحم يحسب ثمن الطلبية الذي يظهر على شاشة خاصة أمام العميل . فاذا كان الثمن لا يناسبه فما عليه سوى الضغط على زر خاص بالغاء الطلبية !

وبعد إغلاق المجمع يبلأ تشهد ممراته الخالية حركة لا تهدأ ، فتقوم عربات كهربائية بتموين مختلف الأجنحة بالبضائع لتعويض ما تم بيعه خلال اليوم .

وتتحرك هذه العربات اتوماتيكياً يقودها كابن كهربي مدفون تحت أرضية المجمع وتضع العربات أمام كل جناح حاوية صغيرة تحتوي على البضائع الخاصة به . وبعد عشاء الليل تخلد العربات أثناء النهار الى الراحة ، حيث تقوم بتجديد نشاطها ، وذلك بشحن بطارياتها ذاتيا

الروبوت الجرّاح

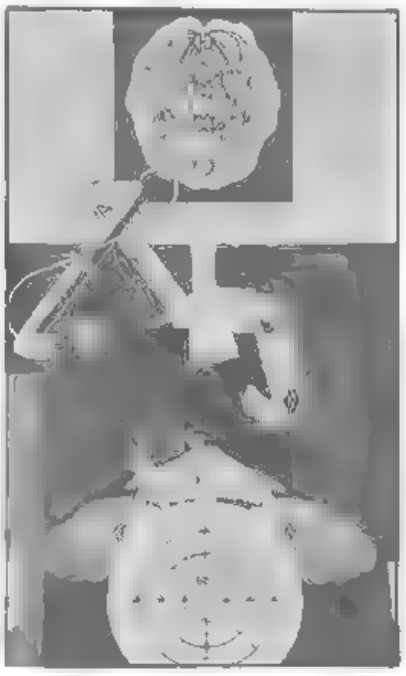

ساهم لروبوت لأول مرة في إجراء عملية جراحية . فلقد استطاع تقديم يد تساعده في جراحة دقيقة في ... لاستئصال بعض الأورام .ويتخذ هذا الروبوت الجراح شكل ذراع آلي صغير مبرمج ومزود بجهاز رصد يدل الجراح إلى موضع الورم عند ادخاله في جمجمة المريض من خلال فتحة صغيرة ، بحيث تظهر احداثيات الورم بدقة تصل إلى واحد على ألف من المليمتر على اطار يثبت حول رأس المريض . وبذلك يقوم الروبوت بجزء دقيق من الجراحة بدلاً من الطبيب

ولقد أجرى الروبوت أول عملية له على رجل في الثانية والخمسين ونجحت الجراحة .

ولكن مبتكر هذا الجراح الآلي يؤكد أنه لا يحل أبداً محل الطبيب وإن كان يمثل تقدماً كبيراً في تحديد واستئصال الأورام بدقة ليس لها مثيل .

ومن المتوقع أن يلقى هذا الروبوت الجراح اقبالاً كبيراً بين الأوساط الطبية ، خاصة في مجال جراحة المخ ، وذلك عندما يبدأ طرحه في الأسواق قبل نهاية العام الحالي

الجراحة بالتجميد

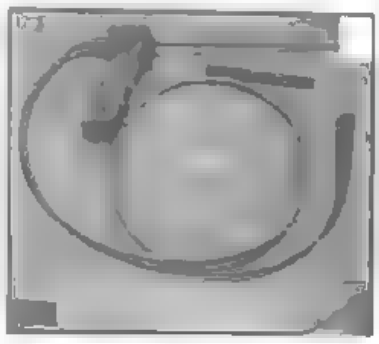

سوف يبدأ قريبا استخدام أداة جراحية جديدة تقوم بتجميد الأورام عند درجات حرارة شديدة الانخفاض مما يؤدي إلى تدميرها

وتتكون هذه الأداة الجراحية من مسبار خفي يمس خط درجة حرارة منخفضة جداً و ... به مجس ومسبار حراري دقيق الحجم ومقعر بمقبض خارجي عبارة عن ... معدنيتين صغيرتين .

ويبدأ عمل هذا المنظار بامرار غاز أول أكسيد النيتروجين تحت ضغط ٤٥ جوي خلال انبوب رفيع مرن إلى أن يصل إلى المجس ، وهو عبارة عن رأس باردة . وعندئذ يقوم منظم ضغط الغازات بتنظيم اندفاع الغاز وتبريده إلى ـ ٨٠ درجة مئوية في أقل من عشر ثوان . ويتم التحكم في درجة الحرارة بواسطة المبادل الحراري .

وعندما تتجمد الأنسجة ، يقوم صمام كهربي بوقف سريان الغاز ، كما يوجه في الوقت نفسه غاز الهليوم نحو كتلة الجليد التي تكونت عند نقطة تلامس الرأس البارد بالأنسجة ليذيبها وليتزع الرأس . ونظراً لدقة حجم الرأس البارد بالأنسجة التي لا يتجاوز قطرها ٣ ملليمتر ومرونة الانبوب يمكن استخدام هذه الأداة في فحص الأوعية الدموية وتدمير ما قد يسد مجراها ، كما يمكنها تدمير الأورام التي قد توجد في الشعب الهوائية والامعاء الدقيقة والرئ الخ

وتتميز هذه الطريقة بأنها لا تحتاج إلى تخدير كلي ولا تسبب أي ألم أو نزيف ، كما أنها لا تحتاج الى اي مصدر كهربي ، فكل ما يلزم لاستخدامها ... من غاز ثاني أكسيد الكربون سائل عند درجة حرارة ـ ٧٩ درجة مئوية وأول أكسيد النتروجين عند ـ ٨٩ درجة مئوية أونيتروجين سائل عند ـ ١٩٦ درجة مئوية . وتستطيع هذه الغازات تجميد واحد سنتيمتر مربع من الأنسجة في ... ثن وكانت الجراحة بالتجميد قد استخدمت منذ عدة سنوات في استئصال البواسير وعلاج الدوالي الخ .. ولكن الجديد هو استخدام هذا التكنيك مع فكرة المنظار بحيث يمكن الوصول إلى كل الأجهزة الداخلية للجسم من شعب هوائية وامعاء دقيقة والجهاز البولي والتدسي فضلا عن الأوعية الدموية

هاتف يسمع ويتكلم

الهاتف المتكلم

بدأت الأجهزة المتكلمة تنتشر وتدخل حياتنا اليومية ، ففي فرنسا تجري تجربة نوع جديد من الهواتف العامة

والهاتف الجديد ليس مزوداً بقرص أو لوحة مفاتيح كما أنه لا يضم بوقاً وسماعة مثل الهاتف التلفزيدي . فهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك لأنه يفهم الأوامر الشفوية وينفذها ، كما يستطيع التحدث الينا والدخول في حوار معنا .

فعندما يدخل من يريد التحدث في الهاتف إلى هذه الكابينة يضع بدلاً من النقود بطاقة الدفع الالكترونية الخاصة به في فتحة معينة في الهاتف ، وعندئذ يبدأ الأخير في شرح طريقة استخدامه ، ويكلي لاجراء المكالمة نطق الرقم المطلوب بصوت واضح ليقوم بتكوينه من تلقاء نفسه ويظهر الرقم على شاشة صغيرة . وعند انتهاء المكالمة يقوم المتحدث بالضغط على أحد الأزرار لقفل الخط

شخصية هارون الرشيد في ألف ليلة وليلة

بقلم : عباس خضر

في حياة الناس شخصيات أضفوا عليها سمات معينة قد لا يكون لها وجود في التاريخ الحقيقي ، ينسبون إليها حكايات ونوادر تطابق تلك السمات ، مثل « جحا » و « أبي نواس » حتى صار كل منهما مشجباً يعلق عليه كل ما هو ساخر مضحك .

ومن ذلك « هارون الرشيد » الذي ألبسته « شهر زاد » راوية ألف ليلة ثياباً من الخيال تفوق الوصف ، ونسبت إليه كثيراً من ألوان الترف والطرب ، مما لم يحدث في واقع التاريخ

وأكثر ذلك يدور حول الجواري وعلاقاته بهن ، مما جعله في ذلك أسطورة عالمية عرفها كل من قرأ حكايات ألف ليلة ، سواء في أصلها العربي وفي ترجماتها إلى لغات العالم الواسع ، كما عرفها كل من سمع ممن قرأ ، وكل الناس إما قارئ أو سامع .

والعجيب أن الناس تشبه بالرشيد من يسخرون منه لانغماسه في الملذات وانحرافه عن جدة الحياة المستقيمه .. مع أن (الرشيد) شخصية عظيمة سواء في واقع التاريخ أو في خيال شهر زاد !

إن شهر زاد رسمته بألوان زاهية ، لا شك أن لها جذوراً في التاريخ ، فهو خليفة عادل ينصف المظلوم ، ويعين الضعيف ، وينقله من حال إلى حال لم يكن يحلم بها ، ويعمل لخدمة الاسلام والمسلمين ، ويجول ليلاً متنكراً في بغداد كي يتعرف أحوال الناس ، ويصحبه في هذه الجولات وزيره جعفر والسياف مسرور ، الأول مسئول عن أمن الناس وراحتهم ، ولابد في نظر الخليفة أن يعرف كل خافية ويطلع الخليفة عليها ، يقوم بعمل الشرطي ورجل المخابرات ، والثاني (مسرور) يحمي الخليفة ويحرسه مما عسى أن يتعرض له في جولاته التنكرية ، وقد يقتضي الحال أن يأمره بإطاحة رأس يستعصي اصلاح صاحبه .

الصفة الغالبة

والصفة الغالبة في هارون الرشيد الميل إلى الترف الشديد ، والجواري الحسان ، والعطف على المحبين وصنع المعروف بهم ، واتاحة الفرصة للمحب أن يجتمع بحبيبه ، والتنازل للمغرم الولهان عن الجارية الأثيرة لديه - لدى الخليفة ! كما رسمته شهر زاد

ويتمثل أكثر سمات هارون الرشيد ــ كما هو في خيال شهر زاد ــ في حكاية من حكاياتها نرى فيها ابن الوزير في البصرة الذي مات أبوه وخلف له ثروة كبيرة بددها في إسرافه في « ليالي الحظ » التي كان ينفق فيها بسخاء على أصدقاء النعمة الذين تنكروا له بعد أن عرفوا إفلاسه . وكانت له جارية جميلة يحبها وتحبه . ولم يبق من ماله غيرها ، فعرضت عليه أن يبيعها وينتفع بثمنها ، ولكن الوزير الذي كان ينافس أباه ويعاديه درس له عند سلطان البصرة ، ونرى بعض الحكايات تقول إن البصرة كان لها سلطان خاضع للخليفة في بغداد يوليه ويعزله . قال الوزير المعادي للوزير المتوفي ووارثه إن الجارية الجميلة كان قد اشتراها الوزير

شخصية هارون الرشيد في

ألف ليلة وليلة

المتوفي للسلطان ، ولكن ابنه قرر بها واعتدى عليه ، فاستبقاها له أبوه .

أصدر السلطان أمره بإعدام دم ابن الوزير ، وبحثوا عنه ، ولكنه تمكن من الهرب هو وجاريته ، وظلا هائمين على وجهيهما حتى بلغا بغداد ، وسارا بها حتى وجدا مكاناً مكنوساً مرشوشاً أمام بستان مغلق ، وفي المكان مصاطب مستطيلة نظيفة ، فقال علي نور الدين (اسم الشاب) لجاريته :

ـ إن هذا مكان مليح

فقالت الجارية

ـ يا سيدي لنقعد ساعة على هذه المصاطب كي نستريح

وكان الشتاء قد ولى عن بغداد بيرده وأقبل عليها الربيع بوردة ، ونعما بمرور النسيم فناما .

كان هذا البستان يسمى « بستان النزهة » وفيه قصر يسمى « قصر الفرجة » وهما لهارون الرشيد . كان اذا ضاق صدر الخليفة أتى إلى البستان والقصر ليتفرج من ضيقه وينشرح صدره . القصر له ثمانون شباكا وفيه ثمانون قنديلاً ، في وسطه شمعدان كبير من الذهب ، اذا دخله الخليفة أمر الجواري أن يفتحن الشبابيك ويوقدن القناديل . ويجلس وأمامه اسحاق الموصلي وحوله الجواري ، فيسمع الغناء ويشاهد الرقص . ولبستان حارس شيخ كبير اسمه ابراهيم .

غريبان رماهما القدر

خرج الشيخ ابراهيم لحاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين . فعاد وقطع جريدة خضراء ، وقصد إلى النائمين ليضربهما . ولكنه فكر وقال في نفسه

ـ يا ابراهيم ، كيف تضربهما ولم تعرف حالهما ؟ قد يكونان غريبين رماهما القدر هنا

نظر إلى وجهيهما وقال : إنهما جميلان لا ينبغي أن أضربهما .. جلس إلى جانبهما ، فاستيقظ الفتى واستوى جالساً . قال له ابراهيم .

ـ يا ولدي ، من أين أنتما ؟

ـ نحن يا سيدي غريبان .

قال ابراهيم في نفسه : ان الفتى أمر بإكرام الغريب ، ثم قال

ـ يا ولدي ، أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك ؟

ـ لمن هذا البستان يا سيدي ؟

أراد الشيخ ابراهيم أن يطمئنهما فيدخلا البستان دون أن يشعرا برهبة فقال

ـ هذا البستان ورثته عن أهلي .

قام الثلاثة ودخلوا البستان ، فوجدوا الثمار على الأشجار . والأطيار تغرد على الأغصان ، رأوا البرقوق لونه كلون الحسان ، والقراصية تذهل عقل الانسان ، والمشمش كمشمش خراسان ، والزهر كأنه اللؤلؤ والمرجان ، والورد تحكي حمرته خدود الحسان ، وكان الزمان في اعتدال ، والنسيم في اعتلال .

دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المعلقة ، وجلسوا في طرف من أطرافها ، وقدم لهما الشيخ الطعام ، فأكلا ، ثم قام علي نور الدين يتمشى في البستان بصحبة الشيخ ابراهيم ، وقال هذا :

ـ يا ولدي ، هذه الحجرة فيها كل ما هو معد لأمير المؤمنين

ـ أمير المؤمنين ؟!

ـ نعم يا ولدي ، كل هذا لأمير المؤمنين هارون الرشيد

ـ لم تقل لنا انك ورثت هذا البستان عن أهلك ؟

ـ أردت بذلك أن تطمئنا ولا تأخذكما رهبة

ونادى علي نور الدين جاريته ، وجعل يحدثها عما يرى مما يبهر النظر ويذهل العقول وأقبل الليل بظلامه ، فقال علي نور الدين

[illegible] شيخ ابراهيم [illegible] وأوقد شمعة من هذا الشمع المصفوف

ـ قد ولا توقد غير شمعة واحدة

فقد [illegible] شمعة ثم أخرى حتى أوقد ثمانين شمعة

ثم قالت أنيس الجليس

ـ وأنا ؟ ألا أوقد قنديلا من هذه القناديل ؟

ـ أوقدي قنديلا واحداً

فقامت وابتدأت من أول القناديل إلى أن أوقدت ثمانين قنديلاً

رقص المكان

سطعت الأضواء ورقص المكان .. قدر الله السميع العليم أن الخليفة في ذلك الوقت كان جالساً في غرفة يطل شباكها على نهر دجلة ، فنظر ناحية البستان والقصر فرأى ضوء القناديل والشموع ساطعاً ينعكس على صفحة مياه النهر .. فقال :

ـ علي بجعفر البرمكي ..

فما مرت لحظة إلا وجعفر واقف بين يدي الخليفة

ـ ماذا جرى في قصر الفرجة يا جعفر ؟

ـ لا شئ يا أمير المؤمنين

ـ تقدم عندي وانظر من الشباك

فنظر جعفر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة نار ونور فأراد أن يهون الأمر ويلتمس عذراً للشيخ ابراهيم . وتذكر شيئاً فقال

ـ يا أمير المؤمنين ، في الأسبوع الماضي قال لي الشيخ ابراهيم : اني أريد أن أفرح أولادي في حياتك وحياة أمير المؤمنين ، أريد أن تأخذ لي اذناً من الخليفة بأن أقيم في البستان حفلاً لختان أولادي ، فقلت له : افعل ما شئت وان شاء الله أعلم الخليفة بذلك .

ـ يا جعفر ، كان لك عندي ذنب واحد فصار الآن ذنبين ، لأنك أولا ما أعلمتني ، وثانيا ما بلغت ابراهيم مقصوده ، لأنه ما قال لك ذلك إلا تعريضاً بطلب شئ من المال يستعين به ، فلم تعطه ولم تعلمني حتى أعطيه

ـ نسيت يا أمير المؤمنين

ـ هيا بنا نذهب اليه ، فانه رجل صالح يعطف على الفقراء ويواسي المساكين

ـ يا أمير المؤمنين ان معظم الليل قد مضى ، ولابد أنهم في هذه الساعة على وشك الانفضاض .

ـ لابد من الذهاب اليهم .

خرج الخليفة وبصحبته جعفر ومسرور متنكرين في زي تجار ، وساروا إلى أن وصلوا إلى باب البستان ، ووجدوا الباب مفتوحاً ، فدخلوا ومشوا إلى آخر البستان وقال الخليفة

ـ لابد أن أتسلل اليهم لأنظر ماذا يفعلون قبل أن يرونا

فوق الشجرة

وصعد الخليفة على شجرة جوز عالية فروعها قريبة من الشبابيك ، وقعد على الفرع الذي يقابل شباكاً تأتي منه أصوات غناء . ونظر فرأى جارية تغني وأمامها شاب ، والاثنان في منتهى الحسن والجمال . كانت أنيس الجليس تغني والشيخ ابراهيم يدق على طبلة وهو في غاية الطرب . عجب الخليفة من هذا المنظر ، ثم نزل وقال

ـ يا جعفر ، اصعد وانظر الرجل الصالح وماذا يفعل ..

صعد جعفر ورأى ما رأى الخليفة ، ثم نزل ووقف صامتاً من شدة الخجل .

انصت الخليفة إلى غناء الجارية ، فأطربه صوتها ، فلان صوته وهو يخاطب جعفر :

ـ والله يا جعفر ما سمعت صوتاً مطرباً مثل هذا .. أريد أن أدخل اليهم وأجلس معهم وأسمع الصبية تغني أمامي .

ـ يا أمير المؤمنين إذا دخلت عليهم تغير حالهم وصاروا في خوف وهيبة منك

ـ فكر لي يا جعفر في حيلة أحتال بها على معرفة الحقيقة من غير أن يشعروا باطلاعك عليهم

قال الخليفة ذلك ثم قصد إلى ناحية دجلة وجعفر يتبعه ، وإذا صياد واقف يصطاد وقد رمى شبكته في الماء وهو ينشد :

يا راكب البحر في الأهوال والهلكة
اقصر عناك فليس الرزق بالحركة

أما ترى البحر والصياد منتصب
في ليله ونجوم الليل محتبكـــة

ولما فرغ من انشاده التفت فرأى الخليفة أمامه فارتعدت فرائصه ، ولكن الخليفة هون عليه اذ ناداه باسمه وكان يعرفه .

ـ يا كريم ، اصطد على بختي .

اطمأن الصياد وألقى شبكته ثم طرحها في الماء ، ثم جذبها ، فاذا فيها سمك كثير . ففرح الصياد ولكن الخليفة كان مشغولاً عنه يفكر في حيلة يدخل بها على الشاب والجارية والشيخ ابراهيم ، ثم فاجأ الصياد بقوله .

ـ يا كريم اخلع ثيابك

فلم يسع الصياد إلا أن ينفذ أمر الخليفة وخلع جلبابه الخشن المملوء بالقمل والبراغيث وخلع عمامته التي مكثت فوق رأسه ثلاث سنين بدون حل ولا ربط ... وخلع الخليفة جبته وثوبين من الحرير ، ثم قال للصياد . خذ هذه والبسها ولبس جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاماً . وقال للصياد : اذهب أنت إلى حالك ودعني ولا تسألني عن شيء .

شعر الخليفة بالقمل يجول على جسمه ، فأخذ يتحسس بعض جسمه ويقبض بيده ويرمي . ثم قال للصياد

ـ ويلك . ما هذا القمل الكثير ؟

ـ يا سيدي ، انه في هذه الساعة يؤلمك ، فاذا مضى أسبوع فانك تتعود عليه ولا تحس به

فضحك الخليفة وقال له .

ويلك كيف أبقي هذا الجلباب على جسدي أسبوعاً ؟

ـ أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أقول كلاماً أشتهي أن أقوله ..

ـ قل ما عندك .

ـ خطر ببالي يا أمير المؤمنين أنك أردت أن تتعلم الصيد حتى تكون في يدك صنعة تنفعك .. وما دام الأمر كذلك فهذا الجلباب يناسبك

قال الصياد ذلك وولى في سبيله . أخذ الخليفة سلة السمك ووضع فوقه قليلاً من الحشائش . وقصد الى جعفر ووقف بين يديه ، فقال له جعفر

ـ يا كريم ـ ما جاء بك إلى هنا ؟ انج بنفسك قبل أن يراك الخليفة

ضحك الخليفه وأزاح اللثام عن وجهه وهو يقول

ـ هذه نتيجة طيبة ، اذا كنت لم تعرفني فلن يعرفني الشيخ ابراهيم . كن مكانك حتى أرجع اليك .

تقدم الخليفة الى باب القصر ودقه ، فقال ابراهيم من الداخل

ـ من بالباب ؟

ـ أنا كريم الصياد سمعت أن عندك ضيوفاً فجئت اليك بشيء من السمك

دخل الخليفة وابتدأ بالسلام . فقال له ابراهيم .

ـ أهلاً بالنص للغامر ، تعال أرنا السمك الذي معك .

وأقبل علي نور الدين والجارية لما سمعا ذكر سمك وكانا يحبانه قالت الجارية .

ـ هذ السمك مليح جيه كان مقلي

قال ابراهيم للخليفة

ـ اذهب الى المطبخ وأعط السمك وهذه الدراهم لوسيط وقاعة .

ذهب الخليفة إلى جعفر وقال

ـ يا جعفر انهض طبخوا السمك بقدر

ـ يا أمير المؤمنين هذه وانا أقليه

ـ لا ، والله لا يقليه إلا أنا بيدي ..

أيديهم . فلما أكلوا وغسلوا أيديهم قال الخليفة لعلي نور الدين :

ـ ليتك تعطف علي يا سيدي وتأمر الجارية أن تغني

قال ابراهيم كما اعتاد أن يخاطب الصياد :

ـ يا أحقر الصيادين .. مالك والغناء ؟ ومن أنت حتى تطلب الغناء ؟ أنت طفيلي ، والمثل يقول « طفيلي ويقترح ! »

قالت الجارية لابراهيم :

ـ لا يا سيدي انه يستحق كل خير ، لقد أطعمنا السمك اللذيذ .

وقال الشاب :

ـ غني يا أنيس الجليس من أجل هذا الصياد .

تناولت العود وغمزته بعد أن مركت أذنه وغنت فأطربت ، وجعل الخليفة يهتز طرباً وهو واقف ويقول عليك الله .. عليك الله ..

وقال له علي نور الدين :

ـ اجلس ، خذ راحتك ..

بعد الفراغ من الغناء التفت الخليفة إلى الشاب وقال له .

ـ يا سيدي هل أنت هارب من جناية ؟ أو لأحد عليك دين ؟

ـ يا صياد ، انه جرى لي ولهذه الجارية أمر عجيب

أتحدثني بحديثك عسى أن يكون لك فيه فرج

فأخبره علي نور الدين بما جرى له من الأول إلى الآخر .

هل يكاتب الصياد الملوك ؟

قال الخليفة

ـ أنا أكتب لك ورقة توصلها إلى محمد بن سليمان الزيني (سلطان البصرة)

ـ وهل في الدنيا صياد يكاتب الملوك ..؟

ـ صدقت ، ولكني أخبرك بالسبب ، لقد قرأت أنا وهو في مكتب واحد عند فقيه ، وكنت أنا العريف ، ثم أدركته السعادة وصار سلطاناً .

ـ اكتب حتى أنظر

كتب الخليفة بعد البسملة :

« من هارون الرشيد إلى محمد بن سليمان الزيني لو صح البك بكتابي هذا علي نور الدين بن خاقان الوزير قد وليته على ما كنت وليتك عليه سابقاً ، فانزع نفسك وأجلسه مكانك »

ثم قرأ الشاب هذه الرسالة حتى هب واقفاً بين يدي الخليفة .

ـ معذرة يا أمير المؤمنين .

وما رأى ذلك الشيخ ابراهيم حتى وقع مغشياً عليه . ولما أفاق جعل يتضرع إلى الخليفة حتى عفا عنه .

عباس خضر

قمة الطرب

ذهب إلى المطبخ فوجد فيه كل ما يحتاجه قلي السمك فلما تم قليه أخذه إليهم ووضعه بين

... وكان الرشيد يعدل بين الناس ويسعى في حل مشاكلهم ويتعاطف مع المحبين ويلبس ملابس الصيادين والتجار ويتجول في بغداد بعد حلول الظلام لكي يعرف حقائق الناس والحياة بعيداً عن رهبة الحكم والسلطة .

على خليج العقبة

يمثل المشهد المقابل واحة عربية ظليلة على خليج العقبة ، أو خليج أيلة ، لاخلاف ..

وكلمة « عقبة » هي التسمية المتأخرة ، والحديثة نسبياً ، لموقع « أيلة » العربي الغائر في القدم . ولكن « أيلة » هذه كانت ترد في بعض تصانيف البدائية العربية بتعبير « عقبة أيلة » . فيبدو أن تاريخ الاستعمال الطويل قد غلب المضاف « على المضاف إليه » ، فأخذت تعرف « بالعقبة » وحسب

وسواء أخذنا بهذه التسمية أو تلك ، فإن « أيلة » بلدة عربية كنعانية خالصة ، ورد ذكرها في التوراة اليهود على أنها كانت قائمة على بحر القلزم — أي خليج العقبة — بزمن سابق لقدومهم في تيه سيناء . وقبل أن يتحقق الخروج اليهودي من مصر أي اتصال بتراب فلسطين .. (سفر التثنية — ٢ : ٨) .. وعلى هذا فإن لفظة « إيلات » التي أطلقها اليهود على مدينتهم المستحدثة في مدخلة « أيبة » . ليست إلا مرحلة قبيل التهويد التقليدي لأسماء البلدانية الفلسطينية ذات الأصل العربي الكنعاني ..

ثمة بين الأردن وفلسطين تلك الملازمة التوأمية الفريدة التي لا أظن أن لها نظيراً على متسع رقعة الوطن العربي الكبير .. فعلى امتداد تاريخنا الجغرافي العربي الإسلامي كان « جند فلسطين » أول ما يستقبلك من بلاد الشام على تخوم الحجاز ، مشتملاً على الجنوب الحالي لكل من الأردن وفلسطين معاً ، بما في ذلك خليج العقبة ، وجبال الشراة ، والبلقاء ، جنباً إلى جنب مع القدس ، وجبال الخليل ، وسهل غزة ، وصحراء النقب .. ثم يليه شمالاً « جند الأردن » مشتملاً بالمقابل على الساط ، وعجلون ، جنباً إلى جنب مع بيسان ، وطبرية ، وعكا ، حتى إن واضع « تقويم البلدان » صاحب حماة (من القرن الثامن الهجري) ، ليحير القارىء بين أن يضع « بيت المقدس » في « إقليم فلسطين » أو في « إقليم الأردن » على حد سواء (صفحة ٢٤٠) بمعنى أن فلسطين في حقيقة الأمر هي الأردن ، والأردن هو فلسطين .

ثم جاءت خريطة الانتداب البريطاني فقطعت خليج العقبة إلى نصفين شرقيهما الذي تقع فيه مدينة العقبة . أو « أيلة » التاريخية ذاتها ، وغربيهما فلسطيني تقع فيه قرية صغيرة بحذاء شبه سبخة ، تدعى « المرشوش » أو « أم رشرش » ، وهي القرية التي استكمر عمرة اليهود احتلالها بعد عشرة أشهر من إقامة دولتهم — في بتاريخ ١٠ آذار ١٩٤٩ — وأطلقوا عليها اسم « إيلات » تحدياً في توسمها وتفديتها « بالهجرين اليهود ، لتصبح ميناءهم الثاني — بعد حيفا — وبذلك غير جميع بقعة ع بحر الأحمر

يلاحظ « علامة الفلسطيني الجليل ، الأستاذ مصطفى مراد الدباغ في موسوعته التاريخية الجغرافية لبلادنا فلسطين » أن تسمية « إيلات » هذه دخيل توراتي ، غير عربي يرجع إلى عهد التوراة حيث كتبت حرفياً

« إيلات كلمة سريانية Elata » ، تعني « شجرة البلوط » وهكذا ورد « اسم العقبة في العهد القديم » (التوراة) ، وقد أعاد اليهود اسمها القديم « عند اغتصابهم لموقع المرشوش » . (ج ١ — ق ١ — ص ١١٩ — الحاشية) ..

ولكن ، بمقدار حق التلميذ في أن يستأنف الحقيقة العلمية إزاء أستاذه الكبير ، فإنني أعتقد أن ما لاحظه شيخنا الدباغ غير دقيق :

فأولاً ، ليس لكلمة « إيلات » اليهودية المستحدثة ، أو حتى « إيلات » السريانية ، أي ذكر في طول التوراة وعرضها ، لا في نسخة « جمعية الكتاب المقدس » ، ولا في نسخة « الطبعة الكاثوليكية » ، ولا بالاستهداء بـ « فهرس مجمع الكنائس في الشرق الأدنى » ..

وثانياً ترد كلمة « عقبة » في أحد عشر معرضاً في التوراة ، وبنما بثمانية مدلولات مختلفة ، لا علاقة لأي منها بموقع « العقبة » الذي نحن بصدده ..

وثالثاً إن المفردة التي ترد فعلاً في التوراة هي « أيلة » ، ولكن بوصفها بلدة كاملة التأسيس مسبقاً على بحر القلزم ، قبل أن تكون لأي يهودي أية علاقة بأرض فلسطين ..

فالبلدة إذن عربية ، كنعانية التأسيس ، وصحيحها « أيلة » ، وليس لها أي تاريخ يهودي باسم « إيلات » ، وإن يكن قد توضع فيها بعض اليهود في أزمنة لاحقة ، على نحو ما توضعوا أيضاً في سائر بلدان « أرض كنعان »

رد على ذلك أخيراً — إن لم نكن بعد حاجة للبرهنة على أصالة « أيلة » العربية الخالصة — أن ياقوت الحموي يوردها في معجمه على أساس أنها « أيضاً » إسم جبل بالحجاز ما بين مكة والمدينة ، وفي هذا الجبل يقول كثير عزة

رأيت وأصحابي « بأيلة » ، موهنا ... وقد غار نجم الفرقد المتصوب
لعزة ناراً مما تبوخ ، كأنها ... إذا ما رمقناها من البعد ، كوكب

ويقول أيضاً :

تهبطن من أركان شاس ، و« أيلة » ... إليها ، ولو أفضى بين المكاتب

وجلي أن الشاعر ، في الشاهدين كليهما ، إنما يشير إلى جبل حجازي يحمل اسمه العربي « أيلة » منذ زمن سحيق لا تديه ذاكرة الإنسان . فما أفئتنا ، والحالة هذه ، عن تفريع « أيلة » الكنعانية عن أي أصل سرياني ، أو غير عربي ؟! ..

يوسف الخطيب

على شاطئ العقبه قرب أيلة

بقلم: جمال قطب

القارئة

في هذا الباب من روائع الإبداعات العالمية ، تناولنا لعشرات من سير الفنانين العظام ونزعاتهم وطابع عصرهم الذي يحيونه ويسبغون عليه ملامح إبداعهم الجميل ؛ فمن خلال اللوحة أو التمثال تعودنا أن نلقي الضوء على مدارس الفن وما حل بازدهاره وتطوره ، أو هبوط مستواه وتدهوره .

ويذكر قراؤنا أننا استعرضنا سوياً أكثر من مرة فنون عصر النهضة الإيطالي الذي أطلق عليه العصر الذهبي في القرن السادس عشر ، وكيف اتجهت إلى الاهتمام بالرونق والزخرف في القرن السابع عشر فيما يعرف بفن النهجية والباروك الذي غزا المانيا وإيطاليا وانجلترا ودول الشمال الأوروبي ولكنه عرف في فرنسا في القرن الثامن عشر باسم الروكوكو

وإذا كانت فرنسا قد سيطرت على حركة الابداع العالمي بعد ذلك وحتى أوائل القرن العشرين .. إلا أن عصور الازدهار قبل القرن الثامن عشر كانت تتمركز في ايطاليا وبلاد الشمال الأوروبي (الفلمنكي) واسبانيا ثم انجلترا أما ما كان موجوداً في فرنسا فمجده بما مستورد أو مسلوباً من البلاد التي اجتاحتها الجيوش الفرنسية أو اجتهادات فردية لعبقريات متناثرة لم تمثل نهضة فنية رائدة كما حدث في العصر الذهبي في ايطاليا أو عصر الفلمنكي في هولندا وبلجيكا مثلا .. إلى أن جاء القرن الثامن عشر . واستقطب بلاط الفرنسي خيرة الكفاءات الفنية في البلاد ، وتسابق الفنانون لإرضاء هذه البرعة الأرستقراطية المترفة ، وانغمسوا في بريق الحياة الناعمة ، وجاءت فنونهم

[illegible] وحرف [illegible] تتجه [illegible] صحبت فنونهم مصيرا من مظاهره [illegible] شرسي [illegible] كفة ، وتوجهه [illegible] تسابقوا [illegible] طبقة الراقية والمناظر الرومانسية الحالمة ، وتخصص فريق منهم في رسم مفاتن بلاط الفرنسي وحياته الشهوانية من أمثال (مدام ديبادور) و (ماري انطوانيت) وغيرهما من الأسماء التي يحفل بها التاريخ .. وقد لعبن الدور الأساسي في مجرى الأحداث والتحولات الأساسية المصيرية .. ولذلك أطلق على فن هذه الفترة : فن البلاط وتألقت أسماء العباقرة العظام من أمثال فراجونار وبوشيه وواتو وغيرهم من الأساطين الكبار . ويعتبر فراجونار (واسمه الكامل جان أونوريه فروجونار) أحد العمالقة العالميين الذين أثروا الفن والفكر الرومانسي بشكل جعل من فنه نهجاً شعبياً للحياة في عصره

وقد تتلمذ فراجونار على يد فنان الروكوكو الشهير فرانسوا بوشيه الذي اشتهرت إبداعاته لمدام دي بمبادور ، راعية الفنانين في عهد لويس الخامس عشر .. وقد عمر فراجونار حتى بلغ الرابعة والسبعين من عمره (١٧٣٢ ـ ١٨٠٦) ، وبذلك شهد فترة التحولات السياسية الرهيبة من تاريخ فرنسا . ولكنوى بنار الثورة الفرنسية التي عصفت بفنه ودمرت مكانته وصادرت لوحاته وممتلكاته حتى مات معدماً عام ١٨٠٦ وقد عرفت من نقاشتنا السابقة عن صفحات (الدوحة) كيف أن الثورة قد نصبت الفنان الشهير (داڤيد) قائداً للحركة الفنية ، فجعل من نفسه دكتاتوراً وحاكماً بأمره في كل ما يتعلق بشئون الفن في فرنسا ، وقضى قضاء مبرماً مروعاً على فن البلاط ، بعد أن قضت الثورة على البلاط نفسه . وجعل الفنانين يحسون بأن المقصلة في انتظار رقابهم مالم يهتفو بسقوط الروكوكو وانتهاء فن الرفاهية إلى الأبد ! وهكذا فعلوا ! وتحولوا إلى نزعة جديدة تتفق ومجريات الأمور آنذاك !

أما لوحتنا التي يراها قراؤنا على الصفحة المقابلة ، فهي لإحدى فتيات المجتمع التي رسمها فراجونار عام ١٧٧٦ وأسماها : القارئة الحسناء . وقد تحول الفنان منذ عام ١٧٧٠ إلى رسم الصور الشخصية ولاسيما فتيات العائلات الاستقراطية في باريس وفتيات المسرح والمشاهير والنبلاء . ويرى المحللون ونقاد الفن في هذه اللوحة كثيراً من خصائص الفن الفرنسي في القرن الثامن عشر حيث تتلألأ الألوان البراقة الدافئة التي تبعث فينا البهجة والإحساس بنعومة وترف ذلك العصر ، بالرغم من الانهماك الجاد الذي يبدو على وجه هذه الحسناء مستغرقة في قراءة كتابها الصغير

ومن خلال التأنق يبدى على ملابسها وشعرها ، ومن حركة أصابعها الدقيقة الرشيقة تستشعر جو الرفاهية وسمات الترف . تلك السمات التي تميز بها فن (جان أونوريه فراجونار) سواء رأيناه في مناظره الطبيعية الشاعرية المألوفة ، أو في لوحاته ميثولوجية الأسطورية ، أو في رسم (موديلاته) من دوات الجمال التي يضفي عليها الفنان فخامة وتألقاً يحكي قصة عصره السابح في أطياف الشاعرية .

لوحة جصية ، لقصر بروكوكو الشهير فراجونار (١٧٣٢ ـ ٩ ١٨ م)

قرية سياحية تحكي تاريخ الأجداد

تحقيق: السيد حجازي ● عدسة: أمين بدوي

● على شاطئها الرملي النظيف وبيوتها ذات الطراز الإسلامي عاشت قبيلة لفصالة

● مارس أهلها مهنة الغوص على اللؤلؤ في الماضي، وهجروها بعد تدفق النفط وظهور اللؤلؤ الصناعي

● إعادة إحياء القرية وصناعاتها الشعبية وتشجيع السياحة الداخلية إلى آثارها القديمة

● تمثل قرية المفير جزءاً حيا من التاريخ القطرى القديم . وهذه عدة لقطات للقرية بعد اعادة ترميمها ، وعودة النشاط اليها ، وتصوير مسلسل تليفزيونى فيها يحكى فصلا عزيزا من التاريخ

كانت الفكرة التى تبلورت أخيراً هى انتاج مسلسل تليفزيونى محى يتحدث عن الحيوة فى قطر أيام زمان . أيام الغوص على اللؤلؤ ..

وبدأ ابحث عن المكن الطبيعى الذى تصور فيه المشاهد والمناظرمن خلال الواقع ، دون الحاجة الى ديكورات من أى نوع ..

وبرز اسم « المفير » على الفور ..

إنها القرية القطرية القديمة التى تصلح لهذه المهمة ، وتعطى الانطباع الحقيقى عن الحياة فى سنوات الماضى ..

ولذلك قامت وزارة الاعـــلام فى دولة قطر بالعمل على ترميمها واســـتغلال مبانيها من أجل هذا الهدف .

وهكذا تحولت «المفير» الى قرية سياحية من الدرجة الأوى ، تقدم الماضى للحاضر ، وتحكى تاريخ الأجداد بكل صدق وواقعية ..

فما هى قصة هذه القرية القطرية التاريخية ؟ . وما دورها فى خريطة الماضى وأحداثه ؟ . وما دور أهلها فى صنع الحياة على هذه الأرض الطيبة ؟ ان القصة حافلة بالفصول الممتعة والمعلومات المفيدة

قرية سياحية تحكي تاريخ الأجداد

في البداية لابد من وقفة ضرورية

ان لعديد من المدن والقرى الساحلية تنتشر على طول الشريط الساحلي لشبه جزيرة قطر

من هذه المدن والقرى الوكرة والدوحة وقرية سميسمة والخور والذخيرة والغارية والمغير والرويس وأبو ظلوف والزبارة والوسيل والحويلة والخوير والجمين وغيرها الكثير

ولكل منها تاريخ طويل ، ولأهلها دور لا يستهان به في صنع هذا التاريخ وتأصيل الحياة القديمة بكل تقاليدها وقيمها ..

على الساحل الشمالي

وبالنسبة لقرية المغير التي برز الاهتمام بها أخيراً ، فان الحديث عنها يفرض نفسه في هذا المجال

وهو يأتي على لسان السيد محمد جاسم الخليفي مراقب شئون المتاحف والآثار بادارة السياحة والآثار بوزارة الاعلام

يقول مفصلاً الحديث عن قرية المغير السياحية انها تقع في الساحل الشمالي لشبه جزيرة قطر في المنطقة المحصورة بين قرية الغارية ومدينة الرويس ، وهي بالتحديد تقع شرقي هذه [illegible] بحوالي ثمانية كيلومترات

وقد كانت تسكنها قبيلة المضاربة

وهي تتكون من حوالي عشرة بيوت تمتاز بالبساطة المتناهية في التصميم

انها ذات طرز يماثل طراز البيت العربي الاسلامي . وهو في الغالب يتكون من حجرة أو حجرتين وأحياناً من ثلاث حجرات . وهناك أيضاً مجلس للضيوف وحوش كبير مربع أو مستطيل

وغالباً ما تكون الحجرات في أحد أركان الحوش . أما المجلس فعادة ما يكون بالقرب من المدخل الرئيسي للبيت

كما كان البيت يضم في وسطه « العريش »

هذا العريش عبارة عن سقف خشبي قائم على أربعة أعمدة خشبية . وكان الهدف منه أن يكون مكاناً للنوم ليلاً في فصل الصيف ، وتستظل تحته الأغنام في وقت الظهيرة

وعادة ما تكون هناك « دكة » خارج البيت للجلوس عليها ، عند التقاء الناس بعضهم بالبعض بعد صلاة المغرب ، وأحياناً بعد صلاة العصر

المسجد مازال قائماً

ويواصل محمد جاسم الخليفي الحديث عن قرية المغير قائلاً إنه يوجد بهذه القرية أيضاً مسجد صغير لأداء الصلوات فيه ، وهو يمتاز بأنه جميلة متواضعة لا تزال قائمة حتى الآن ..

وتمتاز المغير أيضاً بشاطئها الرملي النظيف ..

ولذلك يتوافد عليها الكثير من الناس هذه الأيام لقضاء الأجازات الأسبوعية والاستمتاع بجوها الصيفي

وقد كانت بها زمان « عين ماء » غير صالحة للشرب منها

ولدينا كان أهلها قديماً يأتون بالماء من منطقة « عذبة » القريبة من قرية الغارية والتي تبعد عنها حوالي ثمانية كيلومترات الى الجنوب الغربي ..

وتعتبر هذه المنطقة « عذبة » بكثرة عيون الماء العذب فيها ، والتي كانت تزيد على الستين عيناً

ولقد كانت المغير عامرة بأهلها ، شأنها ، في ذلك شأن جميع المدن والقرى الساحلية ، وكانوا يمارسون مهنة الغوص عن اللؤلؤ عندما كان هذا اللؤلؤ له شأن كبير في سوق التجارة

لكن بعد حين تغير [illegible] الأمور

بعد تدفق النفط واكتشاف اللؤلؤ الصناعي وغيرها من [illegible] وتوسعت الطرق [illegible] عنه

وأصبح سكان القرى [illegible] يقرضهم [illegible] في [illegible] والتقسيط [illegible] أحد [illegible] وهذه [illegible] يحاول [illegible] مستقبلهم [illegible] بالعمل في [illegible] أو [illegible] [illegible]

خطورة الهدم !

ويضيف مراقب شئون المتاحف والآثار قائلاً إن الدولة قد قامت باستملاك معظم المدن والقرى الساحلية ومن بينها قرية المغير

وتقوم بتدبير اماكن بعد الاستملاك بهدم هذه المدن الساحلية ، انطلاقاً من مبدأ أن القديم لا يصلح أن يكون موجوداً مع الحياة العصرية الحديثة ..

والحقيقة أن هذا المنطق خاطئ جداً وخطير .. لأن هذا الهدم يؤدي الى طمس ودفن جزء من تاريخ قطر المتعلق بالحياة الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية القديمة .

وهذا ما حدث بالفعل في كل من مدينة الدوحة والخور وسميسمة والرويس وأبو ظلوف والحويلة فيه المدارس والمستشفيات وغيرها من المرافق الهامة ..

وهكذا كان الحال بالنسبة لأهالي قرية المغير أيضاً

فلقد أدى انتعاش الحياة الاقتصادية في قطر بعد ظهور البترول الى قيام الدولة باقامة مساكن شعبية للمواطنين ، وتجميعهم في مدن رئيسية

ومن هنا ترك أهالي المغير منازلهم ونزحوا الى مدينة الرويس (مدينة الشمال) ، وقام بعضهم بالنزوح الى مدينة الدوحة

أحد المحلات القديمة في القرية

كان أهل القرية يعيشون على الصيد والحياة الطويلة فى البحر

وغيرها من المدن الساحلية ..

لكن مازالت هناك بعض أجزاء صغيرة وقليلة من القرى الساحلية مثل قرية الفير وقرى الغارية وأبو ظنوف ، وجزء بسيط من مدينة الوكرة القديمة ، وهى كلها تحتاج الى ترميم واعادة إحياء ، للمحافظة على الطابع المعمارى المحلى التقليدى .

وهذا فى الحقيقة أمر يجب الاهتمام والعناية به قبل فوات الآوان ..

ولايزال محمد جاسم الخليق يتكلم عن هذه القضية الهامة

ان الترميم وحده لا يكفى .

ان الطريقة المثلى هى اعادة تسكين القرى الساحلية بعد ترميمها ، بالناس حتى تظل محافظاً عليها وصيانته

وتحتاج مدن الساحلية فى الواقع الى طرق مرصوفة توصلها بالعاصمة ، ويستطيع [illegible] الوصول إليها بسهولة ويسر ..

كما أنه يمكن من خلال عملية ترميم لقرى اعادة إحياء الصناعات الشعبية فى بيئتها الطبيعة الأصلية .

وعند ترميم قرية الفير الا مثال بسيط يجب ، يتبعه الكثير ..

يجب أن تتبعه عملية تنظيف لمصـ وتوطين بعض من الناس أصحاب الصناعات البحرية مع عوائلهم ، واقامة استراحة ومطعم ومظلات شمسية ..

بهذا نكون قد حققنا العديد من الأهداف منها اعادة إحياء القرية والمحافظة عليها ، وإحياء الصناعات الشعبية ، والتشجيع على ازدهار السياحة الداخلية

الخطة العامة

وأسأل مراقب شئون المتاحف والآثار بعد هذا الحديث التفصيلى عن بعض الأعمال الأخرى المماثلة التى تقوم بها الادارة ، ضمن خطتها العامة للمحافظة على المناطق الأثرية فى دولة قطر ..

وتحمل اجابته الكثير من الاضافات ..

ان ما حدث بالنسبة لقرية الفير من اعادة ترميمها والاستفادة بها فى بعض الأعمال الفنية ، يأتى ضمن خطة عامة لترميم القرى والمدن الأثرية ..

وأقرب مثل فى هذه الخطة قرية الغارية فى الشمال الشرقى والتى تبعد عن الفير بحوالى ثمانية كيلو مترات

اذ تتم المحافظة على آثارها القديمة ومبانيها التراثية بإعادة بنائها وترميمها ..

والهدف من ذلك أن تبقى حلقة الوصل قائمة بين الماضى والحاضر ، وأن تتحول هذه المنطقة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

على غرار قرية أصيلة فى تونس التى تمتاز باستمرار حضاريتها وبقائها على طرازها القديم .

ولسوف تقوم الوزارة حال استملاك الدولة لمعظم بيوت القرية بتسييجها ، ومن ثم ترميم المبانى الموجوده بها ، وذلك حفاظاً على تصميمها القديم ، وحتى تكون من الأماكن السياحية التى يقبل عليها الجميع ، بالاضافة الى اقامة أنشطة ثقافية فيها مستقبلا ..

وهذا العمل فى الحقيقة يدخل ضمن أنشطة ادارة السياحة والآثار المتعددة فى المحافظة على المواقع الأثرية والمبانى التراثية ذات الطراز المعمارى الجميل الذى يعتبر جزءاً من تاريخ العمارة المحلية فى دولة قطر .

تنقيب وترميم

ويضيف محمد جاسم الخليق أن من الجدير بالذكر أن ادارة السياحة والآثار قد فرغت مؤخراً من أعمال التنقيب والترميم فى موقع مدينة الزبارة القديمة التى يعود تاريخ انشائها الى ١٧٧٦ ميلادية ، بالاضافة الى الانتهاء من أعمال التنقيب والترميم فى قلعة مروب الاسلامية التى يعود تاريخها الى العصر العباسى

كما قامت الادارة مؤخراً بوضع لوحات إرشادية للمواقع الاثرية ـ وذلك فى كل من موقع مروب الاسلامى ، وموقع مدينة الزبارة القديمة ، وموقع تل الجاسية ، وحصن الغوير ، وقلعة فويحه ..

وستقوم الادارة فى هذا العام بتثبيت لوحات [illegible] أخرى لمواقع الأثرية ، ودت حفاظا على تلك المواقع من أعمال الردم وغيرها ..

كما انتهت الادارة مؤخرا بالاشتراك مع فريق فرنسى مؤلف من باحثة آثرية ورسام معمارى ومصور بتخصص من أعمال المسح والتسجيل والتصوير والرسم لمعظم المبانى التاريخية والأثرية فى داخل مدينة الدوحة وخارجها ..

وقامت أيضا بعمل أرشيف متكامل للرسومات والمخططات والصور والسليدات ، والبطاقات التسجيلية

وتقوم الادارة فى الوقت نفسه بحصر المكتشفات وترميم جزء منها ، والاحتفاظ بالأجزاء الأخرى وعرض ما يصلح منها للعرض فى متحف قطر الوطنى والمتاحف الاقليمية ، حتى تعم الفائدة منها ، ويشاهدها كافة المواطنين والزائرين

وبعد فلقد كانت هذه هى قصة قرية الفير التاريخية السياحية ، بما احتوته من تفاصيل عنها ، وعن الجهود الأخرى التى تبذل فى مضمار احياء القديم بكل ما يحمل من أصالة وقيم ..

ولسوف تبقى الفير وغيرها من آثار الأجداد تحكى قصة التاريخ والصراع من أجل الحياة ، وسط ظروف شديدة القسوة ، حاضها رجال عركوا البحر ، وتحملوا المشاق وخلفوا لنا الكثير من التضحيات والأعمال الحية والعميقة ..

السيد حجازى

فنان

سيد سعد الدين

يهتم بالإنسان والتراث الشعبي وكل ما في الحياة

الفنان سيد سعد الدين

بقلم : صبحي الشاروني

الحضرة بدء ترتفع جدرانه مع تتابع الأجيال كل جيل يستوعب تجارب الجيل السابق . ثم يضيف اليها . ينبهر الشباب بسيرة الشيوخ . ويحاولون أن يتشبهوا بهم . وعندما يشتد عودهم لا يقبلون على أساتذتهم فيجتهدون محاولين أن يتخطوهم أو يضيفوا ما يميزهم

وهكذا تسير الحضرة قدما ويرتفي بفن الذي هو خلاصه الحضارات

وفي فنون الرسم هناك نماذج تتابع الأجيال حيث يستمد كل مصور أستاذه . فيبلغ مكانته ويحاول أن يتميز ويتفوق

ومن بين أبناء الجيل الراهن في الفنانين التشكيليين . يبرز الفنان « سيد سعد الدين » الذي يعتبر وريثا لجيل أحمد صبري والجيل الذي يليه . لقد بدأ سيد سعد الدين تلميذا مخلصا لمدرسة أحمد صبري ومن تلاه من الفنانين الكبار في نفس المدرسة . ثم انتقل سيد سعد الدين بعد ذلك بفنه خطوات بعد أن هضم وتمثل مميزات أساتذته فحقق طابعه الشديد الخصوصية والوضوح . واحتل مكانة بارزة بين أفراد الجيل الرابع من أجيال التشكيليين العرب . حتى بدأت البنوك تتسابق على شراء لوحاته لأن الخبراء يتنبأون بأن أسعارها ستتضاعف مع اتساع شهرة الفنان وزيادة الاقبال على فنه

ولد « سيد سعد الدين » بمدينة « قنا » عام ١٩٤٤ ، وهو لا يذكر الآن إن كان قد تعلم الكلام أولا أم الرسم . فقد انغمس في الرسم والتشكيل من طفولته المبكرة .. وقد انبهر وهو صبي برسوم مدرس الرسم « كرام » التي نفذها على جدران المدرسة بأحجام كبيرة توضيحية لتلاميذ المرحلة الابتدائية وكانت تصور مختلف حيوانات البيئة

وذات يوم كان العمال قد انتهوا لتوهم من إعادة طلاء مسكنه ولم يعيدوا الأثاث الى مكانه . فانتهز الصبي الصغير فرصة وجوده في المنزل بمفرده وراح يعتلي الكراسي والمناضد ليرسم على الجدران الحديثة الطلاء رسوماً للجمل والحمار والقط والكلب ومختلف الحيوانات التي شاهدها مرسومة على جدران المدرسة .

فلما عاد أفراد الأسرة فوجئوا بأن معظم حيطان المسكن تغطيها رسوم « سيد » ، فثارت ثائرتهم وحصل على « علقة ساخنة » جزاء عمله الفني الكبير .. وأعادوا طلاء الجدران مرة أخرى والخسرة تملأ قلب الفنان الصغير على ضياع فنه ومجهوده .

لكن صديقاً للأسرة عارض هذا الموقف وأعلن تقديره لرسم الصبي ، وقدم له مكافأة على عمله العظيم .. وحفزت هذه الواقعة في وجدان الفنان أثراً جعله يتشبث بالفن فيما بعد ولا يرضى سواه .

كان والده يعمل مشرفاً على الغابة الصناعية في مدينة قنا فكان يحبو به وهو فتى أن يقضي وقت فراغه بين أشجار وأعشاب هذه الغابة يشكل من الطين تماثيل وأشكالا يتركها لتجف في حرارة الشمس ، ثم يعرضها على ضيوف الأسرة

وخلال دراسته في المرحلة الاعدادية كان يتفوق دائماً في مادة الرسم على مستوى القطر المصري . وفاز بجائزة عن هذا التفوق لا يزال يعتز بها

وفي المرحلة الثانوية كان يمارس نشاطه الفني

لمسة وفاء إحدى لوحات الفنان الذى يجمع بين خصائص النحت والعمارة فى لوحاته

فى قصر الثقافة والساحة الشعبية وكلف شوك فى مسابقة على المستوى المحلى كان هو الفائز الأول .

وعندما أشرفت دراسته الثانوية على الانتهاء اشترك فى مسابقة أقامتها وزارة الشباب عام ١٩٦٣ للهواة (أى لغير الدارسين و لمتخصصين فى الرسم) حول موضوع «بيبه» ويتقدم «سيد سعد الدين» بلوحه رفضها المحكمون معتبرين أنها من رسم فنان متخصص لارتفاع مستواها لكن أسناد بيبة بعبية الشرف على الساحة الشعبية تدخل موضحا أنها من عمل شاب صغير لسن لم يتجاوز بديبة قنا ، فأصر المحكمون على الالتقاء به ، فسافر «سيد» الى القاهرة . وعندما ناقشه المحكمون قرروا اعطاءه الجائزة الأولى بجدارة

الهروب من الهندسة

عندما حصل على الثانوية العامة سنة ١٩٦٣ ، أبدى رغبته فى الالتحاق بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، ولكن هذه الرغبة قوبلت بسخرية الأسرة .. وطبقا لمجموع درجاته التحق بالمعهد العالى الصناعى بالمنيا (الذى أصبح الآن : كلية الهندسة بجامعة المنيا) ورضخ الشاب الذى سافر للاقامة فى المنيا ، بينما ظلت أسرته فى قنا ، وفشلت محاولته فى تصحيح مسار دراسته أمام معارضة الأسرة واصرارها على استمراره فى دراسة الهندسة ، وقرب منتصف العام الدراسى هجر دراسته واتجه الى القاهرة ليقيم فى منزل أخته ، ويسعى بأى ثمن لدراسة الرسم دون غيره

وبينما هو يتصفح احدى المجلات تعرف على الفنان « سيد عبد الرسول » فى باب « لوحة وفنان » وعرف أنه يعمل أستاذاً فى المعهد الايطالى (ليوناردو دافنشى) فتوجه الى هذا المعهد ليلتحق بالقسم المسائى الخاص بهواة الفن ليحقق حلم دراسة

فنان

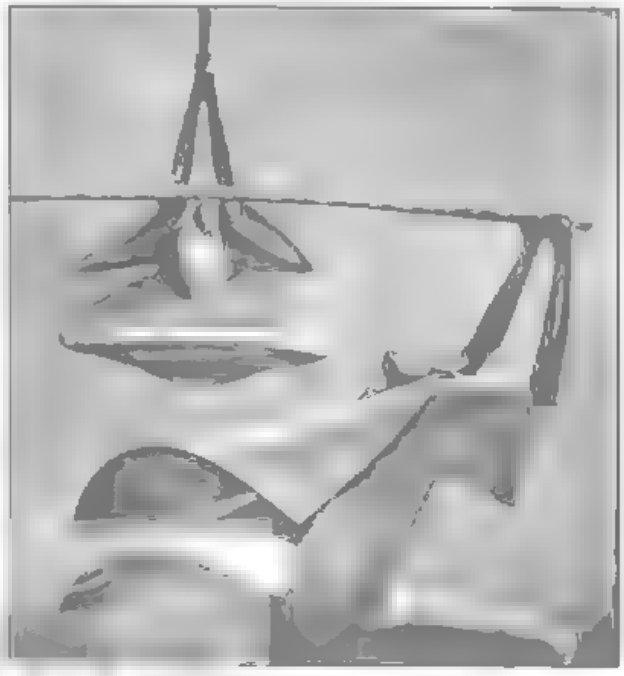

الترجمة

يرسم بعض النظر عن مؤهلاته العلمية أن يلتحق بمرسم الفنان « سيد عبد الرسول ».

وعندما شاهد الأستاذ عمل التلميذ ، الذى كان صغير السن بشكل ملفت للنظر بالنسبة لبقية الدارسين فى هذا القسم المسائى ، تعجب من تفوقه مع صغر سنه . وعرف أنه هارب من دراسة الهندسة حريص على دراسة الرسم فاصطحبه الى المدير الايطالى للمعهد مقترحا قبوله طالباً بالقسم النظامى الصباحى ، مع مراعاة ظروفه كمصدر رزق أسرته فى سبيل ذلك فقد قرر المدير قبوله بمصروفات مخفضة . وفرح الفنان الصغير وبدأ يعمل على تدبير الجنيهات السبعة المطلوبة كمصروفات دراسية

ورشحه أحد الأصدقاء ليعمل رساماً فى جريدة « الحقائق » التى كان يصدرها « أنور زعلوك » . والتقى « سيد سعد الدين » بصاحب الجريدة الذى استمع الى قصته باهتمام . وافهمه أن الجريدة تعانى من ضائقة مالية . لكنه وعده بنشر قصته ومناشدة المسئولين معاونته فى تحقيق هدفه . مع العمل على تدبير قيمة المصروفات الدراسية المطلوبة فى أقرب فرصة . وقبل الفنان الصغير هذا العرض ، وبدأ المحررون يسلمونه مقالاتهم ليرسم ما يناسبها عند النشر

ولما نشرت قصته اهتم بها استاذه « سيد عبد الرسول » وكذلك محافظ قنا ، بالاضافة الى

أما محافظ قنا « سيد عبد الرسول » فقد [illegible] من الجريدة للمدير الايطالى [illegible] فحواها : تقرر اعطاؤه المجانية الكاملة مدى حقق التفوق الدراسى ، وكانت هذه هى أول مرة يعفى فيها طالب مصرى من المصروفات ويتقرر تعليمه على نفقة الحكومة الايطالية

أما محافظ قنا فقد أرسل يطلب لقاء هذا الفنان الشاب . وحضر اخوه الى القاهرة متعجبا من النجاح الذى اثاره « سيد »

وعندما توجه الى معهده حاملا المصروفات المطلوبة علم بخبر اعفائه منها

وعندما التقى بمحافظ مدينة قنا خرج من اللقاء وقد حصل على راتب شهرى صغير يعاونه على الاستمرار فى الدراسة ومواجهة نفقات الاقامة فى القاهرة . ورأى الطالب [illegible] يحتهد فى دراسته ويحرص على التفوق والتميز

بشائر التفوق

خلال دراسته بالمعهد الايطالى تعرف عن قرب على ثلاثة أساتذة : سيد عبد الرسول الذى حصل على جائزة الدولة لعام ١٩٥٨ وتميز بلوحاته الشعبية الطابع ذات الايقاع الزخرفى فى الملابس والأدوات .. ثم الأستاذ الايطالى « تريتى زونوه » المتعصب للأسلوب الكلاسيكى فى الرسم . فكان [illegible] طلابه بالتدقيق فى العمل والحرص على مطابقة [illegible] . أما الثالث فهو الفنان الايطالى « كرالي » المنفتح على الاتجاهات الحديثة فى الفن بغير تعصب ، مما وسع رؤية الفنان الشاب وجعله يكتسب خبرات متنوعة .

وواصل الفنان تفوقه وقبل أن ينهى دراسته بالمعهد الايطالى عام ١٩٦٧ شارك فى المسابقة الدولية التى تنظمها هيئة « اينا تورنج » الايطالية لطلاب الفن فى معاهد « ليوناردو دافنشى » فى جميع أنحاء العالم ، والتى شارك فيها حوالى خمسة آلاف متسابق . حيث قدم فناننا لوحة تصور مجموعه من البيوت فى حارة بمدينة « قنا » ففاز عنها بالجائزة الأولى ونال الميدالية الذهبية . عندما عرضت بالقصر الملكى فى ميلانو كما رشحت هذه اللوحة الفائزة للاشتراك فى مهرجان الشباب بتريستا

وبعد التخرج عين « سيد سعد الدين » معيداً بنفس المعهد الذى درس فيه

سنوات الامتياز

يتمتع [illegible] فنان بعد [illegible] فى حصوله باحدى

فقدم سنة ١٩٧٢ بالجائزة الثانية في معرض صالون القاهرة سنوي عن وحدة "الشوارع والجماهير" وكتب نقاد و صحف متعاصرة ينال الجائزة الثانية بينما كان يستحق الجدارة الأولى.

وفي المعرض الرابع عشر للطلائع عام ١٩٧٣ الذي تنظمه جمعية محبي الفنون الجميلة سنويا شباب المصورين الذين تقل أعمارهم عن ٣٠ سنة شارك الفنان بلوحته "من وحي الدواب" التي تعرض بالمعرض "سوق الحمير" . وفي هذا المعرض وبهذه اللوحة فاز الفنان الشاب بالجائزة الاولى، ودرجة الامتياز. وكانت هذه هي المرة الأولى والوحيدة في تاريخ هذا المعرض التي تقدم فيها الجائزة الأولى مصحوبة بدرجة الامتياز على مدى ربع قرن.

وتابع الفنان نجاحه عندما فاز بجائزة المسابقة التي نظمها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب لعام ١٩٧٤

تضحيات من أجل الرسم

وفي عام ١٩٧٩ صدر قرار تصفية معهد ليوناردو داڤنشي بالقاهرة مسندا إلى انهاء الاتفاقية الثقافية بين مصر وايطاليا بشأن اقامة معهد ايطالي للفنون الجميلة بالقاهرة

واجه الفنان إلى جانب [illegible] حياته الفنية [illegible] وتسديد ديونه خلالها لانتاجه الفني، فقد وجد كفنان منتج، وتولد في داخله صراع عنيف بين حبه للفن وإغراء الدخل المرتفع وانتهى هذا الصراع بموقف مشابه لقراره عام ١٩٦٣ الهرب من دراسة الهندسة بمدينة المنيا واستقال ليعمل استاذا لفن التصوير الزيتي بمعهد المعلمات شعبة الفنون التشكيلية بمدينة بني غازي في ليبيا.

لكنه ما لبث أن اكتشف عشله في السيطرة على وقته حيث لم يجد متسعا للرسم كما يريد. فضلا عن ابتعاده عن الجذور وافتقاده المناخ الذي استقى منه جميع موضوعات لوحاته السابقة. فعاد إلى القاهرة بعد عام واحد ليتفرغ تماما للفن وفعلا حصل على منحة التفرغ للانتاج الفني منذ عام ١٩٨٠ وحتى كتابة هذه السطور.

ومنذ حصوله على التفرغ عاد إلى تفوقه وفوزه في المسابقات. فقاز بجائزة الرسم من المعرض العام سنة ١٩٨١، كما شارك في بينالي الاسكندرية لعام ١٩٨٢ وحصل على الجائزة الاولى في التصوير الزيتي على الجناح المصري في المعرض، وحصل أخيرا على جائزة الرسم الأولى لعام ١٩٨٣ بالمعرض العام للفنون في مسابقة "حافظ وشوقي".

مراحله الفنية

رغم فوزه بعدة جوائز قبل استقراره طالبا بالمعهد الايطالي للفنون الجميلة بالقاهرة (معهد ليوناردو داڤنشي).. إلا أنه لم يضع قدميه على بداية طريق النضج إلا خلال سنوات الدراسة. أي من منتصف الستينات. في ذلك الوقت رسم لوحات يغلب عليها الطابع الهندسي.. أي الاهتمام بالعلاقات الهندسية التي تحكم الخطوط والمساحات في اللوحة

ومن هذه المرحلة بدأ ينطلق نحو تأكيد الجانب البنائي أو المعماري في لوحاته. حتى عندما تصدى لرسم لوحات ذات طابع تجريدي للتعبير عن بعض المقطوعات الموسيقية كانت العلاقات الهندسية بين الخطوط هي التي تسود أعماله.

ثم التفت الفنان إلى البيئة المحلية. مثل بيوت وشوارع الضبعة في مدينته الصغيرة بصعيد مصر، التي رأح يطوف بها منتقيا بعض المظاهر التي خصص بها وحوريها مثل مرجيح الأطفال وعربات الخضر ثم لأعمال البرسيم التي تقوم بها ربات البيوت.. مثل [illegible] لوحاته عن [illegible] ثم مواكب الاحتفالات وموالي

فنان

عارف الريفي

الصيد

المراكب الشراعية ، وأسواق الدواب في الريف ، وغيرها

الأسلوب البنائي

هذه هي موضوعات لوحاته التي سجلها بأسلوبه الخاص الذى يتطور باستمرار ، في اتجاه تأكيد الجانب « الدرامي » الذي يجمع خصائص العمارة والرسم والنحت في وقت واحد ان لوحاته لا تمثل مجرد انطباعات عن البيئة ، وانما هي دراسات أيضا للتراث الشعبي في مصر .

وفي تشكيلاته المختلفة تحليل تتجلى فيه قوة البناء ورسوخه باحساس المثال المتمكن ، مما يشيع في لوحاته جوا من التعبد والصوفية .

لقد تحلى الفنان الى حد ما ـ عن الجانب « الفنائي » في أعماله ، في سبيل التركيز على العنصر « البنائي » . بمعنى أنه لم يستخدم الألوان المتعددة المتراقصة في ايقاعات سريعة تشيع الاحساس بالطرب في عين المشاهد ، وانما فضل أن يعفذ إلى أعماق المتفرج من نفس مداخل التراجيديا التي تعتصر القلب وتترك أثراً لا يمحى . لأن البنائية ترتكز على الكتلة وعلى الديناميكية النابعة من داخلها في غير اسراف لونى ، فهي لا تحتاج إلى الوان تغني وانما إلى الايحاء بالصلابة والتكتل والرسوخ .

والمشاهد يحس أنه أمام منصة مسرحية تتحرك عليها الشخوص والعناصر الديكورية . فالفنان لا يحاول ـ ولو للحظة واحدة ـ ان يصل إلى المشاهدين عن طريق « الايهام » ، أي مطابقة الواقع حتى تحسب أن الرسم ينقل صورة واقعية . لكنه يحقق الايهار « بالاغراب » . وفي المسرح توضع قطع الديكور ويتحرك الممثلون والراقصون طبقاً لتصميم جمالي مسبق ، ولا يترك شيئاً للصدفة ، وان كان كل شيء يوحي بأنه يأخذ موقعه الصحيح بالصدفة . وهكذا يتأكد التصميم الهندسي ولا يحجب الاحساس بالديناميكية والحركة والحيوية في الاشكال . وهي نفس ما نجده في عمل الفنان

وتبدو الحيوانات في لوحاته أبطالا في مشهد مسرحي . يبدون كتمثلاء في أسطورة خرافية عوقبوا بمسخهم ، وهاهم في مشهد من مشاهد الأوبرا أو الباليه ، وعلى وشك أن يتحركوا بين الراقصين أو المنشدين .. لقد نزع عن حيوانات البيئة ، خاصة الحمار ، ما يشيع بيننا عن بلادته وغبائه ، وتحول إلى قطعة ديكور أنيقة على هذا المسرح الفسيح

ان حبه للبيئة وحنانه عليها جعله ينتقط مما حوله أكثر الصور انسانية ليجسدها بأسلوبه المتقن فتبدو خارج الزمن وكأنها آتية من أعماق التاريخ ، تتخذ مظهراً أسطورياً فيه رهبة وخشوع لاتحادها مع الأرض والحجر ، مصورة أجواء صعيد مصر المحمل برائحة الزمن العتيق . إنها ملاحم تشكيلية يسودها منطق الهندسة والبناء وتشيع فيها حكمة الفكر والفلسفة مع شاعرية رقيقة تمتزج فيها الرياضة بالحس ، والعقل بالوجدان في حبكة تصويرية متقنة

والفنان يحرص على رسم وتلوين كل سنتيمتر مربع في لوحته ، ولا يترك أي جزء إلا جعله

أنشودة الرحيل

مشغولا سمعا انه لا يستخدم الضربات الكبيره من فرشاة ترسم فجيعية اللون عنده دسمة ممزوجة بالتفاصيل صغيرة ، أو بمعنى آخر ، ثرية الملمس ، وفي نفس الوقت نجد أشكاله وقد اتخذت مظهرا مكعب وكأنها منحوتات أو تماثيل وضعت تحت مصادر ضوئية متنوعة ، ترسل أضواء فضية متناسقة ، وبعض هذه الأضواء يشع من العناصر المرسومة نفسها ولا يأتيها من الخارج .

إن سيد سعد الدين يقصد في ألوانه فيميل إلى الألوان الصفراء والبنية والعرابية ، ويبتعد ـ إلى حد ما ـ عن اللونين الأزرق والأحمر في حالتهما الصريحة . ثم يعالج ألوانه المفضلة بشاعرية رقيقة واضحة وبرسوخ ..

لوحات مملوءة بالحيوية

أما الحركة والديناميكية في لوحات الفنان فتتحقق من عدة طرق

أولها : التكوين المتحرك الذي يجعل عين المشاهد تتحرك لمتابعة العناصر في توزيعها على مسطح اللوحة وتأمل الأشكال الكبيرة في المقدمة والصغيرة في مؤخرة اللوحة .. هذا التتابع والتنوع طبقا لعلاقات هندسية ورياضية ، يشيع الاحساس بالحيوية والديناميكية . ويقود عين المشاهد لتسير معها خلال متابعة الاشكال المرسومة وتأملها

وثانيها : ذلك التناقض الذي يثير الاندهاش ، بين الشكل النحتي للعناصر الذي يوحي بالثقل والرسوخ من ناحية ، وأوضاعها للطيارة والمتحركة من ناحية أخرى ، فتبدو وكأنها من ثقلها من جاذبية الأرض .

وثالثها : تلك الشفافية التي يستخدمها في بعض أعماله فتكشف للمشاهد عن درجات لونية متدرجة أو متتابعة . عندما يحجب العنصر الشفاف جزءا من عنصر آخر . أو تتراكم العناصر الشفافه في بعض المناطق لتحقق تتابعاً في الدرجات اللونية لم يسبق لنا تأمل مثيلها في الحياة الواقعية

وهكذا يحقق التباين بين الأشكال التي تتحرك بعض وتلك المستقرة في رصانة وسكون وبين المعتمة والشفافة ، وبين خطوط استقيمه والمنحنية . نوعاً من الحوار الموسيقي المتعدد والمتنوع كما في الأعمال السيمفونية الرفيعة

لهذا يشيع في لوحات الفنان شيء من السحر أو اللغز نتيجة اتجاهه إلى بعض المبالغات التعبيرية والخيال الخصب الجامح . فيحقق الاندهاش ويدفعنا إلى التأمل ، فتنطبع في ذاكرتنا ولا تنساها أبداً ..

ولهذا كان من المنطق عندما طلب « البنك الأهلي المصري » وبنك « تشيس الأهلي » من الفنان الكبير الأستاذ عبد السلام الشريف أن يرشح أحد الفنانين الشباب ممن يتوقع أن ترتفع أسعار لوحاتهم في المستقبل لتكون ميداناً للاستثمار . أن يرشح أعمال الفنان سيد سعد الدين

صبحي الشاروني

مفكرة يابانية

اليابانيون: أغرب هذا الزمان وروعته

بقلم: جمال محمد أحمد

يقولون إن أوفق المداخل لتاريخ روما هو دراسة آدابها ، وان أوفق المداخل لآداب الاغريق هو دراسة تاريخها . واليابانيون فى لدى رأيت أيمى معهم غريق هذا الزمان وروعته فى ان لهم من آداب الاغريق على عهدهم الأحقب نصيب . ومن منشئات الرومان لسياسيه والعسكرية على عهودهم الأولى . نصيب هذا الشبه لدى كنت حبب أن أسوق له الشواهد . وهى أكثر مما كنت أحسب . حمس من أدبهم وتاريخهم ذات نقط لتوم من سيام مريب به لأمتب بتسعان وهما واحد ، لا ينفصمان وهما لصيقان شطران .

رباعية يوكيو ه يشيما (١٩٢٥ — ١٩٧٠ م) مثلا تعالج وجدان الانسان اليابانى واستجابة يده وعقله للحوادث والطامات التى هاشها منذ عقد القرن الأول حتى السادس منه . لا غناء لك عن رباعيته إن أردت أن تفقه تاريخ هذه الفترة فقها يمس بنفس . لا غناء لك عن الرباعية وان قرأت كل الذى كتب فوكوزاوا يوكيشى (١٨٣٥ — ١٩٠١) ورصد عن تاريخ بلاده وبارع قادر هو فى الذى كتب ورصد فى جوانب الحياة التى عالجها : التعليم ، شئون الحكم ، والى من هذين يسبيل ، كالذى كان من أمر الجبرتى الذى رصد كل نأمة ونفس بحذق يعجب ، ومن أمر الطهطاوى ، زبدة وعصارة المناخ الفكرى فى مصر وفى فرنسا على عهده (١٨٠١ — ١٨٧٣) .

التاريخ والرواية شقا مقص لا يقوم مقام الواحد آخر ، كالذى بين ثلاثية محفوظ وتاريخ عبد الرحمن الرافعى لمصر المعاصرة هذا الجسدا لا غناء له عن تلكم الروح تسرى فيه من قلم سيئة الرواية عندنا اليوم ، وربما لحين قادم .

أنحت هذه الخواطر على ، وأنا أدخل دار ياسوناري كواباتا (١٨٩٩ — ١٩٨٢ م) ، المتحف . تلقاك لدى الباب رجل قصير القامة ما فى هندامه الأوربى ما يدل على أنه فى أريج حال ، ولا فى كرافاته الأسود ، وأسلوب ربطها ما يدل على أن ذلك مألوف لباسه . سعى الينا يحس خطوة وراء أخرى ، مائلا قليلا بلامام يحملك على الاشفاق على حاله . مد يده بمظلة لى وقد انحنى انحناءة كبيرة ، أخذها معه لمرشدتى . تحنت له قليلا لقاء انحناءته الكبرى وتقدمنا يحس هو أيضاً مظلته ، فقد كان يوماً من أيام يونيو وذاك عندهم أمطر الشهور والدار فى ضاحية كاماكورا . مقعد الأباطرة والحاكمين فى ظلهم على نعهد الذى سمى باسم ذلك الإقليم من ١١٨٥ حتى ١٣٣٣ . جامعاً كواباتا من بيت أهله فى اوسكا ، عاصمة أخرى من العواصم التى عرف اليابانيون فى تاريخهم الطويل . كثير الحوادث والأحداث ، سبقت طوكيو العاصمة الحاضرة أخوات لها كثيرات أبعدها صيتا كيونو وندرا وأوساكا .

دار الكاتب المرموق أقرب لى بستان . أو هى بستان الدار سريحة منه ، فى وسطها شجر البستان ، وأزهاره تحف بها تلحقها ، تكاد تلمسها وأنت ترعى جداول البستان تتقلص سعيدة

زهور قادمة من كل انحاء البلاد إلى طوكيو

فرحة قطرات الماء . تدفيع السكون اساكن . ه فى المكان صوت غير صوتها نواجس ، فالدار بعيدة من زحام القرية تجيئها من زقاق يتعرج من الطريق الوسطى تشق القرية على جانبى الزقاق بيوت صغيرة صامتة ، عليها هى الأخرى أشجار تتدلى أغصانها فوق جدرانها ، والذين طوفوا ذلك البستان الأكبر ، اليابان كله لن يعجزوا حين يعصى على أن أذكر اسم شجرة أو زهرة وأنا الذى ما عرفت غير القليل الذى ينبت فى السفاف وعلى التل . وأكثرهم شجر ضخم جهم يعارك كى يحيا فتقوى جذوعه : النبع والتبلدى والكتر واللعوت وما من أشجارنا وازهارنا الطبيعية بسبيل . ودقة وحلاوة الزهر واغصان اليابان تعصى حتى على غيرنا من أهل الطبيعة الرحيمة ، قالها جيمز كيركب ، وهو الشاعر الذى غنى بالطبيعة فى بلاده اراحمة الوادعة . أشفق على زميل له ترجم المانيوشو ، أقدم مختارات الشعر اليابانى .

ما زالت وهى التى جمعت فى القرن الثامن اميلادى ، مصدر وحى وإلهام ، لذين اتوا بعده ، من مشقات .لترجمة عن لغة مغربة ، العثور عى كلمات وتعابير أسماء الطيور فيها والحيوانات والحشرات ، والنباتات ، وحتى الأشياء التى يستعمل الناس فى حياتهم كل يوم تشق عليك ، ان كانت مما لا يستعمل الناس فى الغرب » .

فرح راعى الدار بباقة ورد حملتها معى للدار المتحف . جرى أتى بها فى مزهرية وانا أراه يعانجب برقة ودودة ، ويميني ويساري وأمامى ضروب من الأزهار ، خال لى انها تبسم عاطفة ، حاس .لتمر الى عجر ساذج . ودخلت من باب صغير على مرتفع من الأرض فوق إطار من الخشب المدهون يحمل الدار كله . ورأيت والله طيب انحياة على الأرض فوق هذا الاطار : السجاجيد عليه ذات أبهج الألوان ، يحذق الناس صنعه هنا ويفتنون ، تحذق بنعومتها وقع الخطى ، وتزيد وقع السكون

عيشة الأميرة ـ قديمة ـ اليابان

عليك سكوناً . أنت تمشي في منام . رفوف الكتب بمنأى ويسراك متراصة في دهليز طويل . لكل رف زر تضغطه طائعاً يأتيك شطر من المكتبة ، وهي نحاس خفيف طلي بطلاء أبيض ، أكثر الكتب كواباتا مراجع رواياته ، « ألف كركي » مثلا و « ريف الجليد » روايتان يقرؤهما اليابانيون ويذكرونه في أسى وجلال

الأسى .. لأنه أنهى حياة بديعة مبدعة ١٩٧٢ م ولما يتجاوز الستين بكثير ، أعود للجلال بعد دقائق . أشركك سر الأسى : حين يذكر زائر مثي كاتبهم بالرضا الذي استحق يسكتون ، وأنا الذي أعرف كيف يحبون آدره ويمشقون شخصه يخرجون بالصمت عن لا وتعم ، فتحار ، ربما كان لعجزي الاجتماعي دخل ، « الكلام الصغار » كما يقولون ، موهبة لا يؤتاها كل واحد ، واليابانيون من أبعد الشعوب عن الفضول ، لا يشبعون نهم سائل ، حذرون إن كانت فلوتهم وآدابهم مرآة لهم هي لاشك ذاك ، الكلام القليل حلة في كل رجل وامرأة . لا تجد في شعرهم ، على كثرة ما نظموا في القديم ، وينظمون في الحديث ، الا ملاحم معدودة . على النقيض تفردوا في الشعر بنموذج يسمونه هايكا وآخر يسمونه تانكا . وينفرد النموذجان بأبيات معدودة الحرف لأقدمون في دور من أطوار تاريخهم وأدبهم الذي ظل مرآة لكل العصور ويلهث اليوم ليبقى جنب ضرب القديم من الشعر . رائعة صاحبنا كواباتا موضع حديثنا هذه اللحظة « ريف الجليد » مائة وأربعون صفحة من القطع الصغير ، عدة كلماتها خمسة وثلاثون ألف ، صفحات « ألف كركي » أكثر قليلا ، مائة وسبعون ، عدة كلماتها أربعون ألف لا تزيد ما خرج عن هذا التقليد غير يوكيو ميشيما وهو الذي رعى كواباتا وأحب وأقدر .

والفيلم الياباني بعد أن اتخذ مقعده الأمامي مع سائر الأفلام يكاد أن يكون سيد هذا التقليد في الاقتصاد . وصخرج الياباني تاجر بهذا الأمر حاذق ، ولو كنت أعرف أني سأكتب هذا لأحصيت الكلمات في فيلم « ملحمة تاريخية » يصور القيم عرف قديم في قرى اليابان كان الأبناء يحملون الآباء والأمهات على ظهورهم يطوفون بهم على قمم الجبال وانحدارات يدعونهم هناك للصقور والذئاب والسباع كيلا يشركوهم طعامهم القليل فقد كانت شحيحة الأرض وما كان حقاً ـ في زعمهم ـ أن يأكل هؤلاء وقد عجزوا عن الانتاج نهاية أيامهم تلك في مشهد من المشاهد يستمر دقائق يحمل ابن

أقوى الميراث عريق المنكبين الأسد المطوله على ظهره ، يلقي به بعد مشقات الا قبل لواحد بها إلى الوديان واسهول عن الصخور وعبر السيول في بؤرة تغص بالطيور الكاسرة تحوم حول عظام الذين الو البؤرة من قبل . والوحوش الجائعة ، تحاول عبثاً أن تخرج من البؤرة . الصخور ملساء والأرض بعيدة . تمضي أنت مع هذا الرعب ممسك أنفاسك . ما عجبت حين سمعت عند عودتي أن سحر التصوير والألوان وبراعة القصة لقي حفاوة في مهرجان « كان » وضعه في قمة الحظوة بجوائز « كان »

* * *

حمائي هذا الذي أقول عن عجزي الاجتماعي ، والذي أقول عن الاقتصاد في الكلمة عند اليابانيين من أن أحس لسر كواباتا . ما الذي حمله على قتل نفسه وهو الذي عاش ترف داره الخضراء ذات الزهر والماء ، الذي عاش جديراً بأسلافه حيث ولد ونما وفتح عينيه على دنن ثرية صاخبة لاهية في اوساكا ؟ ولد طيب ، وعاش طيبا ، يعشق الطيب الجميل ويعشق الآخرون عشقه هذا ، يودون لو هاموا بالحياة مثله ، واعترف به العالم أجمع فلماذا كان ؟

وأخيراً عرفت ما قتل كواباتا نفسه من جهد أو بلاء أصابه . قتل نفسه ليقول للناس كلمته ، قالها لهم بالدم . إن أرخى العيش أرفه العيش لا يستحق عناءة أن هو لا يحيا حياته وفق أهوائه .

استغرق علج السر حتى لقيت صاحبها كنت قد بقيته سنين قبل زيارتي هذه لليابان ، وما كنت أحسب أنه سيحين ، وهو الذي قضى شبابه الأول مع جامعة طوكيو وجامعة هارفارد ، يظل على العالم من « مدرسة الحقوق » فيها ومدرسة « الأعمال الادارية » لكنه والله أعان الشباب الياباني المعاصر ، أقرب لنماذل الذي أراده ـ ـ بتاريخ العربي ، حين كان يلح على المتعلم أن يدرس شيئ بعينه أعمق الدرس ، ولن « يلم من كل فن بطرف » .

قال لي صاحبي الذي يعمل الآن قائداً لجناح لهنك الصناعي في طوكيو وكان بعيداً في الذي نحسب نحن عن آداب وفنون أهله وبلاد ـ من الذي كان يقول إنه أخذ من الآداب والفنون والعلوم نصيباً . تلك واحدة من شمائل شباب زمانه قال حسيراً كاسفاً إن كواباتا هم بالزواج من فتاة كانت تقوم على شئونه ، أراد حين هم بهذا الزواج لاكفاء بين طرفيه هو وهي أن يصوتها ويصون الجنين في بطنها ، ثمرة عمق ارتباطها به . وأبت لشرائع أن يتزوج إنه واحد فريد ، وهي من عامة الناس أبت الشرائع قالت إنها من طبقات دون . كان احتجاجه احتجاجاً على الغباء لا احتجاج كلام ، واحتجاجاً على الغباء لا بالكلام . بالدم وبالحياة كلها خطة نعرفها عن اليابانيين

محطة مترو بطوكيو باليابان

يرتبط اسم كواباتا بفترة في تاريخ اليابان يود الناس هناك لو أصبحوا ذات صباح وقد نسوه ، محوه من وجداتهم محوا كأن لم يكن . تلك فترة « وادى القتلم » فيما يسمونها هم أنفسهم وفي الجيش فيها شئون السياسة ، والحرب والدبلوماسية ، فترة امتدت لعقد من الزمان بأكمله كما قلت ، شقي فيها القلم اليابانى أتعس الشقاء ، استحال عليه أن يكون ذا شأن وسيف الجيش مدلى عليه من أعلى ، ازدهره أن انتصر انتصارات عسكرية على جيرانه في شرق وجنوب شرقى اسيا ومشى بعيدا مع رهو منتصره ، يروى جون موريس في كتابه « مسافر من طوكيو » الذى نشر ١٩٤٦ بعد أن عاد لانجلترا وقد استحال مع حروب ياسمينك أن يعلم اللغة الانجليزية في مدارس ومعاهد اليابان كما فعل فترة من الزمان . قال رئيس الوزراء آنذاك الجنرال توجو يعالج هياج البرلمان ضد الانجليزية أبى تعليمها قال إنها رمز الآخرين والآخرون هم الجحيم ، كما علمت الناس أدوات الاعلام التى سخرها لجيش تسخيرا لطموحه قال رئيس الوزراء وهو يسعى لتسكين العاصفة لتى أثار هو نفسه وأعوانه أشباحه « دعونا نبق تعليم الانجليزية في معاهدنا ومدارسنا حتى حين سنحتاج الانجليزية لادارة الأقطار التى سنحتل سنحتاج لادارة استراليا وحدها عددا من رجال يعرفون الانجليزية . بفترة من الزمان تعلم اليابانيه للأهلين هناك ، ــ وكانت جندية عاتية تعيش رهن [illegible] تطوح اندحاريه قوى بعد أوربا عدد [illegible] من قوى يقظة مما يخلاص من [illegible] ما كان ممكنا لهم أن يجد [illegible] مع [illegible] لأمر [illegible] عنه غير تدهدت سبيح بحمد الجيش سبيحا أجوف أجرد . لا الحرن حرن . ولا السعد فيه سعد الكن زيف وباطل أباطيل . بان خبائه في الحرب بعد ضرب مرفأ بيرل هربر . وماترتب على ذلك لهجوم من خراب وهوان محيق باليابان

وأبى الزيف كواباتا سحر قلمه يصور جفاف النفوس وقسوتها أهل القرية والحظوة عند الجيش عمائم قراؤهم الذى أسابوه عن الحسن بالدى حوتهم من حمق . وما كان كواباتا أهوج يباطح الصخر ، كان يقول الذى يريد أن يقول مداوره ، يتقى . قال في رفق بصير لايكذب طيبات بحياة لا تقصيك كل ذلك استطن وكل ذلك نهلع والنهدث وراء المال صور في كتاباته الغرائز الأولى في الانسان شهوة الطعام شهوة الجنس وصور الطبيعة ، الزهرة وعصن الشجرة والتلال والجبال مثلا راجيا أن يرى الناس في تصويره إياها مايرى هو من جمال

قرأ العامه في كتاباته حكايات لاتشق عليهم لأنها سوانح ، وقرأه الخاصة لأنها كانت بضعة من شعر واساطير الأقدمين شاع فيهم أجمعهم . العوام والخواص . هدوء بال ودعه اعتقدوها على أنه حكم الجيش يسوقهم للايمان بحماقات ماكانوا ليؤمنوا بها لولا أن الجيش ، وقد ملك [illegible] الدعوة كلها والتبشير بالذى يبغيه وهو يحشه

قاوم هذا الزيف وانضلال كواباتا ، كمذى فعل فولتير واخوانه في فرنسا حتى يقابله بعضهم بمدارس الفكر الفرنسى على أيام مقتهم السلطان الذى ماكان لسلطانه وازع ، ويقابله الامريكيون بكتابهم الذين غنوا للطبيعة ولمغازلز ، الأولية في انسان ، والذى فيها من لمدادت وعدء ، لكنى لا أرى في هذه المقابلات الا قليلا من حقيقة من وفكر كواباتا . انه في البدء والختام ابن أرضه وتراثه وزمانه . بعبارة أخرى ياباني خالص ، قرأ فولتير وقرأ ويتمان وأمتع بهما وراح سبيله اليابانية

تكرت كواباتا وذكرت داره ، وأنا أطوف الجزيرة المعبد مياجيما . يحفل اليابانيون منذ القديم بالقلم والحراب والسيف على نحو سواء ، لكل معبده ، لايفضل معبد القلم معبد الحراب ولا معبد السيف . كلها معا سوانح من كل متكامل متماسك ، وجزيرة مياجيما كلها معبد صغير ، جزيرة أصغر من أن يكون بها مكان لمقابر . ماق الجزيرة جبانة يدفن الأهلون موتاهم في هيروشيما غير أمتار من المحيط تسلل للأرض حول الجزيرة المعبد وقد قاوم المعبد الماء وأفلح ، أعانه العابدون فيه بالسدود والقيود على الماء

القصص الأول تمثل الاتصال في [illegible]
اليابانية والقطعة الأخرى [illegible]

ميجيدو اشبه بصورة جزر الأساطير التي حلم
الاغريق والرومان في ذهابهم في البحر
بحثاً عن بلاد قوارب بحرية انيقة
طائفين ، تشق عند تقلع بها من هيروشيما مياه
زرقاء رقراقة السماء لا عاصفة تخيف ولا ميتة
هادئة تضجر . بين بين ، متعة للعين منعشه
تلقف محركات الباخرة قبل أن تصل مرساها بكثير
فتجدك تطفو في هدوء ناعم ، كلما اقتربت من أرض
الجزيرة أوحى لك هدوء الباخرة وأوحى لك سكون
المسافرين بعيونهم على الجزيرة بسكوت عن الكلام .
أنت تغبن على صمت جبين يعمق مسافرون برزقة
لسن البحر ، وكان يوما من أيام يونيو . رذاذ من
مطر ، ولا ريح كل الكون ساكن تحسب
المسافرين وهم يخرجون من الباخرة صفين
طويلين ، أنهم يمشون في حلم ، فرط السكون
حولهم وفرط صمتهم ، وقد تفرقوا عند أول الجزيرة
فرقا صغيرة

وجدتني ومرشدتي مضيقة مؤسسة اليابان
ندخل سوقا رطبة الأرض مفتاة تتفرق أشعة من
الشمس خلال خشب السقف كالذي تعمل عندنا في
سوق الحميدية والموسكي وقاس والحوانيت كالتي
عندنا أيضا متسك بعضها من الضيق بعضا ، ماقي
الجزيرة المعبد ذهر . فيها أمان التقى والورع
تتماثر بين الحوانيت فنادق صغيرة . رجعنا لواحد

[illegible] كل بقعه في جزر اليابان أسرحت بي وبها
كوابح . كان دنت اسمها ، وما كانت السرعة التي
وهمت . كانت كأكثر اخواتها دقيقة لايمكن لها أن
تحسن غير هويتي خطوة اثنين ستحيل بعيننا
قريبا لسان المحيط . رصت على رصيفه تماثيل في
أكثر من وضع رأيتة في متحف طوكيو الكبير ، قائما
قاعدا ، راقدا وق كل وضع من أوضاعه هذا
متأمل ، عيناه ساجيتان . يسارنا قريبا جبل يكاد
يضم لصدره المحيط يميل ميلا نحوه وكأن يد فنان
وضعته هناك ، عامدة لقاء الصخر والبحر على
القمة أشجار يلف بعضها بعضا ، أغصانها تتدلى
تحجب عنك مسار الجبل لسفحه ، وق السفح
أزهار من كل لون بهيج تسرح مترفة ملامسها يد
البستاني . بين كل مجموعة من هذه الأزهار
تماثيل صغيرة مما يحنق الفن الياباني ، أكثرها
ليونا وبعضها لشخوص من مسرح النو ، في المعبد
مسرح قديم لهذا الضرب من التمثيل الذي تفرد به
اليابانيون منذ مطالع القرن الخامس عشر أخذه
الكهان من رقص وغناء أهل القرى أتوا بها لمعابدهم
يصورون بألحان استحدثوها ، ورقص زيفوه تزيينا
ليعبر عن أمجاد اليابان القديمة تعبيرا استحوذ على

أفئدة الولاة والارستقراط والحاكمين ، وبقي اليوم
مسرحا لايعرف شبيها له بعد آخر يرعى تماثيل
يونا هذه وشخوص مسرح النو سدنة المعبد ، فكلها
من نحاس خالص ونوع من الطين يناطح الدهور ،
لايخشون عليها من أن تسرق . السدنة عندهم
، النقيب ، الذي يحرس ، البيان ، هنا

مبرر وجود وحياة هذه الجزيرة معبدها الذي
يجيئه العابدون من قرى ومدن اليابان . تدخله
خطوات قليلة بعد جانب الجبل الذي رأيت جانبه
الآخر يطل على المعبد ، اطلالة احتضان رقيق
ونهود . وعلى أرض المعبد أنهر صغيرة ــ جداول
كبيرة إن شئت ــ تربطها بعض من الجسور من
الخطب ، على جوانبها تماثيل من أحجام وأشكال
عدة .

بعد فسحة من الأرض صغيرة وتراب وحصى
وبقايا علب الآيس كريم الورق والكوكولا وغيرها من
العلب ، ناحية البحر كشك أمامه شهاب صاحب
لاه ، بعضه على ظهور الهوندا ، بعضه على ظهره
فوق الأرض ، لاخشوع هنا ولا تبتل هنا بدعة
أخرى مما تصنع الولايات المتحدة ، لاشئ هنا على
البحر أمام الكشك وعليه ، غير الشباب المرح
لتصابي ، مرشدتي لاتلقي بالاً اليهم ، تسرع بي
الخطى للذي يليق براثر ، كمن تريد أن تصرفه عن
هذه البدع الوافدة . على قرب قريب من المعابد
والديارات والخشوع والرهبة وقرب أقرب من
الشباب ، متحف الخناجر والسيوف

كان اليابانيون أمة حتى سنين قليلة محدث
يعدون من لا سيف من نطاقه يتدلى عربان
يعجبون كيف له . وحديث السيف والخنجر
تروعك صرامته في حياة وأدب اليابان وأرجو ان
فسحة من الوقت لترى كيف صور مكان السيف
والخنجر في الحياة اليابانية الروائي العظيم يوكيو
ميشيما في « الحصين الجانحة » ثاني اربعة كتب
في رباعية ، واريد لك أن تيسر عندك المزاج والفراغ
أن تقف عند هذه الصفحات التي يروي لك فيها
خيبة الناس وفزعهم من حكومة أمرت الناس أن
ينزعوا سلاحهم الذي عاشوا قربه وعاشوا به منذ
عهدهم بالأباطرة والحكام . اذن لن تعجب حين
تعود تقرأ زعمي لك أنا لن نستطيع معجزة اليابان
في الروح اليابانية ، في التراث الياباني ، وفي
الياباني المعاصر ، شئ نفتقده نحن الآن وكان يوما
من الأيام بعضاً من حياة العرب لاحياة دونه
سأقف لحظات مع هذا الفصل عن السيف في
الرواية حين يتقدم بنا الحديث كي أقربك به
تتصفحه . لن تضيع وقتا ان فعلت

جمال محمد أحمد

منازل في الأفق[1]

شعر: محمد القيسي

المكان

هلْ يُفسِّرُ هذا المكانْ
دمعةَ الأقحوانْ
هل يعالجُ روحي المريضَ ،
وأسترجعُ الكائناتِ إلى صدرِ أُمّيَ ،
قبلَ فواتِ الأوانْ

هل تُناديني تعالْ
طفلةُ الموجِ إلى البحرِ ،
وأحتاجُ إلى عمري
ويرتاحُ السؤالْ !

دون كيشوت

أرى خيمةً في الجبلْ
تُنكِّسُ أعلامها مؤمنةْ
بما وُعدتْ من جرارِ العَسَلْ
وطيبةِ حزبِ العملْ
أراها تُجمِّعُ هذا الحطامَ ، حطامي
وما يتبقّى مِنَ الراية المُتخثرةْ
أرى علّتي المُزمنةْ
أرى خيمةً تلمعُ الآنَ فِيدي
أراني وَحْدي
أدورُ كما حجرا مِطحنةْ
أُواجهُ أيامَ هذي السنةْ !

طوبى ليوم تناهى إليّ

كأنَّ الشوارعَ مُلكي
كأنَّ البناياتِ حولي فُتاتُ تنادُ ،
والعَرباتِ دُمًى تتقافزُ ،
والريحَ فُلكي
كأنَّ النهارَ بلا مُنتهى
كأني بلغتُ ذُرى المُشتهى
وجاورتُ شكّي
فهلْ كانَ إبريقُها دانياً من شفاهي
إلهي
إلهي
لقد فاضَ قلبكَ في ،
وَعشتُ مياهي !
فطوبى لهذا الغياب ،
وطوبى ليوم تناهى إليّ ،
فأزهرَ شوكي
كأنَّ الشوارعَ مُلكي !

امرؤ القيس

أنبى عُروقَ البحرِ وَانتظرا
لا بارقٌ شنّي ولا عَطَرا
فنجانه الثاني تجرّعَه
وتجرَّعَ الإسمنتَ والحجرا
لم تأتِ موعدها ولا بَعثتْ
في صدرِ طارِقها ولو خبَرا
وَطوى كتابَ الأرضِ عباءه
وتوزّعتْ أنفاسُهُ شرَرا
في كُلِّ مُنعطفٍ وناحيةٍ
سكبَ الضلوعَ وأطلعَ الشجَرا
لم يُنفقِ الأيامَ في عَبثٍ
كُلُّ الرمالِ تُرادُ المَطَرا

لها ولي

التُرابُ لها والحجارةُ لي
الأغاني لها والهوامشُ لي
ألنهارُ الشفيفُ لها ،
والزوايا البعيدة لي
والهديلُ الذي ينتهي عند شُرفتها فَرِحا
والضُحى
وَالأريكةُ والنيلسَانْ
ورنينُ الكمانْ
وقطوفُ الكروم لها
كلُّها
ولها المهرجانْ
ثمّ لا شيءَ لي
غيرُ هذي الحجارةُ تسقطُ من منزلي !

---

(١) من مجموعة حملت نفس العنوان ، والتي فازت بجائزة ابن خفاجة الأندلسي لعام ١٩٨٤ التي يمنحها المعهد الأسباني العربي للثقافة في مدريد وسوف يقوم المعهد بنشر المجموعة باللغتين العربية والأسبانية

صورة إنسانية بعيدة عن السياسة

حسن البنا كما عرفته

بقلم: الدكتور الطاهر أحمد مكي

لم أكن أدرك يوم رأيته للمرة الأولى فى قرية نائية من قرى مركز [illegible] محافظة قنا ، فى أعالى الصعيد ، تسكنها قبائل عرب الطاهنة التى أنتمى إليها [illegible] بعيدة عن السياسة والكفاح ومساوىء الاستعمار والاحتلال الإنجليزى وجبروته ، تهيمن على الإسلام فيها ، كما فى القاهرة والمدن الكبرى ، وحبائل جمعيات التبشير ، وأجهزة الإعلام الأجنبية ، وشتى أنشطة الغزو الثقافى التى كانت مؤسسات تنشق وراء العلاج والتعليم ، وتروج مع العلم والمعرفة الأجنبية ، وتهيئ المسلمين عن دينهم .

ولكنى أيضاً ، لم أكن بعيداً عن ذلك ، فقد كنت من ذويهى الأطفال الذين يترددون على كتاب القرية ، والمدرسة الإلزامية ، وموقوفاً عليهما ، لا عمل لى غير القراءة والمذاكرة وحفظ القرآن الكريم ، على حين أن جل بناتى يساعدون أهليهم فى الزراعة ، ومتطلبات المعيش ، وكان على فى لحظات الفراغ أن أقرأ للناس ، وهم أميون فى جملتهم ، صحيفة الأهرام ، الجريدة الوحيدة التى تبلغ القرية ، اشتراكاً يتقاسمه ضابط النقطة ، وعمدة القرية ، وخال لى ، وكنت أعى بعض ما أقرأ ، من أسماء الوزراء والأحداث على الأقل ، وأفهم قدراً يسيراً من التعليقات ، وقليلا جداً من المقالات ، أما الجانب الأكبر فكنت أراه طلاسم لا تعنى شيئاً ، ولا زلت أذكر حتى الساعة مقالا كبيراً ، فى الصفحة المخصصة للأدب والثقافة ، عن « التشاؤم والتفاؤل » رحت أقرؤه مرة ومرة ، فلم أفهم شيئاً مما يقول

فى تلك الأيام سمعت أن حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين حل ضيفاً على ديوان عائلتى فى كيمان المطاعنة ، على بعد كيلومترات من محل إقامتى ، وفيها كان يسكن والدى أيضاً ، فشددت رحيلى إليها ، مأخوذاً برؤية شخصية قادمة من القاهرة ، يظهر اسمها فى الصحف بين حين وآخر ، ويكتب المقال الافتتاحى فى مجلة « النذير » وكانت تقع فى يدى أحياناً ، بجانبها خال حين يذهب الى السوق فى المدينة

كان ذلك فى أواخر شهر أغسطس من عام ١٩٣٨

بدأت أتأمله من على بعد أولا ، ومن قريب فيما بعد ، هذا الضيف الوافد ، يرتدى ملابس بيضاء فضفاضة ، بسيطة ونظيفة ، ويلف فوق طربوشه شالاً ، معتدل القامة والبنية ، أبيض مشرباً بحمرة ، مرسل اللحية ، نافذ البصر والبصيرة ، يتحرك وسط جموع الريفيين ببساطه كأنه هالة من نور ، وهم حوله فرحون به ، يعرف كيف يملك قلوب امئات الذين توافدوا من النجوع التى حول القرية ، بعضهم طلاب فى الأزهر ، والغالبية فلاحون ، جاءوا مدعوين ، أو ليسلموا عليه ، أو مستطلعين

كيف يمضى يومه ؟

أمضى حسن البنا وقتها فى كيمان المطاعنة ليلة ويومين ، زار فيها كل دواوين بطون العائلة فى القرية ، حتى أولئك الذين كانو على خلاف مع أهلنا ، أو الذين يرتبطون بأحزاب سياسية لا تتعاطف مع الاخوان المسلمين ، وفى زيارته يصلح بين المتخاصمين ، ويجمع الناس على كلمة طير ، يفعل ذلك فى الصباح على امتداده بعد إفطار بسيط ، رغم وفرة ما يقدم وتنوعه ، فإذا انتصف النهار صلى بالناس الظهر فى المسجد ، وأمهم فى الصلاة ، وبعدها يتناول الغداء على بسط مفروشة على الطريقة العربية وجموع المدعوين على شرفه . فإذا انتهى الطعام أرسل شكره فى دعاء طيب ، لا أزال أذكر لفظه ، ويرن صداه فى أذنى كأنه قيل بالأمس ، فى لغة نقية رصينة ، وامتنان صادق

مؤثر : «أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم ملائكة الرحمن . وذكركم الله فيمن عنده» .

وبعد الغداء يستريح قليلا من وهج حر الظهيرة ، حيث الشمس شديدة والحر قوى فى أعلى صعيد مصر ، حتى اذا حانت صلاة العصر ثم الناس فى مسجد القرية ، وكان يومها متواضعاً ، مفروشاً بالحصر ، تعلوها طبقة خفيفة من التراب ، وتطوقه الشمس من كل جهاته . ومع ذلك لم يضق بشىء من هذا ، وما ضجر ولا تأفف . وإنما ظل فيه بعد الصلاة يلقى حديثاً دينياً استهله بحديث : «وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتابه ، ويتدارسون آياته ، الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة .. » ثم يمضى يفسر بعضاً من آى القرآن ، ويربطها بواقع الناس ، ولا أذكر الآن من تفاصيل الحديث شيئاً ، وان بقيت الصورة حية متوهجة فى عقلى وقلبى

فاذا جن الليل بعد رحلة مرهقة بين دواوين بطون القبيلة المختلفة ، وأوى الناس الى مضاجعهم ، انفرد هو بنفسه ، فى صمت ومن غير ضجيج ، يقرأ ورده ، ويؤدى ما اعتاد من صلواته

كان له رفيق فى هذه الرحلة «أ . ح» ، وكان يومها شاباً قارعاً ، فى مقتبل العمر ، موفور الجسد ، قوى البنيان ، تخرج فى الأزهر حديث يرتدى الزى الأزهرى كاملا ، عمامة وقفطاناً وكاكولة ، وأذكر واعياً أن الناس لم يرتاحوا إليه . رأوا فى حركاته تصنعاً وافتعالا ، وفى حديثه عجباً وخيلاء ، وكلها فيه يرون أشياء لا تليق بالعلماء ، ولا تعكس ملامح وجهه شيئاً من نور الصالحين وتقاهم ، وبدا لهم كأنه يطل عليهم من على فتركوه فردا ضائعاً فى ضجيج المتزاحمين حول البنا ، وان أعطوه حق الضيافة كاملا .

ومن كيمان المطاعنة الى أسفون المطاعنة ، حل ضيفاً على عائلة فراج طايع ، وكان عميدها قد أمضى أعواماً يدرس فى الأزهر ، دون أن ينال شهادة ما ، على عادة الناس فى تلك الأيام ، وأصبح عضواً فى مجلس الشيوخ عن الدائرة ، بعد أن عهد إلى الشيخ محمد الأمير أن يقيم شعبة للإخوان فى القرية ، وكان هذا أيضاً قد درس عامين فى الأزهر ، ولم يكمل دراسته ، لأسباب خارجة عن ارادته ، واستعاض عن حرمانه هذا بأن أخذ على عاتقه تبعة حث الناس فى القرية على تعليم أبنائهم بإرسالهم إلى المدارس والمعاهد والكليات فى القاهرة ، ويصحبهم أحياناً بنفسه ، على ما فى ذلك من جهد ومشقة ، وصدق فى جهده

جولة فى الصعيد

وفى العام التالى ، فى شهر سبتمبر ١٩٣٩ ، جاء حسن البنا فى رحلة ثانية ، شملت الصعيد كله فى هذه مرة ، جاء يؤكد صلته بالناس ، ويدعم شعب الإخوان التى أقيمت ، واذ توثقت علاقته بأهل وقومى حول أن يحل مشكلاتهم الاقتصادية والعائلية ، وأن يوجههم نحو الخير ، وأن يصرفهم عن بعض ما يقومون به من عادات ، يسمع بها ولم يرها ، كالثأر والتشاحن والعصبية القبلية ، وكان احتفاء الناس به كبيراً فى هذه المرة وقوبل باطلاق البنادق فى الهواء زيادة فى تكريم

فى هذه المرة رأيته عن قرب أكثر ، فقد كبرت هاماً ، وازداد اهتمامى بمعرفته ، ولم يغير هو شيئاً فى برنامجه ، أو عبادته ، أو ملابسه ، غير أنه صحب شاباً أزهريا آخر ، ولازلت أذكر اسمه ، رغم أننى لم أره بعد هذه المرة أبداً ، هو الشيخ عبد المعز عبد الستار ، وكان طالباً فى كلية أصول الدين يومها فيما يقال ، وقد أحبه الناس بقريب مما أحبوا البنا ، فقد كان متواضعاً وقوراً ، يشيع الصلاح من وجهه ، يغضى حياء ، ويغضى من مهابته ، ، وكان البنا وصاحبه قد قدما الينا فى هذه المرة من أسفون المطاعنة ، فلما أتمها اقامتهما فادرانا الى إسنا ، ليواصلا رحلتهما فى بقية مدن أعلى الصعيد .

فى العاصمة قنا

فى العام التالى دهمت الى قنا عاصمة المديرية ، [illegible] ، وكانت مدينة مسقط رأس خيط من تحمس فيه من [illegible] كتاب . وانضم عامى الأول [illegible] ، دون أن أحيطها بعد [illegible] بعد الجمعة من كل أسبوع ، فيه عرفت خلال عامى هذا من الحدة فيه شيئا حتى [illegible] ، وكلها فيه يرون أشياء لا تليق بالعلماء ، [illegible] لدينة فى المواسم المعتادة مثل رأس سنة الهجرية ، والمولد النبوى ، وغزوة بدر ، وشىء من النشاط الرياضى . وفى تلك الأيام كان الناس

الشيخ محمد مصطفى المراغى . كان أحرص الناس على كرامته علما ، وكرامة الهيئة التى يرأسها

يتخذون من المناسبات الدينية وسيلة لتغذية الشعور العام ، وايقاظ روح الوطنية والنضال ، ضد المستعمر ، دون أن يستطيع منعهم أو التصدى لهم . ويحضر مثل هذه الاحتفالات كبار الموظفين عادة ، وتلقى فيها خطبة رئيسية تعرض لتاريخ المناسبة ، وتحاول استخراج العظة ، وتحث المسلمين على استرداد مجدهم ، تتلوها قصائد يلقيها شعراء من أهل الاقليم عادة ، متوسطة الجودة فى خيرها . تناجى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتبكى المجد الذاهب ، وتأسى على الماضى المفقود وتأمل فى غد أفضل حالا

وكان المعهد الدينى يقيم بدوره حفلا فخيما . ويتعمد بأن المدير نفسه وهو ما يعد وظيفة المحافظ الآن ، يحضره بشخصه ، يصل برفقة شيخ المعهد ، ويسبقه هذا فى خطوه بوصفه رجل دين ، رغم أنه مرؤوس له بوصفه موظفاً طبقاً للوائح والقوانين . وهو اعتداد كان الأزهر يومها يدين به لشيخه العظيم محمد مصطفى المراغى . اذ كان من أحرص الناس على كرامته علما ، وكرامة الهيئة التى يرأسها شيخاً ، ولم يحن رأسه لحظة واحدة أمام أى مخلوق

وكان قنا الهادئة ، تحولت عام ١٩٤٠ الى مدينة صاخبة تضج بالحركة والجند والسلاح والعربات والصفحات ، حشود من كل جنس ولون جاءوا من شتى أطراف بدنى ، من بريطانيا ، والهند ، ودول أفريقية واستراليا وأوروبا ، وألوف من العمال المصريين معهم ، يتقاضون أجوراً عالية ، ويعملون فى مد خطوط السكك الحديدية والكهرباء والماء بين قنا والقصير على البحر الأحمر ، فقد اندلعت الحرب العالمية الثانية فى ذلك العام ، وعانى الانجليز هزائم مريرة فى شمال مصر على الحدود الليبية ، وحصاراً عنيف فى البحر الأبيض المتوسط ، ذ سيطرت عليه الغواصات الألمانية والايطالية ، فأرادوا أن يتلقوا امداداتهم عن طريق البحر الأحمر ، وهو أكثر أمنا لهم ، ويتيح لهم الانسحاب بخسائر أقل فى حالة الهزيمة الكاملة .

وجاء الجنود معهم بكل الأمراض : الجربعة ، والسوق السوداء ، والسرقات ، وأزمة الاسكان ، والتضخم ، وقلة المواد التموينية ، والملاريا .

فى تلك الأيام أحسست ، وأنا على أبواب الشباب ، أن جمعية الشبان المسلمين مكان طيب لقضاء الوقت ، والتدرب على الخطابة ، ولكنها بلا غايات سياسية واضحة وصريحة ، وان تحرير الوطن لن يجىء عن طريقها وكان منظر الجنود الأعاجم من كل الجنسيات والألوان سكارى فى آخر الليل يثيرنا ، ويلهب فى أعماقنا الحماسة والتمرد ، ويدفعنا إلى الاصطدام بهم دفعاً

وسافتنى قدماى صدفة الى شعبة الاخوان المسلمين ، وكانت تشغل الدور الأرضى من عمارة فى ميدان المديرية ، وهو الرئيسى فى المدينة ، وتطل عليه مباشرة ، وتتكون من قاعة معدة للمحاضرات

حسن البنا كما عرفته

● كان يتكلم العربية الصحيحة والبسيطة والواضحة على الدوام

● كان عفيف اللسان لا يخوض في سيرة أحد.. ولا يذكر أحداً بسوء حتى لو كان من أعدائه

● كان يردد دائماً مقولته: نعمل سوياً فيما اتفقنا عليه.. ويرحم بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه

تتحول الى مصلى في أوقات الصلاة، ومكتبا، وغرفة ثالثة، الى جانب المرافق. وانضممت إليها في الحال وفي ذاكرتي صورة هذا الرجل العبقري الذي رأيته في ديواننا منذ عامين.

كان نشاط الاخوان المسلمين متنوعاً، يشمل المحاضرات والدروس، والتدريب على الخطابة، والرحلات، وكل ضروب التعاون على الخير، والمنضمون إليها من المدرسين في الثانوية والمعلمين ومن صغار الموظفين في جملتهم، وبعض طلاب المعهد الديني، أما أساتذة المعهد فآثروا أن يظلوا على الحياد وأن يقنعوا بالوعظ والخطابة في جمعية الشبان المسلمين.

وفي ٢٠ مايو ١٩٤١ أصدر حسين سري رئيس الوزراء قراراً بنقل حسن البنا من مدرسة عباس الأول الابتدائية بالقاهرة الى مدرسة قنا الابتدائية. وكان ذلك مع نهاية العام الدراسي، ولعله جاء ليتسلم العمل فقط، ثم سافر ثانية، لأنني لم أره في هذا العام، فقد كنت مشغولاً بامتحاناتي أيضاً، أما في العام التالي، وجهه مع بدئه، فقد كنت أول جوار البنا جل وقتي

البنا معلماً

كان البنا نموذجاً في دقته، موظفاً على ذكاء شديد، وقدرة فائقة في تحويل المواقف لصالحه، وحين جاءت الأوامر السرية لناظر المدرسة بأن يرهقه بالعمل، فيوكل اليه أقصى قدر من الساعات، والمدارس يومها تجرى على نظام اليوم الكامل، من السابعة والنصف صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر، لم يتململ البنا من هذا، وكل ما هنالك أنه رغب في أن يقوم بتدريس الخط العربي، وسعدت المدرسة برغبته، وسعد بها زملاؤه، فقد كان المدرسون يهربون من هذه المادة، لأنهم يرونها أدنى من غيرها، ولعزوف الطلاب عنها، واعتمادها على الموهبة وحدها، وعدم اعتناء المفتشين بها، فأعطوها له شاكرين!

أما البنا نفسه فكان يهدف من وراء هذه الرغبة الى غايتين، أولاهما: أن الساعات المقررة للخط أسبوعيا ساعتان، ومعنى هذا أنه سوف يدرس لكل تلاميذ المدرسة البالغ عددها ١٠ فصلا، سوف يلتقي بكل هؤلاء الصغار، وهم على أبواب الشباب، فيهتم منهم الرجل الذي يريده للبلاد، وهو ما حدث فعلا فيما [illegible] المدارس [illegible] المتسم دائما العطوف في هدوء ولحنون في وقار، حمل من حصة الخط شيئاً [illegible] شيء فيها الصف فرحين، فهو يتبسط معهم في الحديث، ويحدثهم عن كثير من شئونهم ولا يبعد بهم عن عالمهم، ويسألهم في غير إحراج أو تأنيب من الذي صلى منهم الصبح فيكافئه ويطريه، ومن الذي يحفظ شيئاً من القرآن فيسمعه منه ويصحح له، فاذا جاءت فسحة وسط النهار تواعد معهم على اللقاء في مصلى المدرسة.

وبعد شهور واحد كان أحب الأساتذة الى كل تلاميذ المدرسة بلا استثناء!.

أما الغاية الثانية فهو أن حصة الخط تنتهي بانقضاء وقتها، فلا تصحيح بعدها، ولا تحضير لها، فيفيد بالقليل الذي تبقى له من اليوم وبقية الليل في الدعوة ونشرها، واكتساب أنصار لها، وفي القراءة والعبادة

كان البنا ينزل في «لوكاندة الجبلاوي الجديدة»، وهي أرقى فندق في قنا على تلك الأيام، ولا يزال مبناها قائماً الى يومنا، وإن تدهور حاله وعدا عليه الزمان، وبرنامجه اليومي لا يكاد يختلف، يعود إليها مع الرابعة ليستريح قليلا، ويغير ملابسه، ثم يأتي الى شعبة الاخوان فيصلي المغرب جماعة بمن فيها، صلاة وقورة خاشعة، لا يطيل فيها فترهق، ولا يجعل منها مجرد أداء واجب فيختصر، وينصرف بعدها الى تصريف شئون الجماعة، ولقاء الزوار، أو زيارة من على موعد منهم من أهل البلد، أو الهيئات الأخرى اسلامية ومسيحية، ثم يعود الى صلاة العشاء، وبعده يلقي درساً دينيا هو قراءة في كتاب إحياء علوم الدين للامام الغزالي، وكان يثني عليه كثيراً، وأول من لفت نظرنا إليه.

أما ليلة الجمعة، فكان يعقب صلاة العشاء محاضرة عامة، يأتيها الجمهور من كل أنحاء المدينة، من المنتسبين الى الاخوان وغيرهم، وتدور حول قضايا الساعة التي تهم الجماهير، ولكنها تتخذ من الدين منطلقاً.

قلب يعمره حب الناس والطبيعة

أتاح لي القرب من البنا على امتداد تلك الشهور القليلة أن أتبين فيه أشياء كثيرة: الذاكرة القوية، فما رأيته مرة الا وسألني عن أهل بأسمائهم فرداً فرداً، حتى أولئك الذين لقيهم لدقائق قليلة. أو ذكرت أسماؤهم أمامه مرة واحدة، وقدرته الفذة على أن يتكلم العربية الصحيحة والبسيطة والواضحة دواماً، وعفة لسانه، فما رأيته مرة يخوض في سيرة أحد، أو يذكر شخص بسوء، معارضاً أو عدواً، وانما ينقد ما يراه من زيف وباطل، أو خروج على قواعد الدين، نقداً

موضوعياً ، يشخص الداء ، ويصف العلاج ويأخذ بالأسباب أو يدعو إليها ، ويعلو على تفاوت الأشخاص ، ويعمل على أن يجمع ويوحد ويؤالف ، ويردد باستمرار ، ونعمل سوياً فيما اتفقنا عليه ، ويرحم بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه » .

ورأيته يسع بقلبه الناس جميعاً ، من يكبرونه سناً ، ومن يفوقونه في الوظائف درجات ، فضلا عمن دونه عمراً ومقاماً ، يهتم بأمرهم ، ويعينهم على تجاوز ما يعترضهم من صعاب ، وفيما بعد سوف يضم المركز العام للاخوان المسلمين في القاهرة ، دارة للعلاقات العامة مهمتها معاونة الاخوان على مستوى القطر المصري أولاً ، ثم العالم الاسلامي فيما بعد ، على حل مشكلاتهم اليومية والحياتية . ويحرص على أن يجمع الاخوان في أي مكان على الحب والود والتعاون . وأول ما يبدأ به أي خطبة له زائراً ، أن يذكر مستمعيه بأنه يحمل لهم تحيات الاخوان في المكان القادم منه .

وكان يشده جمال الطبيعة ، ومنظر النيل ، وغروب الشمس ، ومهابة الجبال ، ويرى فيها بديع صنع الله ، وما أكثر ما صحبنا في جولات ونزهات الى غاية قنا ، وكانت قد أنشئت في تلك الأيام على حافة مدينة ، فوق جزء من الصحراء ، وهناك نصلي المغرب . لا يحد بصرنا جدران ، ولا يحجز عن السماء ستار .

ولم تمض غير شهور قليلة حتى أحس انجلترا المستعمرة ، ولها في قنا قوات ومخابرات والحكومة المصرية التي كانت تتحرك في إطارها أن حسن عبد الصمد خطر منه في القاهرة فهو يتحرك في مجال بكر مفتوح ، ويلتقي بأناس خلص ، لم تفسدهم الحضارة ، ولم تعرف الطرق طريقها الى قلوبهم أو أبدانهم . فردته الى القاهرة من جديد .

وقبل أن يرحل البنا من قنا أراد أن يفيد من مكانته ، ومن حب الناس له ، وتعلقهم به ، فتمنى عليهم أن تكون دار الاخوان خاصة بهم وملكاً لهم ، وليست شقة مستأجرة في عمارة ، فانهالت التبرعات من كل طبقات السكان ، وبدوها في أغض مكان من المدينة . وضمت الكثير من المؤسسات العلمية والاجتماعية : قاعة محاضرات ، وعيادة ، ومكتبة ، ومصلى ، ونزلا للقادمين من الاخوان ، وأصبح أعضاؤها ورواده من خيرة موظفي المدينة ممن يعملون في الادارات المختلفة

بعض من عرفت

لازالت بعض الصور ثابتة في ذاكرتي ، وان نسيت بعض الأسماء . أذكر الشيخ محمد عبدالظاهر ، وكان مأذوناً وصاحب مكتبة ، وحركة لا تهدأ وسوف يقضي حياته سجيناً في الهجمة على الاخوان المسلمين ، والعدن سعد الشاذلي ، وكان مصوراً موهوباً ، وخلقاً عطراً ،

صورة تذكارية لحسن البنا التي اهداها لندوته الاسلامية الثقافية بمناسبة ولاء حسن

[illegible] في المعديه . [illegible] من [illegible] العشاء . كان يعيش في الدنيا . ويعيشها في الصلاة ، ويفسر معها بعض آي القرآن ، وإذا بي اكتشف أنه يحفظ القرآن . لا تند عنه آية . وكان محمد القرط المشرف على المجزر اذا صلى بنا المغرب او العشاء يقرأ القرآن في عذوبة خاشعة يرق لها الصخر ، وطه عبد السلام لا يكاد يشيء الا قام به راضياً مهما يكن شاقاً . وسوف يكون لحسين رشدي المدرس في صنايع قنا دور خطير سأعرض له فيما بعد ، وكان هناك أحمد المنهوري ، وظل وفياً لمبدئه حتى يومنا ، وابراهيم دهمش ، ولم يكمل رحلته في التعليم أو في الاخوان .

في القاهرة

ولم يكد البنا يصل القاهرة ويستقر فيها حتى كشفت وزارة حسين سري باشا عن نواياها ، فاغلقت مطبوعاتهم وتمالك الاخوان أعصابهم دون أن يداخلهم خوف أو رعب ، ولعلها كانت أواخر شهر ديسمبر من عام ١٩٤١ ، سوف يهبط قنا في القطار الذي يصلها في السابعة مساء مع أول الليل ، وقد من القاهرة هو المناضل التقي المضحي مرحوم الأستاذ صالح عشماوي . والتقى بالاخوان بعيداً عن عيون الحكومة والانجليز ، في فيلا تقع على هامش المدينة ، صلى فيها الاخوان العشاء ، وتذاكروا أمورهم ، وحمل اليهم القرارات : لا تستفز الحكومة ، ولكن اذا دعت الحال سوف نواجهها ومن ورائها ، ومع الفجر عاد الى المحطة ، وأخذ القطار الذي يغادرها فجراً ، دون أن يحس به أحد .

ولأذكر أننا بعدها تدارسنا كيف نواجه الانجليز في كل مواقع المدينة الهامة ، مراكز تجمع الكهرباء والهاتف . وكيف يمكن أن نقطعها في دقائق فنعزل المدينة ، ونغرقها في الظلام . ومن يقوم بهذه المهمة وكيف ، وجاءنا العاملون في الادارات المتصلة بهذه الخدمات بالخرائط كاملة . وتولى حسين رشدي تدريبنا على طريقة فصل الكهرباء في مجمعاتها دون أن نصاب بأذى ، ودرسنا تجمعات القوات البريطانية ، ومخازن سلاحها ، وكيفية مواجهتها اذا هي تدخلت ، ولا أدري ما الذي كان يحدث في القاهرة يومها ، ولكن لم تمض غير أيام قليلة حتى أفرج عن حسن البنا . وألغي قرار حل الاخوان ومنع اجتماعاتهم ، فعادوا يمارسون نشاطهم بأقوى مما كان بعد أن اكتسبوا شعبية هائلة

ورغم نشاط الاخوان المتسع في قنا الا أن الدراسة في المعهد لم تكن مفيدة أو حتى مسلية ، فقد كان مستوى المدرسين هابطاً ، ومعلوماتهم التربوية منعدمة ، وليس لهم تخصص محدد يعنون به ، وكل مدرس يدرس كل شيء ، والحياة الثقافية في المدينة متخلفة ، وفي تلك الأيام جاء المعهد معيناً جديداً الشيخ كامل عجلان ، وكان صحفياً أديباً ، فزلزل بأسلوبه وطريقته في الحياة والتعامل والفهم ما جمد من أفكارنا ، وحثني على ترك هذا الجو الخانق ، وهكذا قررت أن أرحل الى القاهرة ، وأن أقضي مرحلة التعليم الثانوي فيها .

في ٩ أكتوبر ١٩٤٤ وصلت القاهرة ، وهي تموج بمظاهرات من كل شكل ولون ، فقد أقيلت وزارة الوفد بعد صراع مرير مع القصر الملكي ، وجاء فاروق بأحمد ماهر باشا رئيساً للوزراء ، فحل البرلمان ، وبدأ يختط سياسة يمثل رأي فاروق مركز الثقل فيها .

وابتلعتني القاهرة بصخبها ، ومظاهراتها الطلابية التي لم تكن تتوقف ، وندواتها الثقافية العديدة ، في الجمعيات ، والنقابات ، والجامعات ، وبعضها كنا نحضره مقابل ثمن يعدل ثمن تذكرة السينما ، وهكذا احتجت لبعض الوقت لكي تعرف قدمي طريقها الى المركز العام لجماعة الاخوان المسلمين ، وكان يقع في أهم ميدان من الحلمية الجديدة ، وتجيء في وسط القاهرة تماماً ، وكانت في مطلع هذا القرن مسكن علية القوم .

كان للاخوان في الميدان دارات ، احداهما قديمة متواضعة ، من طابقين ، شغلها المركز العام زمناً ، وتحتلها جريدة الاخوان ، والثانية قصر منيف ، اشتراه الاخوان حديثاً ، من تبرعات عمت القطر المصري كله لهذا الغرض ولاصدار الصحيفة اليومية . وشارك فيها المواطنون من كل الطبقات ، الأغنياء

حسن البنا كما عرفته

والفقراء ، المثقفون والعمال الرجال والنساء والأطفال ، بما يملكون من مدخرات بسيطة أو جواهر وحلى . وفي القاعة العربية من هذا القصر ، وكانت بالغة الفخامة والروعة ، رأيت حسن البنا للمرة الأولى في القاهرة ، وحوله حشد من الناس ، يسلمون على الجمهور إثر اجتماع حافل من الاجتماعات التي كانت تقام لنصرة قضية فلسطين ، وعرفت بينهم للوهلة الأولى الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر واللواء صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين وآخرين لم أعرف منهم أحداً

وانتظرت حتى انفضت الجموع ، فتقدمت إليه ، تذكرني في الحال ، ورحب بي ، وسألني كالعادة عن أهلي ، فرداً فرداً ، وعن حالي وسكني ودراستي ، وأن يراني من حين لآخر ، وبدأت أتردد على المركز العام ، وعرفت أن الأستاذ المرشد ، وكان هذا لقب البنا ، يلقي كل ثلاثاء حديثاً ، يبدأ عقب صلاة العشاء ، ويمتد حسب الظروف ، ساعتين وأحياناً ثلاث ساعات ، وتتدفق الجماهير لسماعه من كل أنحاء القاهرة ، ومن المدن والقرى القريبة ، وتملأ ساحة القصر والميدان ، وتشغل الشوارع التي أمامها ، يحملون مقاعدهم ، احتراساً ، أو يقفون على أقدامهم ، في انتظار أن يسمعوا هذا الرجل الملهم ، الذي يعرف في بلاغة لا نظير لها ، عمدها الصدق أولا كيف يأخذ طريقه إلى قلوب الجماهير ، وكان الحديث متنوعاً ، في الدين والسياسة ، والاقتصاد والاجتماع ، وكل ما يمس الحياة ، وفي نهاية المحاضرة يتقدم إليه جمهور المستمعين بما يرون استيضاحه ، ولأن أعدادهم تمتد إلى نصف كيلومتر تقريباً ، فهم يكتبونها في أوراق يسلمها المرء لمن أمامه حتى تبلغ البنا في النهاية ، ثم تأتيه الإجابة عليها علانية ، عبر مكبرات الصوت ، مهما كانت خطورة السؤال

ثقافته الجامعة

أوتي حسن البنا جوامع الكلم ، وكان خير من يطبق القاعدة البلاغية القديمة : لكل مقام مقال ، فعنده حديث لكل مستوى ، ولمشكلات كل لحظة . وهو يملك ناصية اللغة ، معجماً وقواعد ، ويحفظ القرآن كله ، ويلم بالحديث في مجمله ، ويدرك أسرارهما واعياً ، ويستخدم ذلك كله في مهارة ، الى ثقافة معاصرة بلا حدود ، يحرر المرء معها : كيف وأين ومتى حصلها ، فهي لا تقف عند الثقافة الاسلامية وحدها ، وانما تتجاوزها الى الصراعات العالمية ، السياسية والمذهبية ، والاجتماعية ، والمنجزات الاجتماعية على امتداد العالم كله ، الى شجاعة فائقة ، غير متهورة ولا مترددة

اسماعيل صدقي

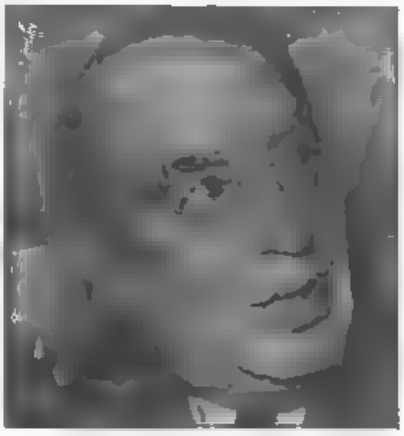

حسين سري

في حديث منها جاءه سؤال عما يقال من أموال دفعها اسماعيل صدقي باشا رئيس الوزراء للاخوان كي يسلمهم الى سياسته ، فكان رده أولا ، للمتطلق أن على من اتهمهم إثبات ، فالبينة على من ادعى ، هذا لج في الخصام ، فعود وأمره ، وقولوا له ، ليكن ما تقول ، فان صدقي لم يدفع من جيبه ، والاخوان لا يتقاضون جماعيل غير مشروعة ، وما تؤمن به المؤسسات الإسلامية ، ومع قبل ذلك وبعد ذلك ، الا يحيدوا عن طريقهم ولا منهجهم قيد أنملة ، ولو بملء الأرض ذهب

وكان هناك حديث آخر أقل شهرة ، عرف باسم ، حديث الخميس ، ، لطلاب الجامعة ومن في مستواهم ، وهو الى الحوار والبحث أقرب منه الى العرض والوعظ ، ويدور حول موضوع واحد ، وقضية محددة ، يتدارسها المجتمعون وهو اتجاه لم يعمر طويلا ، لأن صاحبه سوف يغيب عن الحياة بعد قليل

وذات يوم جاء القاهرة قريب لي ، هو الشيخ محمد الأمير ، ومعرفته بالبنا وثيقة ، فذهبنا لرؤياه في المركز العام ، ولأن الرجل كان مشغولا ، فقد ضرب لنا موعدا في بيته في صباح اليوم التالي ، في الساعة التاسعة صباحاً

وفي الموعد المحدد ذهبنا إليه ، كان يسكن في الحلمية أيضاً ، على مقربة من المركز العام في سكة سنجر الخازن ، في الطابق فوق الأرضي ، من بيوت القاهرة القديمة ، فقابلنا في غرفة الاستقبال ، وتفتح على السلم مباشرة كعادة البيوت في تلك الأيام . وفي صمت رحت أتأمل بيت الرجل الذي يهز مشاعر الألوف حين يتحدث ، ويلتف حوله المجاهدون العرب ، وتتعلق به آمال المواطنين فاذا به غاية في البساطة ، تشغل الكتبة جدارين منه وفي جانب آخر مكتب متواضع ، وأمامه كرسيا خيزران ، جلسنا عليهما ، على حين جلس هو على مكتبه ، وجاء الشاي لنا جميعاً ، ودار بينهما حديث عن الناس في الصعيد ، وعن تنظيم شعب الجماعة في قراه ، وعن رعاية أبنائهم الوافدين للتعليم في القاهرة

لم تكن جماعة الاخوان يومها مجرد تجمع ديني أو سياسي ، أو هما معاً ، وانما قوة ظاهرة ، تسيطر على الشارع والمصنع والجامعة ، وبحكم حركتها نظام دقيق وتوجه أمورها إدارات متخصصة ، وهي أول مؤسسة في مصر اهتمت بالتعليم العربي والاسلامي باطراد ، وفي ضوء منهج محكم ، وأقامت لذلك إدارة متخصصة تتتبع مشاغله وهيئاته ، وتغذي كفاءه بما تستطيع

انسجام الفكر والموقف

وفي تلك الأيام استقال حسن البنا من عمله مدرساً للغة العربية بالتعليم الابتدائي ، دون معاش ، ليعطي كل وقته لشئون الدعوة ، وحتى يواجه بنفسه متطلبات حياته المتواضعة ، أصدر مجلة « المسلمون » المتخصصة ، امتيازها له ، ويكتب فيها ، ويعاونه نخبة من أفاضل العلماء والباحثين ، ويأخذ من فائض دخلها ما يعينه على العيش دون زيادة

كان البنا كما رأيته نموذجاً لا يتكرر بسهولة ، سلوكه ينسجم مع فكره ومواقفه تتفق وما يدعو إليه ، وشغل حيي له وإيماني به قائداً منهما الجانب الأكبر من تفكيري يومها ، وكنت أرى في المرحوم صالح عشماوي ، ورئيس تحرير مجلة النذير ثم الدعوة من بعد ، صورة قريبة من البنا ولن لم يوهب بلاغته وانطلاقه وحكمته ، فقد كان التفاني مجسماً ، والاخلاص بشراً يتحرك على الأرض .

على أن شاباً في مثل سني ، لم يكن يومها يساق بما يعرف فحسب ، لأن ما يعرفه لا شيء في الحقيقة . وانما يستجيب أيضاً لنبض القلب ، وأمور القلب لا تخضع دواماً لحكم العقل ، ومن ثم

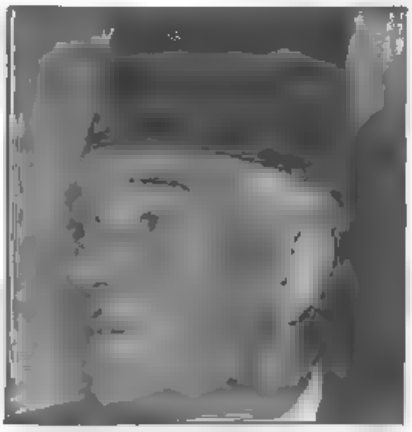

ابراهيم عبد الهادى

أحمد ماهر

لم أكن ، على بساطة تجربتي وتفاهتها راضياً عن مواقف عدد من كبار الاخوان

اثنان نفر منهما قلبي

رأيت أحمد السكرى وكيل الاخوان ، ورئيس تحرير الجريدة اليومية فلم ترتح نفسي إليه ، دون تعاس معه ، وقد كتب يومها في صدر الصحيفة أنه استقال من وظيفته ليتفرغ لشئون الدعوة ، ويعطيها والصحيفة كل وقته . وكان ذلك صحيحاً في جانب منه ، أما الجانب الآخر فهو أنه ترك وظيفة في الدرجة السابعة ، ومرتبها يومها لا يعدو عشرة جنيهات ، وأخذ راتباً في صحيفة الاخوان يبلغ مئة وخمسين جنيها ، وهو الراتب الذى كانت تدفعه كبريات الصحف يومها لرؤساء تحريرها . وهم موظفون مهنيون ، لا يزعمون أنهم أصحاب دعوة ولا متفرغين لها ، وساعتها أحسست أن في الأمر خداعاً لآلاف البسطاء من الاخوان الذين أسهموا في جريدة مبدأ ، ليس غايتها الربح ، وواقعاً لن تربح شيئاً ، وإنما أرادوها سلاحاً في النضال من أجل ما يؤمنون به ، وتمنيت يومه لو اكتفى بما يعينه على مواجهة متطلب العيش ، خصوصاً وأن الحياة كانت سهلة ميسرة ، وأن راتب وظيفة التي تركها كان بسيطاً ومحدوداً .

كذلك نفر قلبي من « أ . ع » بعد لقائين ، اذ رأيت فيه عجباً وتصنعاً لا يتفقان مع خلق المؤمن القوى ، ثم خبرته مدرساً في معهد القاهرة لا يلتزم بوقت الدرس ، واذا التزم به لا يقوم بمهمته مدرساً ، وانه يحدثنا عن أمجاده ، في قيادة المظاهرات الأزهرية لاسقاط الشيخ الظواهرى ، والمناداة بالامام المراغى شيخاً للأزهر ، وأشياء أخرى من لغو الحياة وباطلها . وأسفت أن يكون مثله عضوا بارزاً في جماعة الاخوان المسلمين

تدخل بريطانى سافر

كان الاخوان المسلمون في السنوات التالية لانهاء الحرب يمثلون قوة رهيبة وثقلا سياسياً ملحوظاً في الشارع المصرى ، ولا يمكن تجاهله ، ويدفعون الجماهير ويقودونها ، للمطالبة باجلاء الانجليز . ولعبوا دوراً قتالياً بارزاً ، وبالغ الأهمية ، في حرب فلسطين الأولى ، قبل أن تدخلها الجيوش النظامية في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ . وفي نوفمبر من العام نفسه ، عقد قناصل انجلترا وفرنسا وأمريكا اجتماعاً في قهوة فايد ، وكانت تحتلها القوات البريطانية الى جانب ضفتى قناة السويس على امتدادها . وكلفوا السفير البريطاني أن يطلب من النقراشي باشا رئيس وزراء مصر اصدار قرار بحل جماعة الاخوان المسلمين ، واعتبر حزب الوفد [illegible] الدكتاتورية السياسية للقائد العام للقوات البريطانية في مصر والشرق الأوسط ومقره فيلا [illegible] الخابرات التابعة للقوات البريطانية في مصر وشرقى البحر الأبيض بموسم [illegible] لاجتماع . والنتيجة التي انتهى إليها . وأن السفارة البريطانية في القاهرة سوف تتخذ الاجراءات اللازمة لحل جمعية الاخوان المسلمين .

وجاء الرد سريعا ، بعد أسبوعين تقريباً من هذا الاجتماع ، ففي ٨ ديسمبر ١٩٤٨ أصدر النقراشي باشا بوصفه حاكماً عسكرياً عاماً أمراً بحل جماعة الاخوان المسلمين ، ومصادرة شعبها وممتلكاتها ، وكل مؤسساتها وأموالها ، وتعطيل صحفها ، واعتقال الألوف من أعضائها

وحاول حسن البنا أن يلتقى مع رئيس الوزراء على حل ، فلم يكن راغباً في المواجهة ، ومع ان قوة الاخوان المسلمين وما أفادوه من تجارب قتالية في حرب فلسطين يجعل منهم قوة قادرة على مواجهة الحكومة ، والانتصار عليها ، الا أن الرجل كان يعرف ويعى جيداً ، أن أكثر من مئة ألف جندى بريطاني يعسكرون في منطقة القناة ، في انتظار الفرصة المواتية ، ومتأهبين لاحتلال مصر من جديد ، وبذلك يئدون النهضة الوليدة في فجرها .

لم يرد المأساة أحمد عرابى أن تتكرر ثانية ! غير أن النقراشي كان حريصاً على أن يظل في الحكم ، وبقاؤه فيه مرتبط برضى فاروق والانجليز عنه ، فركب رأسه . وأصم أذنيه عن أية وساطة أو محاولة إيجاد حل ، وفي ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ ، أى بعد عشرين يوماً من قرار الحل ، أطلق طالب في كلية الطب البيطرى الرصاص عليه ، أثناء دخوله وزارة الداخلية ، بعد أن تخفى الطالب في زى ضابط شرطة فأرداه قتيلا

حادثة ١٢ فبراير ١٩٤٤

وجاء ابراهيم عبد الهادى ضعيفاً خانعاً ، مضطرباً حريصاً على الحياة ، وأصبح رئيساً للوزراء بعد أن كان رئيساً للديوان الملكى ، وأغرق مصر في موجة من الاعتقالات والمحاكمات العسكرية ، بلا تحقيق ولا تثبت ، وعرفت مصر لأول مرة في تاريخها الحديث تعذيب المعتقلين على نحو بشع ، وهناك أكثر من جهة يهمها أن تتخلص من المرشد العام للاخوان المسلمين ، وعلى رأسهم فاروق ، ولم ينس أن مصر دفعت بقوتين في حرب فلسطين ، الجيش المصرى ويتلقى أوامره من فاروق الذى كان قائده الأعلى ، وكتائب الاخوان المسلمين وتتلقى أوامرها من حسن البنا ، وانهم أرقى تدريباً ، وأحسن تسليحاً ، وأشد فعالية وقابلية للتضحية والفداء ، وأنها لم تهزم في معركة ، فهبات يخشاهم من قلبه ، ومعه الانجليز ، والصهيونية نفسها بعد أن خبرت قبابهم في القتال ، فتجمعوا كلهم ، ودفعوا بحكومة ابراهيم عبد الهادى نفسها لاغتيال حسن البنا في يوم ١٢ فبراير من عام ١٩٤٩ ، في الساعة الثامنة مساء ، ومع أنه تمالك نفسه ، ونزل من سيارة الأجرة التي كان يستقلها ، واتجه الى هاتف جمعية الشبان المسلمين حيث كان هناك ، وأدار رقمين من مكالمة حاول أن يطلبها قبل أن يغمى عليه ، الا أنه نقل الى مبنى الاسعاف على بعد دقائق ، ثم الى قصر العينى ، وهناك أجهزوا عليه تماماً

رحمه الله

في صبيحة اليوم التالى كنت أقف في نافذة البيت الذى أسكنه في ميدان السيدة عائشة ، وبه يمر الطريق الى مقابر الامام الشافعى ، فرأيت سيارة الموتى ، تطوقها قوات ضخمة من الشرطة مدججة بالسلاح ، وتتبعها عربات مصفحة تنطلق بسرعة ، لا أحد أمامها غير العسكريين ، ولا معها ولا وراءها ، ولم يخالجنى أدنى شك في أنها تحمل جثمان الشهيد

ولم أبك ، فقد جف الدمع في عينى ، وتوزعتنى هموم غامرة ، عما سوف يتنهى اليه وطنى في مستقبله القريب والبعيد ، ثم قرأت على روحه الفاتحة !

الطاهر أحمد مكى

المكان

شعر: حلمي سالم

في الميدان المشجوج لحته
كان هو الهائم نفسه .
كان هو الناحل نفسه
فندهته .
انخرط بعتمة درب
كنت شبكت على شجرته أسمائي ،
وشبكته .
انخرط على غبشته
فتبعته
اصطدمت رئتانا
فعرفته
كان الشج عميقاً بين عينين

• • •

حين انحرف على صدري
ليقول . اذهب لترى الكون يفيض على شباك الأكوان
بتثار غموض الياقوت
لم يكن يعرف أن دمائي في رؤياي .
أن ثقوب حياتي حدقات تبصر لتموت .
والمشهد : جسمان بجثمان .

• • •

ليت المكان كان رقعةً ، ولا زمان
ليت المكان كان جغرافيا ، بلا ضلوع .
ليت المكان كان دميةً
بلا تواريخ لانجراح وردة تضوع .
ليت المكان كان لا مكان

حين انحرف على صدري
كان يرى الكون اتكأ على أهدابي
كان يرى الأمكنة ، الأمكنة وقد صارت سكينا
في جلبابي .
صرخ : الأمكنة استشرت في شريان قتيلي .
وأنا من تحت الأبنية همست :
الأمكنة منيهاتي ،
والطرقات سعاي .

• • •

في الميدان المنحني عن جسمي
أبصرته
كان يعبئ ميداني في جمجمته
كان يرتب أوردة صباه على قلبي
فعرفته :
كان زماني المغدورَ وقد صار مكانا .

• • •

وعلى العتمة رئتان
ونزيف حي
لدم مفتضح
ينحدر على الجدران
إلى أعلى

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالا مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية جيدة من الصحف العربية القديمة

- في ملعب الحكمة شخصية طريفة
- مسلمو السودان في القرن العاشر الهجري

في ملعب الكرة

بقلم: الدكتور محمد عوض محمد

... وفي ذلك اليوم ذهبت بصديقي إلى ملعب الكرة. لم أذهب به إلى دور العلم أو إلى حلقات الأدب، حيث ينصت إلى لجاج العلماء، وحوار الأدباء، فلقد طعم من هذا الغذاء الدسم الشهر كله: وشهد المعركة الطاحنة بين اللائحة والشرعة، وبين الأريكة والسرير، وبين الفنون الرفيعة والغليظة، وبين الفتوة والمروءة، وبين الكوفة والبصرة، وبين المستشرقين والمستغربين ...

• • •

انتزعتك يا صديقي من بين هذا كله. فلعمري لقد آن لك أن تمسح عن جبينك المجهد المعنى عرق النحو والصرف والفقه، وأن تزيل عن عينيك ما علق بهما من قذى البحث العميق، عن اللفظ الدقيق والمعنى الأنيق. ذلك البحث الذي طالما أضناك وأدواك؛ ثم عدت منه صفر اليدين، أو رجعت بشيء زهيد لا يطفئ غلة، ولا يغني من جوع.

فتعال اليوم نتبوأ هذا المقعد العالي، ونشرف منه على هذا الميدان الفسيح، كما يشرف النسر من ذروة الطود. ولنرقب ما يجري بين أيدينا من الحوادث الجسام... أرأك تبتسم ابتسامة الشك أو الانكار. كأنما تظن أن ما يجري هنا ليس إلا ضربا من العبث أو اللهو؛ فلا وأبيك لن تبرح حتى تشهد في هذا الملعب من دروس الحكمة ومن عبر الحياة، ومن المعاني البديعة العميقة، ما لم تجده بعد في الكثير من أسفار أصحابك الخالدين ...

وها هم أولاء اللاعبون قد أقبلوا، فدوى رعد الهتاف والتصفيق، وأرأيت هذه الأجسام الفتية التي أنعمت صحة وقوة، والتي لا تكاد تستقر في مكان مما بها من نشاط ومرح، ولكنها قد تثبت في موقفها حينا فكأنها الجبال الرواسي. ثم تنقض على الأثر كأنها صخور تهوي من قمة طود؛ أو تندفع طائرة كما تندفع السهام عن القسي. وهي بعد هذا كله لا تشكو كلالا ولا ملالا، كأنما يتفجر نشاطها من ينبوع لا يغيض. إن هذه السيقان التي تراها تحمل تلك الاجسام، ما نمت هذا النمو ولا اكتسبت تلك القوى في يوم أو بعض يوم. بل هي ثمار المران الطويل شهورا وسنين. وليس من هؤلاء

في ملعب الكرة

الفتيان من لم يأخذ نفسه بأنواع من الجد والتأدب وبالحرمان من ضروب اللهو والعبث ، كي يبلغ هذه المرتبة العالية من القوة ومن الرشاقة ، ومن جمال الفتوة ، والرجولة الصحيحة .

حدثني بالله ! ألا ترى في النظر إلى هذه الأجسام القوية الفتية متعة للنفس وللحس ، بعد الذي شاهدته من تلك الأجساد المترهلة ومن تلك البطون الناتئة ، واللبات المترامية على الصدور ، والأفئدة المطوية في ثنايا عديدة ، مديدة والسيقان الغلاظ التي لا تستطيع المشي ميلا أو بعض ميل . ألا أن عيوننا لتتقذى برؤية هؤلاء الأسوياء كله . فليتم طرفنا اليوم بمنظر الصحة الدافقة والقوة الباهرة . بعد هذا فلتضف فصلا جديدا إلى كتاب الفتوة . فصلا تبنيه على المشاهدة والعيان لا على الأخبار والأقوال . .

ان الرياضة قد أدبت هؤلاء الفتيان فأحسنت تأديبهم ... أنظر اليهم كيف تركوا ضيوفهم يستقبلونهم إلى الملعب . وفي إثرهم ينزل أصحابه الدار على مهل ، كأنما يمشون على استحياء وهم على هذا كله خصوم ، ستدور بينهم معركة لا هوادة فيها ولا بين . ولا محاباة فيها ولا مداراة : معركة سيبوء فيها الضعيف بالخزي والخسران ، ويرقى للنصر بالمنتصرين إلى أعلى مراتب السمو .

هذه المعركة هي بيت القصيد . وأن في صورها العديدة ما ينشرح له الصدور وتطمئن القلوب فها هنا معركة تنشب بين فريقين قد تكافآ في العدة ، وتماثلا في العدد . فلن يكون الفوز فيها إلا للجد والجلد ، للبراعة والأقدام ... ونحن في عالم طالما نشهد فيه تألب الأقوياء على الضعفاء ، وطغيان جيوش الظلم على جنود الحق . واستبداد الكثرة الغاشمة التي تزهى بعددها وعديدها . ويحلو لها أن تمعن في الجور وتسرف في العدوان فما أسعدنا اليوم إذ نتناسى ذكر هؤلاء حينا ، لكي تنعم أبصارنا بشهود معركة نظيفة بريئة بين أكفاء وأنداد .

أجل ، وأنك لتهتز طربا إذ ترى هذه المعركة تدور رحاها بين يديك في وضح النهار معركة ليس فيها خفاء ولا لبس . الميدان كله أمام أعيننا — من أدناه إلى أقصاه — نتأمل كل ما يجري فيه ولا يخفى علينا من أمره شيء ... فلنتس الآن — ونحن ننظر إلى هذه الحرب الطاهرة — تلك المعارك الغريبة المريبة ، التي تدبر في الخفاء وتنمو في الظلام وتنصب فيها الحبائل ، ويشتد فيها الكيد ، ويتناسى فيها الشرف ، وتحنث فيها الايمان ، وتخان فيها العهود . والتي لا يحلو فيها الطعن إلا من غرة ، ولا يتحرب فيها إلا بأسنحة الجبن .. هذه — ويا للاسف ! — معارك قد امتلأت بها حياة الناس فلنستعن على نسيانها الساعة بهذه المعركة النبيلة ، التي بين أيدينا ، والتي تبدأ جهاراً ، وتجري جهاراً ، وتنتهي جهاراً ... وعلى كل لاعب رقباء من هذه الآلاف المؤلفة ، التي احتشدت اليوم لكي ترقب حركات كل لاعب وسكناته . والويل لمن يحيد عن الصواب لمحة العين ، فيستثير من آلاف الأفواه صيحات الانكار والاستهجان .

أجل وإن لهذه الحرب الضروس لقواعد وشروطا قد نصت عليها قوانين مقدسة الرعاية ومن مرت في نعم [illegible] وفي شدته وضرمه وفي قوة وحزم ، كما يشتد هذا بقانون الذي ليس [illegible] تصويفه ولا (تأجيل) . بين سرعان ما يقضي لأنه جهراء اثمه ، فيبرز [illegible] عن مذنبه وهذا بحكم غريزة [illegible] يحسن الصعيرة والكبيرة ولا يعرف [illegible] المداراة .. فإذا كنت — يا صديقي — قد تعلمت وأحزنك أن رأيت العدل يصرع والقانون يداس بالنعال في مشارق الأرض ومغاربها ، فلتسر بهموم عن نفسك برؤية هذا الحكم العدل ، الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم ، والذي يرى القوي المدل بقوته ضعيفا عاجزاً ، حتى يقتص منه ويرده إلى جادة الصواب

والآن ، ألست تراك شديد الاعجاب بما تراه الساعة في الفريقين من عزمة وثبات ودأب لبلوغ لغاية ، ومضى ما وطنوا النفس عليه . فلقد يخطئون الهدف المرة بعد المرة . من بعد ما أجهدوا قواهم سعيا وطلب ولكنهم يعودون بعد الاخفاق إلى السعي والعدو ، لا تثنيهم العقبات إلا ريثما يتأهبون لاجتيازها . ولا يرتدون لحظة الا ليأخذوا العدة للتقدم . وكأنما لا يعرفون طعم اليأس ، ولا يؤثر فيهم الاخفاق . فهم أبدا كموج البحر لا يتراجع إلا مندفع ، ولا يضعف إلا ليشتد .

وها قد انقضت الساعتان كأنهما لحظتان . فلم وسعك الآن أن ترجع إلى أسفارك وأخبارك ، ونحوك وصرفك . وأحسبك الآن قد آمنت أن هذا الميدان البريء لا يخلو من الحكمة والموعظة الحسنة أجل وأنك لتحدثك نفسك الساعة بمثل الذي تحدثني به نفسي ليت لعب الحياة كان جدا ، وياليت جدها كان لعبا !

محمد عوض محمد

١٩٣٤

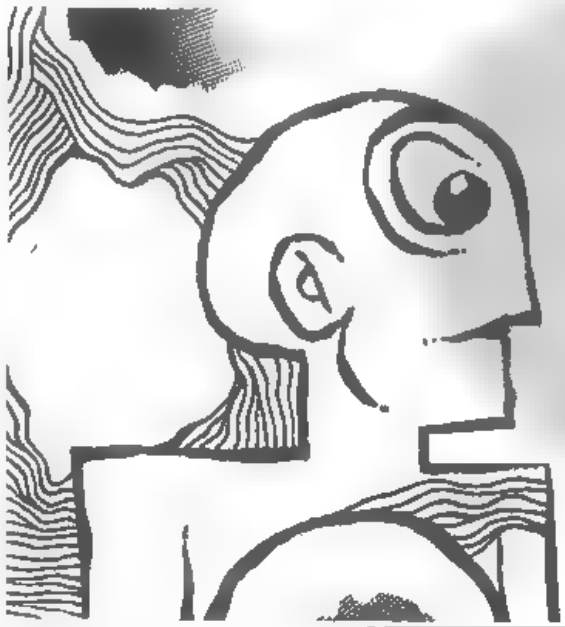

شخصية أدبيّة طريفة

أحمد أبو الفرج الدمنهوري

الضّاحك المضحك

بقلم: أحمد تيمور

أحمد تيمور باشا ١٨٧١ ــ ١٩٣٠ عالم وأديب من أعظم علماء العرب وأدبائهم في الجيل الماضي وهو والد الكاتبين المعروفين محمود تيمور ومحمد تيمور وهذا الفصل الطريف تم نشره بعد وفاته.

أحمد أبو الفرج الدمنهوري الشاعر الأديب، ظريف الجملة والتفصيل، حلو النادرة والفكاهة. انجذبت إليه النفوس وألفته القلوب على دمامته وغرابة شكله. ولد بدمنهور ونشأ بها في ضنك وحرقة حال، ولم يكن مشتغلاً بالأدب في أول أمره، ثم لازم الشيخ محمداً الوكيل القباني أحد أدباء دمنهور المشهورين وعليه تخرج في النظم، وصحب أيضاً الشيخ حميده الدفراوي، وهو أديب لكنه لا يبلغ درجة الوكيل، ولم يحضر المترجم العلم على شيخ، بل كان يلازم مجلس الوكيل ولا يفارقه ليلا ولا نهاراً فيكتب عنه كل ما يسمعه من شعر ونثر ونادرة ثم يستظهره. أخبرني ثقة أنه اجتمع بدمنهور حوالي سنة ١٢٨٥ فرآه شاباً نيف على العشرين مخفوض الجانب كثير التواضع لا يستنكف من خدمة الوكيل المذكور وحمل المصباح أمامه إذا سار ليلاً.

ثم نظر المترجم في كتب الأدب ودواوين الفحول وبدأ ينظم الشعر فكان يعبث بالبيت والبيتين، ثم نظم بعد ذلك القصائد والمقطعات، إلا أنه كان قليل الاجادة كثير الخطأ واللحن، يتكلف التجنيس والتورية، وأحسن شعره ما نظمه في المجون وضمنه ألفاظ العيارين والشطار. وكان حضوره إلى القاهرة صحبة الوكيل، فأوصله إلى السيد عبد الخالق بن وفا شيخ السادات الوفائية فأعجب بظرفه ومجونه، وكان ينزل عنده كلما حضر إلى القاهرة، وهي إذ ذاك غاصة بالأدباء وفي الناس بقية، فكانوا يهشون له ويتهادونه إذا حضر، ويراسلونه إذا غاب، فحسنت حاله قليلاً بما كان يناله من هباتهم. ثم اتصل بشاهين باشا كنج في طنطا لما كان مقتشاً على الأقاليم سنة ١٢٩٣ فانتظم في حلبة ندمائه، واختص به وواساه وجعله طرفة مجلسه، وجمع له من أغنياء البلاد مبلغاً وافراً اشترى به عقاراً ورمم داره بدمنهور، واجتمع عند شاهين باشا بعبد الله أفندي نديم الشهير وغيره من خاصة أهل الفضل والأدب، ثم نقل شاهين باشا إلى منصب آخر بالقاهرة فصار المترجم يتردد عليه ويقيم عنده الأيام والأشهر يجتمع في أثنائها بغيره من الكبراء وذوي الوجاهة فيهدى إليهم مدائحه ويتحفهم بطرائفه.

وكان على قلة إجادته في شعره مفتوناً به مبالغاً في تقريظه وقت انشاده، يمزج ذلك باشارات وحركات تستظرف منه، ولا يكاد يقر لأحد بالتقدم عليه في النظم، ولعمري لا أرى عبارة تفي بوصفه ووصف حركاته عند الانشاد وقيامه وقعوده والتفاته واستدعائه الحاضرين إلى استماعه، فانه كان إذا أراد إنشاد قصيدة من نظمه بدأ أولاً بتقريظها وتنبيه الحاضرين إلى مواضع الاجادة منها، فاذا ألقوا إليه بسمعهم أنشد المطلع وسكت هنيهة كالمأخوذ من جودته، ثم التفت يمنة ويسرة مستطلعاً خيبة رأيهم فيه، واستحلقهم بالله وبأنبيائه هل طرق آذانهم مثله في عصرهم، وهل تهيأ لشاعر قبله ما تهيأ له فيه من رشاقة لمبنى وغرابة المعنى وتناسب الشطرين، ثم يمضي في

شخصية أدبية طريفة

أحمد أبو الفرج الدمنهوري

الضاحك المضحك

البيتين والثلاثة ويعود إلى الصمت والتفكر ، ويقول سبحان المانح ! كم ترك الأول للآخر ! وأمثال هذه الجمل التي اشتهرت عنه وصارت من لوازمه ، ثم يمضي في الانشاد ، فاذا مر بتجنيس أو توربة وثب من موضعه وتمايل طرباً ، ثم نظر للحاضرين وقال لهم اسمعوا من الفتى العربي اللعوب ، تف على المتنبي وسحقاً له ، أين له السلاسة والسهولة ؟ وهكذا حتى يتم القصيدة ، فان رأى من الحاضرين استحساناً تمادى في غلوائه وأعجب وأطرب ، وربما عارضه بعض من يحضره استجلاباً لطرائفه واستئناساً بمحاورته ، فتصدر عنه النوادر ومحاسن الأجوبة الحاضرة . يلغني أنه حضر مرة مجلساً جمع لفيفاً من أهل الأدب فأنشدهم قصيدة من نظمه وبالغ في استحسانها كعادته . وأخذ يستطلع طلع آرائهم فيها ، فاستشار له صديقنا العالم الفاضل ، والشاعر المجيد ، الشيخ عبد الرحمن قراعة مداعباً ، وقال له أخطأت في بيت منها فأدخلت حرفاً على حرف وهو مما لا يجوزه النحاة ، فاما أن تسقطها أو تأتينا بشاهد على صحة قولك ، ووافقه الحاضرون ومالوا معه على المترجم ، فنكس رأسه هنيهة ، ثم نظر إليهم كالمتعجب وقال باليت قومي يعلمون !

وكان كثير الاجتماع بشيخ أدباء العصر الشيخ أحمد أبي البقاء الزرقاني ، فلا يخليه مرة من شعر له ينشده إياه ، ويعرض للشيخ ما يشغله عن الاستماع فيستلفته ويكثر من الالحاح عليه بترك ما هو فيه والاصاخة إليه ويضايقه بذلك مضايقة شديدة ، ولكن لا يكاد الشيخ يعرض عنه حتى تصدر منه نادرة ينقلب لها المجلس ضحكاً ، فكان يقول فيه إن أبا الفرج عندي مشكلة من المشاكل لا أدري أهو ثقيل أم ظريف .

وكان أول اجتماعي به في مجلس أحد الأعيان وأنا شاب يافع متعلق بالأدب وأهله ، ولم أكن لقيته من قبل ، بل كنت أسمع به وأشتاق رؤيته فرأيت عجباً . رأيت شيخاً قصير ضيم الوجه قد ذهبت احدى عينيه ، عليه جبة واسعة الأكمام وهو جالس في زاوية من المكان يملي على شخص حسن الخط دالية من الطويل منصوبة الروى جعلها تهنئة للخديو محمد توفيق باشا بقدومه من الاسكندرية ، فكان منه من الوقوف عند كل بيت والاعجاب به على ما تقدم ذكره للالتفات إليه ، ثم مر ببيت قافيته لفظة (ومعضداً) فوثب من مكانه ونبه الحاضرين إلى أنها توربة باسم الخليفة المتعضد بالله فلم يوافقوه ، فأعرض عنهم وأقبل على الكاتب يشرح له حسن هذه التوربة وأنها لم تتهيأ له إلا بعد إعمال الفكر والروية حتى اضجره ورمى الدرج من يده ، فغلبني الضحك واستطرفته وقصدت محادثته ، فقلت لعل سيدي الأستاذ عارض بهذه القصيدة قصيدة أبي الطيب التي يقول في مطلعها

لكل امرئ من دهره ماتعودا
وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

فصكك ثم نظر لي شزرا وهو يوجه [illegible] تف على المتنبي ، فاستغربت في الضحك وسألت عنه بعض الحاضرين فخبرني به فكدت أطير سروراً بلقائه ، فأفضت عليه أطراف القصيد وذكر مواضع الاجادة فيها واستعدته منه فأبرقت أسرته [illegible] ، فسعى بعض بقصائد من شعره فقلت له : أما كان الأولى بهذه الطائي أن ينظم في سعد ؟ فقال : لعل سيدي إلى مهتم بذلك وسيكون ديواناً مرقصاً . وامتد بنا المجلس فرأيت منه ما لو أردت إثباته برمته لطال بنا المقال . ثم فارقته وأنا أشوق الناس إليه ، وكأني به أحد أبناء النجم الذين ذكرهم الثعالبي في اليتيمة وأورد فصولاً للصاحب بن عباد في وصفهم .

ومن غريب أمر المترجم أنه كان يستملح منه ما يستثقل من غيره ، فقد رووا عن بشار أنه كان يصفر ويصفق ويتفل عند إنشاده وعن البحتري أنه كان يتقدم ويتأخر ويتلفت إعجاباً بشعره ، وقد عيبا بذلك وعد من سقطاتهما التي نعاها عليهما الناعون بخلاف المترجم .

ومن غرائبه أنه كان معجباً بكنيته وكثيراً ما كان يتدرج بها إلى الانتساب لمن تكنى بها من الفضلاء المتقدمين كأبي الفرج ابن الجوزي وأبي الفرج الاصبهاني صاحب الأغاني وغيرهما ، فلا يدع أحداً من المتكنين بها إلا وينتسب إليه ، تارة لهذا وتارة لذاك ، ثم ارتقى درجة فادعى الشرف ولاث على رأسه عمامة خضراء ، ووسع أكمامه وسعى حتى جعلوه نقيباً للأشراف بدمنهور . حدثني صاحبنا الأديب الفاضل محمد شكري أفندي المكي قال : لقيته مرة وكنت علمت بأمر تلك النسب وأردت مداعبته فقلت : يا أبا الفرج إن كنيتك تنبيء عن شرف عظيم فلعلك من نسل أبي الفرج بن الجوزي ، فقال نعم ياسيدي صدقت وأصبت فراستك ، ثم لقيته بعد ذلك بأيام وقد نسي ما دار بيننا فأعدت عليه الحديث وقلت له إجادتك في الشعر مع هذه الكنية تدلني على أنك من نسل أبي الفرج البيغاء ، فقال أي نعم وهو الواقع أ هـ . ولا خلاف في أنه كان يعلم قصد محدثه في أمر نسبه ، إلا أنه كان يخرجه مخرج الجد حتى مع أخص الناس به ويغضب ممن ينكر عليه فتستظرف منه .

وأدعى مرة أنه نال نصيباً وافراً من اللغة بحيث أصبحت لا يشذ عنه شيء من مفرداتها ، وتمادى في هذه الدعوى وتبجح بها في المجالس ، وتصدر للأجابة عن كل سؤال فيها يطرح عليه فتوالت عليه الأسئلة وهو يجيب عليها خابط خبط عشواء لا يبالي بمن يحتج عليه بكتب اللغة . وصار الأدباء من أصحابه يرتجلون له الفاظاً يسألونه عنها فيخترع لها معاني يجيب بها ، وربما أحال تحرص على كتب لغوية يعينها . ونظم له بعضهم بيتاً كبيت الخنفشار وسأله عن معناه في جمع كبير من الأدباء وهو :

وبخرنق الأثيال عاثت فالتثت
وركاءه تعترض الأكام بشيظم

فقال نعم ! هذا بيت لعنترة ، ذكره له صاحب الأغاني وهو يصف به حمامة ، والخرنق شيء يشبه نسج العنكبوت وليس به ، يكون بين أغصان الأشجار ، فيقول إن هذه الحمامة عاثت بين الأثيال ، أي الأشجار الكبيرة فالتثت قدماها بالخرنق أي اشتبكت به ، وأما الشظم ، وأراد أن يفسره فقطعته أصوات الضحك من جوانب المجلس .

وبالجملة فقد كان خفيف الروح محبباً إلى القلوب أديباً ظريفاً حاضر الجواب حلو النادرة ، وكانت وفاته فجأة بدمنهور في ثاني ليلة من شهر ربيع الثاني سنة ١٣١٠ بعد أن صلى العشاء ، وكان آخر قوله انا لله وإنا اليه راجعون ، فشق نعيه على من عرفه وشيع جنازته الألوف تغمده الله برحمته

١٩٣٤

مسلمو السودان الغربي

يحاولون كشف أمريكا في أوائل القرن الثامن الهجري

بقلم: الدكتور عبد الوهاب عزام

عثر كريستوفر كلمب على أمريكا على غير قصدٍ إليها ، بل كان يرجو أن يبلغ الهند من الغرب فأتيح له هذا الكشف العظيم .

وقد حاول مسلمو السودان الغربي في أوائل القرن الثامن الهجري أن يبلغوا الشاطئ الغربي من المحيط الاطلنطي (بحر الظلمات) برأي أسد من رأي كلمب ، وفكرة أصح من فكرته . قبل كشف أمريكا بنحو قرنين .

كانت عظمى ممالك المسلمين في السودان في القرنين السابع والثامن بعد الهجرة بلاد مالي ومضافاتها . وكانت تعرف في ذلك الحين باسم بلاد التكرور . والتكرور كان أحد أقاليم هذه المملكة الواسعة

وكان ملكهم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون منسا موسى ، قال في صبح الأعشى نقلاً عن العمري : وكان رجلاً صالحاً ومَلِكاً عظيماً له أخبار في العدل تؤثر عنه ، وعظمت المملكة في أيامه إلى الغاية ، وافتتح الكثير من البلاد . قال في مسالك الأبصار : حكى ابن أمير حاجب والي مصر عنه أنه فتح بسيفه أربعاً وعشرين مدينة من مدن السودان ذوات أعمال وقرى وضياع . »

وقد حج منسا موسى أيام الناصر بن قلاوون سنة أربع وعشرين وسبعمائة . قال في صبح الاعشى نقلا عن مسالك الابصار قال في لمعتمدار خرجت منتقاه من جهة السلطان فأكرمني اكراماً عظيماً بأجمل الآداب ولكنه كان لا يحدثني إلا بترجمان مع إجادته اللسان العربي قال ولما قدم قدم للخزانة السلطانية حملاً من التبر ولم يترك أميراً ولا رب وظيفة سلطانية إلا وبعث إليه بالذهب . وكنت أحاوله في طلوع القلعة للاجتماع بالسلطان حسب الأوامر السلطانية فيأبى خشية تقبيل الأرض للسلطان ويقول جئت للحج لا لغيره .

فلما صار إلى الحضرة السلطانية قيل له قبل الأرض فتوقف وأبى ظاهراً وقال كيف يجوز هذا ؟ فأسر إليه رجل كان في جانبه كلاماً ، فقال أنا أسجد لله الذي خلقني وفطرني ثم سجد . وتقدم إلى السلطان فقام له بعض القيام وأجلسه إلى جانبه وتحدثا طويلاً .

ومقصدنا من هذا الكلام في الرواية الآتية عن صبح الأعشى

« قال في مسالك الأبصار قال ابن أمير حاجب سألته عن سبب انتقال الملك إليه فقال : إن الذي قبلي كان يظن أن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز مائتي سفينة ، وشحنها بالرجال والأزواد التي تكفيهم سنتين وأمر من فيها ألا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفد أزوادهم فغابوا مدة طويلة ثم عادت منهم سفينة واحدة ، وحضر مقدمها فسأله عن أمرهم فقال سارت السفن زمناً طويلاً حتى عرض لها في البحر في وسط اللجة واد له جرية عظيمة فابتلع تلك المراكب وكنت آخر القوم فرجعت بسفينتي . فلم يصدقه فجهز ألفي سفينة ، ألفاً للرجال وألفاً للأزواد واستخلفني وسافر بنفسه ليعلم حقيقة ذلك . فكان آخر العهد به وبمن معه ولا خبر .

فما رأي المؤرخين والجغرافيين في هذه الرواية العجيبة ؟

قد قرأنا في الجرائد قبل سنة أو سنتين أن بعض الباحثين صادف في أمريكا الجنوبية قبائل تشبه أن تكون عربية مسلمة . فهل بلغ ملك السودان الغربي وأصحابه أمريكا في القرن الثامن الهجري وانقطعت الطريق بينهم وبين أفريقية فأقاموا هناك ؟ أو ماذا؟

لعل سعادة شيخ العروبة العلامة أحمد زكي باشا يدلي برأيه في هذه المعضلة

١٩٣٤

لقاء مع الشاعر مصطفى بهجت بدوي

الشاعر مصطفى بهجت بدوى

- القرآن الكريم هو معلمي الأكبر والأوحد
- أغنتني الأذن الموسيقية عن دراسة علم العروض
- قد يهون العمر إلا ساعة .. ويهون الشعر إلا شاعرا

أجرى الحوار: سعد صادق محمد

الشاعر الذى التقيت به فى هذا الحديث ، هو أحد رواد مدرسة المحافظين أو « مدرسة الإحياء » ـ كما يسمونها ـ فى الشعر العربى الحديث ، تلك المدرسة التى أعادت شعرنا العربى الى الأصالة الشعرية ، والتراث العربى الخالد فى عصوره الأولى والأخيرة .

ورغم أنه شغل عدة مناصب ثقافية وصحفية هامة ، ورئاسة تحرير مجلة الإذاعة المصرية منذ عام ١٩٥٠ وحتى الآن الا أنه مازال يواصل عطاءه الشعرى ، ويعتبر به فى درب الإبداع والجودة والأصالة ، انه الشاعر مصطفى بهجت بدوى ، وهو من مواليد الاسكندرية عام ١٩٢١ ، وهناك ايضا كان مولد شعره

وفى مكتبه بدار الاهرام طرحت عليه عدة أسئلة ، رد عليها بهذه الاجابات التى تميزت بالصدق والصراحة ... سألته

• كيف بدأت كتابة الشعر ؟

• أتراني مبالغاً إذا قلت أنه كما أن كل مولود يولد على الفطرة كما يقول رسول الله عليه السلام ، فان كل انسان يولد عادة وله خمس حواس معروفة ، أما الحاسة السادسة الكامنة ، فهى حاسة الشعر بصورة ما ، أو الشعور الانسانى الرقيق على اطلاقه ، والانفعال بكل معنى جميل لست أدرى ولكن أعتقد أن حاسة الشعر قائمة فى نفوس البشر على وجه من الوجوه سواء التقت فيما بعد مع موهبة نظمه وقرضه وانشاده أم اكتفت بتذوقه ، أو طمرتها مادیات الحياة

تلك هى اجابتى ابتداء وعلى وجه العموم ، وربما لزم ايضاحها ، أما التخصيص الذاتى ، فلقد تعجب أننى لم أتنبه بادىء الأمر لهذه الموهبة التى تكمن فى نفسى ، بل لعلى كنت استثقل فى مرحلة الدراسة الابتدائية ومعظم الدراسة الثانوية ، حصص المحفوظات وأنفر من الشعر الجاهلى وغير الجاهلى ، لكنى فى الوقت نفسه كنت مطبوعا على الأذن الموسيقية . وكنت أعزف على آلة البيانو معاهياً من سن السابعة ، وفى سن السابعة عشرة التقت الخاصتان على أمر قد قدر ، والذى فجر الطاقة الشعرية الموسيقية هو القرآن الكريم ، عندما بت أتحسس طريق الله سبحانه وأكرمنى الله ببصيرة التدين من منابعه الأصيلة ، القرآن المجيد والسنة المحمدية ، ومضيت اغترف ، فترهف مشاعرى ويتقوم لسانى ، حتى أننى بعد أن كنت ألحن وأخطىء كثيراً فى قواعد اللغة العربية وتشكيل المرفوع والمنصوب والمجرور شأن غالبية الطلاب ، أصبحت شديد اليقظة لاستقامة النحو الواضح وادراك أسبابه والحرص عليه فيما أتحدث وأكتب ، وكان المعلم الأكبر والأوحد هو « كتاب الله العزيز »

وعلى حين غرة تاقت نفسى الى نظم الشعر ، وأغنتنى الأذن الموسيقية والخامة الفطرية التى أشرت اليها عن دراسة علم العروض ، فاعلاتن فاعلاتن ، مستفعلن فاعلاتن ،

ولقد كان يمكن أن تطوى ملكة الشعر وتذوى وتذروها الرياح ولا تعدو مجرد نزوة أو مرحلة أحسبها مرت على عدد لا بأس به من الناس فى باكورة شبابهم ثم انصرفوا عنها ، أو شغلوا بغيرها بولا أننى أحدثها بأحد الحد ووجدت نفسى فيها أكثر ما أجد ، فعضضت عليها بالنواجز حتى مع كونها بدأت هواية ـ لا احترافاً ـ واخالها ما برحت كذلك

جيلى والشعر التقليدى

قلت للشاعر مصطفى بهجت بدوى
ما هو مفهوم الشعر من خلال نظرتك إليه ؟

ـ أغراض الشعر كثيرة كما عرفها العرب وغير العرب ، غزلا ووصفا ومديحا وهجاء ورثاء وحكمة ثم اتجاهات وطنية وسياسية واجتماعية .. الخ .

واذا كنت قد استهللت واستغرقت فى صباى بالغزل والنسيب والتشبيب فاحتل المساحة الأكبر من ديوانى الأول ـ وهذا أمر طبيعى وتلقائى ومعهود ـ فان الشعر السياسى والاجتماعى قد غلبا على فيما تلا ذلك ، غير أن مفهوم الشعر عندى واحد لم يتغير وهو كونه تعبيرا جميلا منغما عن مشاعر جميلة حساسة ، ونفس صافية مرهفة ، ومن أخطاء الأمثلة العربية الشائعة قولهم « أعذب الشعر أكذبه » فانني أؤمن أن « أعذب الشعر أصدقه » ، بل أن الأمر لا يقتصر فى باب صدق الشعر أو الشاعر على العذوبة ، بل يمتد الى وصوله الى نفوس المتلقين وحلوده أيضاً ، إن من يمتلك ناصية البيان والبلاغة وحسن واشراق الديباجة والصياغة الشعرية ، والمعانى الخلابة والألفاظ والتركيبات الرقيقة المنمقة المختارة ، والموهبة الربانية ، وبالقراءات والتعمق والعناية بشعره فى جهد دون تكلف وفى انسياب دون تعمل ، هو هو الشعر عندى ، لا النظام ولا الحامل ، لهاثونات ، ملونة براقة قد تلفت الأنظار ، ولكنها لا تلبث أن تطير أو « تفرفع » فتذهب سدى .

« من أى جيل أنت .. ومن هم الشعراء الذين زاملوك فى نظم الشعر واتفقوا معك فى اتجاهاتك الفكرية ؟

ـ الجيل الشعرى استهلالا هو جيل الأربعينات ، بصراحة ، أعتقد أن هذا الجيل لا هو طول الأجيال القريبة السابقة عليه ، ولا أخذ حظهم من الذيوع والانتشار الا قليلا . وقد تحضرنى أسماء اتراب تزاملنا بصورة مثل : عبد الرحمن الشرقاوى ، وعبد الرحمن الخميسى ، وكمال عبد الحليم ، ومصطفى عبد الرحمن وآخرين ـ وقد تغيب عنى أسماء ـ لا تقل اجادة ومعظمهم انصرف عن الشعر ، فى حين أن الجيل الوسط بعد شوقى وحافظ ومطران ، كان ألمع وأكثر لمعاناً كشعراء مدرسة « أبولو » وعلى محمود طه ، وابراهيم ناجى ، وصالح جودت وأحمد فتحى فضلا عن شوامخ دار العلوم واشباههم مثل : محمود غنيم ، وأحمد محرم ، ومحيمر ، والأسمر ، ومحمود حسن اسماعيل ، وعبد الغنى حسن ، والبحيرى .

« الى أى مدرسة تنتمى ، ولمن من الشعراء قرأت فى أول عهدك بالشعر وتأثرت به ؟ .

ـ أما المدرسة ، فقد اصطلح على تسميتها مدرسة « الشعر الغنائى » ، ورغم أننى لم أقدم للغناء قصيدة واحدة ، وهى أقدم وأوسع مدرسة فى الشعر العربى وألصقها بمنابعه الأصيلة وحقيقة . لا أستطيع أن أحصى عدد الشعراء القدامى والمحدثين الذين قرأت دواوينهم ـ أقول : قرأت لا حفظت ، فلقد رغبت عن حفظ الاشعار فيما ندر وألح على ، وربما يرجع ذلك الى الظروف أو العجز ـ الى كوني لست راوية أشعار ، أو حتى لا تتسرب أشعارهم الى أبياتى دون أن أدرى ، أو لضعف حافظتى لا ذاكرتى أو « لعقدة المحفوظات » المترسبة فى أعماقى منذ الدراسة الابتدائية والثانوية ، ولكن من القدامى الذين قد أكون تأثرت بهم انجاباً وتقديراً يأتى فى مقدمتهم « أبو الطيب المتنبى ، وأبو العلاء المعرى ، وأبو تمام ، والبحترى ، وبشار بن برد ، والشريف الرضى ثم من القرن الحالى « شوقى » ثم أحمد شوقى ، ثم أمير الشعراء بمعنى واحد ، أى أنه « فطى » عندى على معاصريه .. فقد يهون العمر الا ساعة ويهون الشعراء الا شاعراً .

« ما رأيك فى الشعر التقليدى الموروث ؟ .

ـ اسمح لى أن أصف هذا السؤال ومن وجهة نظرى ، بأنه أشبه باستطلاع الرأى فى الحروف الابجدية ، أو السلم الموسيقى ، أو الألوان المختلفة التى يمزج بها الرسام فرشاته . أعنى أن الشعر هو بأوزانه وريه وقوافيه ، ومعانيه طبعا ، الشعر بدأ تعبيراً فنياً له قواعد وأصول وسظل كذلك مدى الحياة حتى وإن جرى تصرف فيها وتحديث تمشى مع اطار العصر ، ولكن كما قال بعض الشعراء

الشعر صعب وطويل سلمه
لا يرتقى فيه سهل لا يصلمه
زلت به على طريق قدمه
يهوى فى بحر عميق فيغرقه

يحارب بعض الشعراء

وهنا كان لابد أن أسأل الشاعر مصطفى بهجت بدوى

« يحارب أصحاب حركة الشعر الحديث ، الشعر التقليدى ويتهمونه بالانغلاق داخل دائرة القوافى الموحدة .. فما رأيك ؟ .

ـ الحرب متبادلة ومستمرة بين دعاة الشعر الجديد أو الحر ، أو شعر التفعيلات من جانب والملتزمين بالشعر التقليدى من جانب آخر . ولو أنها هدأت نسبياً آخر الأمر ، أو قرب نهاية المطاف .

ولقد أكون بطبيعتى ضد المغالاة والتطرف ، وأنتهج الطريق الوسط ، ثم إن رأيى الذى لا يتحول هو أن الشعر مادام شعراً فهو كذلك أياً كان لونه تقليدياً أو حديثاً وبالشروط التى أوضحتها آنفاً فى اجابتى على السؤال السابق ، ان حركة التجديد فى « شكل الشعر » ليست ابنة اليوم ، بل لعل الأندلسيين العرب بدأوها بالموشحات ، ثم توالت بعد ذلك الأشكال والصور : تغيير القوافى فى القصيدة الواحدة ، تجزىء التفعيلات ، تطويع الشعر للمسرح كما فعل أحمد شوقى فى مجنون ليلى ، ومصرع كليوبترا

وفى أواخر الاربعينات من هذا القرن نشأ أو ابتدع شعر التفعيلة والتحرر من « ثقل » القوافى واضطرادها تحرراً جزئيا . ولما كان هؤلاء المجددون قد درسوا أصول الشعر وملكوا موهبته فانهم فى تقديرى لم يأتوا خرقاً بشعاً أو يقترفوا جرائم لا تغتفر ، ولقد مارسوا الشعر التقليدى وعرفوا أصوله ، ودرسوا أعلامه ورواده ومشاهيره ، لذلك جاءت قصائدهم الحرة « لوناً » بمقبولا ، ومقبولا عندى من الفن الشعرى .. صحيح أنهم تأثروا باتجاهات الشعر الانجليزى والغربى على وجه العموم فى عدم التقيد الشديد بالقوافى ، وفى استخدام الصور الرمزية ، وقيد يسمى وحدة القصيدة لا وحدة البيت الواحد التى يأخذونها على الشعر العربى التقليدى ، وهو اتهام غير صحيح على اطلاقه فالشعر العربى يعرف وحدة البيت ووحدة القصيدة على السواء ، وصحيح انهم خرجوا علينا بما تخيلوه من « الموسيقى الداخلية » فى القصيدة على حد تعبيرهم ، ولكن ظل كل ذلك احتهاداً قابلا للمناقشة لا للرفض الحاسم أو للعدم حيث يعصف النقد غير أنه مع تعاقب السنين حيث يعصفهم الليه الأجنبية فأسرفوا فى الغموض الشديد بدعوى أن ذلك قمة البلاغة الحديثة التى تواكب العصر ، وآية العمق ، وهنا ربما القصيدة العربية زلزالها وكدت تفقد مقوماتها من طول مابدلت معالمها حتى تشوهت وامسخت أو كادت ، وكان منطق التقليديين المعتدلين المتفتحين ـ لا المتقعرين ـ بسيطاً ومفحماً فى المجادلة . كانوا يقولون . اروا قصيدة واحدة من الشعر ذى الموسيقى الداخلية المزعومة والغائص فى الرموز والأساطير والمعمن فى الغموض .. أروا مجرد قصيدة واحدة من هذا اللون هزت وجدان الناس ، أو تقبلوها قبولا حسناً اذا أنشدت أو حفظوها واستشهدوا بها اذا نثرت ؟ . وكان هذا السؤال المحير والذى ظل بلا جواب شاف هو حسبهم ليقيموا على المعسكر الآخر الحجة . غير أن الذى أساء أكبر اساءة الى حركة الشعر الجديد هو أن عناصر جديدة من « الشعراء » الذين لم يكتبوا فى مرحلتهم الأولى قصيدة تقليدية كاملة واحدة ، دخلوا الى المضمار أو « الهوجة » على الأصح ، فأهوزت قصائدهم لا القوافى فحسب ، بل الأوزان أيضاً فهى فى عرف الشعر .. أى شعر « مكسورة » ـ أى أنها لا هى شعر ولا هى نثر ـ وظائفة أخرى خلطت بين أوزان مختلفة فى القصيدة بل البيت الواحد ، وذلك منتهى العجز والضحالة والخفة والجهل .. انهم دخلاء طفيليون على الشعر . منبوذون منه ، كأنهم لم يكسروا عموده فقط وانما وقع عموده على أم رأسهم حتى ولو تخيلوا أن رؤوسهم وهاماتهم مرفوعة بهذا التجديد الأعجمى « الأملس » الكارثة ، وهكذا فهم فى مجموعهم ـ باستثناء عدد قليل جداً بينهم أخص منهم صلاح

لقـــاء مع
الشـــاعر

مصطفى بهجت بدوي

عبد الصبور وعبد المعطى حجازى ، وأمل دنقل ، ونازك الملائكة — فشلوا فشلا ذريعاً ، فى حركة التجديد التى صلت الطريق ، ولعل هذا هو — أشرتم إليه فى حديثك معى — ما انتهى إليه الدكتور الطاهر مكى فى كتابه « الشعر العربى المعاصر » من أن الشعر الحر فشل بسبب افتقاده للموسيقى الصالحة ، وأن افتقاده الى النغم الموسيقى يجعله غير صالح للتأثير على الناس ، ولقد أضيف ، أن بعضاً من رواد الشعر الحر قد تراجعوا عنه وارتدوا هم بالأحرى آمنوا من جديد وعادوا الى أحضان الشعر الأصيل ، ومنهم : نازك الملائكة ، بل شملت المراجعة والتصويب عدداً من الشعراء الأوروبيين الذين كان يمثل نهجهم الحر « السائب » لقدمائهم العرب ذروة التقدم والأدب المتحضر ، ولعل فى ذلك درساً بليغاً مخجلاً لهم ، ست أدرى ماذا هم قائلون فيه ؟ .

• ما الفرق بين الشعر العامى والرجل .. وأيهما أقرب الى الشعر العربى ، وأيهما أخطر على لغتنا العربية الأصيلة ؟ .

— الرجل يمثل جانب اللغة الدارجة الموزونة الذى سار بمحاذاة الشعر العربى التقليدى أما الشعر العامى فيمثل فى نظرى « الشعر الحر الحديث » باللغة الدارجة وإن كنت أعتقد أن — قرسان — فرسان الشعر العامى — أنجح وأبلغ وأفصح من نظرائهم بصفة عامة فى الشعر الحر الحديث بالفصحى ، والنماذج التى تقرأها فيما يسمى الشعر العامى شديدة الدلالة على ذلك ، واعترف أنها تشدنى وتستهوينى مائة ضعف ما يفعل الشعر الحر بالفصحى ، وللانصاف فقد وظف هؤلاء موهبتهم فى الشعر العامى توظيفاً اجتماعياً وسياسياً وجماهيرياً راقياً ، وظاوعتهم مواهبهم وأخيلتهم وتراكيبهم ومعانيهم وكلماتهم بصورة لافتة للنظر بلاشك ، من هؤلاء الافذاذ : فؤاد قاعود وسيد حجاب وصلاح جاهين ، والابنودى ، وفؤاد حداد وغيرهم ، وقد صادفت قرائح أفكارهم ذيوعاً وأمكن تلحينها وغناؤها ، وسمعت بصدد الزجل والشعر العامى فلا يفوتنى أن أضع فى صدارة ناظمى المعاصرين شاعراً اعتبره عبقرياً فريداً فى فئة خصوصية هو أحمد فؤاد نجم وخاصة فى مقطوعاته الاجتماعية والسياسية وهو — بحق — خليفة بيرم التونسى ذلك الذى قال عنه أمير الشعراء أحمد شوقى قولته المشهورة (انى لا أخاف على الشعر العربى قدر تخوفى من « براعة » زجال بيرم التونسى) ، بيد أن هذه الشهادة على أهميتها لم تشكل آنذاك خطراً على لغتنا العربية الأصيلة ، كما لا تهدد الأشعار العامية الجيدة الآن لغتنا العربية الجميلة ، فنحن نتحدث — غالباً — بالعامية فيما بيننا ، وحين نكتب أو نخطب نلتزم بالفصحى ، فلا خوف اذن ولا خطر ، وانما هو تعايش سلمى بينهما ، انضمان كل الضمان والحفاظ الأخلد للفصحى باق أبد الدهر ، ما بقى الذكر الحكيم ، والقرآن الكريم (وانا له لحافظون) ، ثم إن لكل شعب من الشعوب العربية لهجته الخاصة ، ولا مانع ، وانما الذى يجمع بين تلك الشعوب العربية هو الفصحى التى لن تضمحل ولن تنقرض مادمنا نتمسك بها ونحرص عليها وأحسبنا متيقظين لذلك .. أرجو

هذه هى دواوينى

والشاعر مصطفى بهجت بدوى فى انتاجه الغزير المتميز ، ينتقى قصائده بعناية فائقة ولايقدمها إلا من خلال إحساس صادق ومشاعر فياضة ولهذا كان لابد أن أسأله

• كم صدر لك من دواوين شعر ؟ .

— فى سنة ١٩٤٧ — أى فى مطلع الصبا — أصدرت ديوانى الأول « وجدان حائر » وهو من الشعر التقليدى مائة فى المائة ، ثم فى مارس سنة ١٩٥٦ تأثرت بموجة شعر التفعيلات ، ووقر فى ظنى أنه أفضل وأطوع وأوفق فى الشعر لساسى يسوسه — فكتبت قصيدة طويلة أو « ملحمة » كانت بأكورة نظمى — وانظم — الذى أقترفه بالفصحى بالعربية (وان ضاع هباء الأسف) وسميتها ، فى بحور فلسفية ، وختمتها بتوريط رقم قياسى بعشرة آلاف بيت ، ثم صدرتها طبعة ثانية فى سوريا بعد شهور ، ثم فى القاهرة عام ١٩٦٧ . ولقد حمى الغبار بعدا ديوان احتفاظه بالحيوية ، وأجمعوا على أن ابيانه من الشعر التقليدى المتطور فضلا عن كونى فى مواضع عديدة منها ، وخلال استرسالى على مستفعلن الأساسية تطول أو تقصر ، تلتزم بعدد متماثل ، أو تختلف والقافية قائمة منغمة ، وإن تنوعت من حين لحين ، كنت أعود خلال استطرادى الى القصيدة الكاملة التقليدية بكل مواصفاتها المنتظمة لمعروفة فى سبعة أبيات متعاقبة أو أقل أو أكثر ، وراقت لى هذه الطريقة فى قرض الشعر السياسى ، فكررتها بعد قرابة عامين فى أعقاب تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى ، ثم وفاة أخى المرحوم الدكتور حلمى بهجت بدوى — حيث أصدرت ديوانى الثالث « القناة والمعركة وأخى » فى يوليو ١٩٥٨ بعدها وفى عام ١٩٦٣ جمعت قصائدى التقليدية التى كتبتها ونشرتها عبر الفترة من سنة ١٩٤٨ حتى سنة ١٩٦٣ واصدرتها فى ديوانى الرابع « عندما توحى الليالى » وتلت ذلك فترة طويلة ، جفانى فيها الشعر وجفوته ، حتى كدت استسلم لخلفة أن الالهام الشعرى قد رحل عنى بغير رجعة ، لا مجرد أننى شغلت عنه ولا أخفى عنك أن هذا « العقم » أرقنى وعذبنى طويلا حتى كان ذات يوم وأنا فى مدينة ليننجراد سنة ١٩٧٢ وأحمل فى صدرى هموماً ثقيلة جداً خلفتها هزيمة يونيه ١٩٦٧ ومزقتنى تمزيقا متلفا بعض تلك المنكودة فى نفوس شعوبنا العربية فجأة جاشت مشاعرى حيث كنت أجهش بالبكاء على حالنا ووجدتنى أرتجل على البديهة خمسة أبيات من الشعر تحنانا وشوقا ونداء لمصر وللنصر . الله ؟ .. اذ ما فتئت الشاعرية كامنة لا ينقصها الا أن أرنو لها وترنو لى .. أن أحركها وتحركنى ، وكان آخر العهد بها من قبل بيتان منذ سنوات مثلا حالى ومثلا بى :

رثيت أبى ثم واريت شعرى
كأنى فقدت به الموهبه
وجفت ينابيع روحى فباتت
حيـــاتى موحشـــة مجدبه

واهتبلت الصحوة الشعرية الفجائية فى ليننجراد ، وأعجبنى أن للمعنى استوفى أغراضه فى خمسة أبيات من الشعر فقط لاغير ، فمضيت على النهج بعد أن تفجرت طاقتى ، وخلال رحلات متفرقة فى روسيا والمجر وبلغاريا والنمسا وبريطانيا ومدريد والأندلس ولبنان وجبهة القنال بين ربيع وصيف سنة ١٩٧٢ ، كنت قد أتممت نظم حوالى ٧٠ قصيدة خماسية . وهكذا كتب لديوانى الخامس « خماسيات عربية أوروبية » ، أن يؤلف ويعد للطبع وينشر خلال خمسة أشهر فحسب من البداية للنهاية ، وكان لوناً جيداً وفريداً فى دواوينى الشعرية وتجربة عزيزة سعدت بها ويكفى أنها انبعثت معها نفسى إلى الشعر انبعاثاً وقد طبعته وأشرته دار النجاح فى بيروت فى أكتوبر ١٩٧٢

على أن أفضل وأنضج دواوينى وأحبها الى هو ديوانى السادس « رسالة إلى المسيح » الذى كان هو الآخر تجربة مختلفة عن سوابقه ، فهو قصيدة وطنية دينية سياسية اجتماعية طويلة جداً . واقعية وخيالية ، بمعنى انها تصور الواقع وتحلله وتنتقده فنياً ثم تسبح فى سيناريو ، نتخيله ، لنزول المسيح عليه السلام ، كى يشرحنا بذلك أحاديث نبوية شريفة فى صحيحى البخارى ومسلم .. والقصيدة حاولت أن تتلاقى بعض رتابة الشعر التقليدى ، وبعض شطحات الشعر الحر وقد صدر الديوان المذكور سنة ١٩٧٥ .

أما ديوانى السابع « أوراق من قصة العمر الحالم » فيضم قصائد تقليدية وأخرى حرة مزج بينها ، وأصدرته ونشرته دار الوحدة ببيروت فى يناير سنة ١٩٨١ ، وكان حلقة أخرى من حلقات انتمائى للقضية الفلسطينية ، واشتياقى للنصر العربى ، والتى بدأتها بديوان « لن نحزن فلسطين » وأتوق أن أختمها وأتوجها بديوان لا يتوجع للنكبات أو يحث الهمم والعزائم لتحقيق النصر والأمل المنشود ، وانما يحتفل بالنصر فعلا وحقاً وصدقاً ، ويسجله ويؤرخه وينظمه بعد أن تكون قد انتزعناه من صدر الغيب .. وبمشيئة الله .

سعد صادق محمد

عالم السدود

شعر: محمد التهامي

يا طـــائري لا تُطلـــقْ أحـافُ من أنْ تحْترقْ
يا طـائري إليْكهـا تجـارب الّـدي سـقْ
أكَمْتُ قبْلك اللظى شرِبْتُ قبْلك العرقْ
وخُضْتُ مُوحش الطّريق والظّلامُ بُطبقْ
ومنْ مخالب السباع والضّباعِ أرْتزقْ .
فمشْيي من الثّيوب ما أحـالني مـرقْ
فَنظْـرتي إلى السّمـا وبالتـراب ألْتصـقْ
وصحـوتي إلى الضّحى ونـوْمتي إلى الأرقْ

حاوَلْتُ أرْكبُ النّفاق قُلْتُ خسّا اتّفقْ
فخابني به الجوادُ بعد خطْوة بمنْ
وقدْ علمْتُ أنّهُ مطيّة لمنْ حـذق
ومن يخُصْ بحـارهُ سلا دراية غرقْ
فعالَمُ المنافقين أهْله بهم فِرقْ
شعارها مِلْءُ العُيون في سبيلها حمقْ
فللْيمين مُنْتمى . وللْيسار معْتنقْ
مُخـادعٌ ولاؤهُ فهمـه أن يسْرقْ
فللضّياع إنْ خطـا وللضّلال إن نطقْ
يبيعُ حتّى دينهُ لَوْ ساوموا فيه مرقْ

فقُلْ لنا يا صَاحبي قُلْ كيْف أنّا نتّفقْ؟
وفي الضّلوع خافقٌ لغيْر صدْقٍ ما خفقْ
قدْ عاش يعْشقُ الوفاء مُخْلصا لمَا عشقْ
لمْ يعْرف السُّجود مرّةً لغيْر منْ خلقْ
حيَاته لا تسْتحقُّ كذْبةً لا تستحقْ

يا طـائري يا هَاجـري يَا قـاتلي لا تُطلـقْ
يا ويْلَتي !! أنا الّدي هَيأْتهُ للْمنْطلقْ
مَاكُنْتُ أدْري أسا في لَحْظةٍ سنفْترقْ
ويسْتقـلُّ وحْـدهُ بيْن الظّلام المنْطبقْ
قَدْ كُنْتُ أنْوي حفْظـهُ بيْن الحقُود والحدَقْ
لكـــنهُ لكـنّي لكنّ ما يخْشى سـقْ

الإكسير...

قصة الأعجوبة التي شغلت الناس منذ آلاف السنين

بقلم: محمد عبد القادر الفقي

« المكان معمل قديم ، قد تبعثر فيه أفران وبواتق وأنابيب وجهرة للتقطير ومذيبة . والرجل القائم فيه عجوز ، قد انحنى على وعاء عظيم يملق فيه من بيض طير وهو من بعد السلق يشرب البيض في عدية زائدة . ثم هو يجمع القشر في كومة كبيرة ، ثم هو يسخنه على لهب هين حتى يحمر بعض كالشحم بينما صاحبه يقوم بفصل البيض عن صفاره ، ثم هو يقوم بإدخال الفساد إليهما جميعاً بوضعهما في روث جاف من حيوان بعضاه ويقوم الرجل ، ويقوم صاحبه ، على تقطير هذه الأنتجة الغريبة ثماني مرات متوالية . وهو يقصرها ويعيد تقصيرها لاستخراج سائل أبيض خفق غريب وزيت أحمر .. وبهذين المذيبين القويين ، اللذين يذيبان في زعمهما كل شيء ، يأمل هذان الكيماويان أن يستخرجا « حجر الفلاسفة » . وجاء اليوم الأخير أمامهما الذي تظهر فيه نتيجة جهودهما . ويبدان يومهما هذا كما بدءا كل يوم . بأنفاس متلاحقة ، وأنفاس قلق مضطربة . فيها الرجاء كل الرجاء . وفيها الخشية كل الخشية ، ويختتمان اليوم بالفشل والخيبة إن حجرهما يأبى أن يحول معدناً واحداً من المعادن الخسيسة الى الذهب !! » .

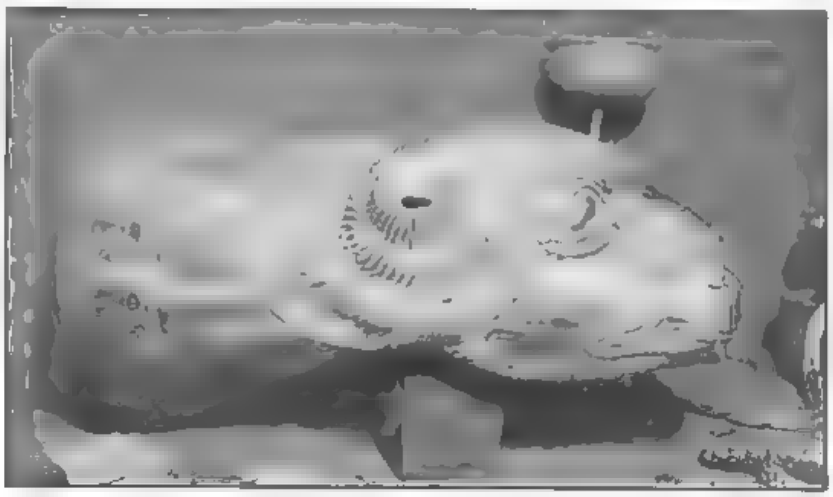

رأس ذهبي من أيام الرومان وقد شد بريق الذهب الصناع فحاولوا ، بصنعهم من المعدن رخيصه

ملكة سبأ بتاجها الذي كان يزدان بالأحجار الكريمة والمجوهرات

● عدد من علماء الكيمياء يلقون مصرعهم فوق مشنقة ذهبية لعجزهم عن استخراج المعدن النفيس من المعادن الرخيصة!

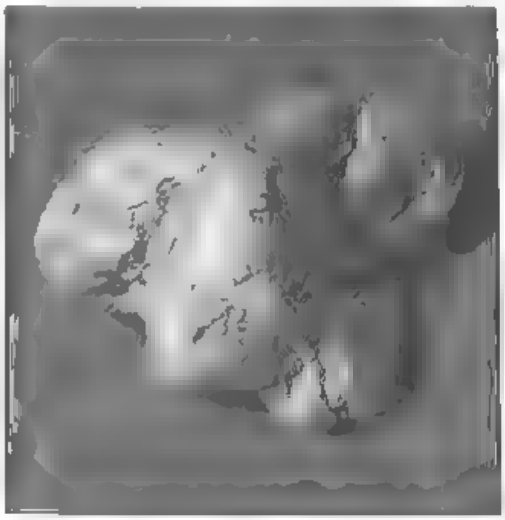

الذهب فى صورته الأولى وهى بشكله فى منجم جنب

قصة واحدة من مئات القصص التى تروى عن « الاكسير » المرغوم . ذلك الأعجوبة لدى بعض العالم ــ شرقه وغربه ــ بالبحث عنه محمومة حتى لأكاد أجزم أنه لم تشغل العقل البشرى مسألة كمسألة البحث عن هذا الاكسير اللهم إلا المسألة الأولى فى هذا الوجود وهى البحث عن الخالق الذى أبدع صنعه فى خلق السماوات والأرض !

قصة أسند دور البطولة فيها إلى شخصيات مختلفة تنتمى إلى كافة طبقات المجتمع البشرى . فتارة يقوم بها « سيميائى » . وطورا يقوم بها « كيميائى » . وحينا يرهب ناسك فتنه بريق الذهب الأصفر ، ومرة ملك ، وأخرى صعلوك

ولاتكاد توجد على الأرض مادة لم يحتفر ، فى سبيل الحصول على الاكسير ، لقد كان البعض على استعداد أن يصنع المستحيل ، وأن يسافر حتى بلاد الواق واق فى سبيل التوصل الى سر هذا الاكسير !

وكانت البداية على يد ديموقريطوس

كان بولوس ديموقريطوس ــ كما تقول بعض الروايات التاريخية ــ هو أول من مهد لفكرة الاكسير الذى يحول المعادن الخسيسة ، كالرصاص ، إلى الذهب !

ولا غرابة فى ذلك ، فإن لفظة الاكسير ــ هى فى حد ذاتها ــ مشتقة من كلمة اغريقية معناها

قلادة مشهورة فى منطقة الخليج العربى وهى من الذهب

(جف) . وربما كان ذلك لاعتقاد البعض أن الاكسير يجب أن يكون جافا وصلبا ، أى حجرا . ولا غرو أن تكون من بين تسمياته الشهيرة ذلك الاصطلاح الذى شاع فى العالم ، أعنى (حجر الفلاسفة)

وقد كان بولوس ديموقريطوس يجمع بين الفلسفة والسيمياء (والسيمياء هى علم الكيمياء القديم) . وقد حاول هذا الرجل أن يجمع بين خبرة المصريين العملية فى استخلاص العقاقير وبين نظريات أرسطو . وكان يعتقد أنه إذا عولجت العقاقير معالجة معينة فإن لونها يتغير ، على سبيل المثال ، إذا مزج النحاس الأحمر بالخارصين (الزنك) وهو فلز رمادى اللون ، حصلت على سبيكة من النحاس الأصفر شبيه لونها لون الذهب ، وقد تراءى إلى بولوس أنه ما دام أصبح فى الامكان الحصول على لون الذهب ، فما هى إلا خطوة أخرى حتى يمكن الحصول على الذهب نفسه . ومادام الرصاص والذهب ، بناء على نظريات أرسطو ، يتكونان من العناصر الأربعة (وهى تراب وماء ، وهواء ونار) ، لذلك ، تساءل ديموقريطوس ألا يمكن تحويل الرصاص إلى ذهب عن طريق تغيير نسب هذه العناصر تغييرا مناسبا ؟

ولم يقف بولوس عند حد السؤال ، وربما ــ كما يحكى كتب تاريخ الاغريقى ــ بدأ يجرى سلسلة من التجارب ، من شتى الأنواع ، لتحويل الرصاص إلى ذهب

وبعد ذلك تحمس الكثيرون لفكرة بولوس . وتبنى نظريته عدد كبير من الناس بتحمس شديد . واستمر حلم تحويل المعادن

الإكسير...

قصة الأحجية التي شغلت الناس منذ الآف السنين

العالم العربي جابر بن حيان الذي واصل التفكير في آراء جديدة عن الأكسير (الذهب)

الخسيسة إلى ذهب يداهب خيال الكثيرين حتى وقت قريب جداً !

ومن الطريف أن نجد رجلا كالامبراطور الروماني دقلديانوس يحارب هذه الفكرة ، لا لشيء إلا مخافة أن يتعلم الرعاع صنع الذهب عن طريق الاكسير ، ومن ثم ينهار نظام النقد ، وتنهار كذلك اقتصاديات الامبراطورية الرومانية . ولذلك دعا هذا الرجل إلى إصدار الأمر بإتلاف جميع الكتب السيميائية ، سواء ما كان منها يعالج قضية الاكسير ، أو لا يعالجها من قريب أو بعيد !

غير أن بحاث السيميائيين لم تقف عند حد معين . وكيف تقف وهم مقتنعون تمام الاقتناع بأنه يمكن تحويل المادة من صورة إلى أخرى ، ومن عنصر إلى عنصر آخر مخالف ؟ لقد كانوا يرون بأعينهم أوعية من الحديد تغمر في ما يخرج من نبع ، يحتوي أملاح النحاس ، فتخرج تلك الأوعية وقد غطي سطحها بطبقة من معدن النحاس الأحمر ، وفي الواقع ، لم تكن طبيعة التفاعلات الكيميائية قد درست أو فهمت جيدا يومذاك ، حتى يمكن فهم سر ترسب فلز النحاس على الحديد ، نتيجة لإزاحة الأخير للأول في كيريتات النحاس حين يغمس الحديد فيه .

وكان السيميائيون أيضاً يرون كيف يخرج من خامة سوداء قذره — عند صهرها بالنار ، لفترة طويلة — معدن جميل براق . وذلك بعد أن يروح عن الخامة ما فيها من خبث ، وكثيرا ما كانت تخرج الفضة والذهب ، بكميات عالية في الصهر ، من الكثير من الخامات ، نظراً لوجودهما في الطبيعة بهذه الخامات . وقد استنتج السيميائيون أن الزيادة في الصهر تزيد من مقدار الفضة ومقدار الذهب ، ومن ثم كانوا يسهرون الليالي الطوال يصهرون الخامات أملا في الحصول على الذهب . أو الاكسير ! ، بل انهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك ، إلى احتمال أن تتحول الخامة كلها إلى ذلك المعدن الأصفر الجميل ، إلى الذهب . وكانت قروضهم لاحتمال حدوث ذلك معقولة ، خاصة بعد أن نظروا إلى ما يحدث في الطبيعة من ناحية ، وفي جسم الانسان من ناحية أخرى ، من معجزات ؟! أفليس الرجل يأكل طعامه فلا يلبث أن يتحول الطعام إلى دم ، وفي غير جسم الانسان ، ألا يحول النبات التربة الزراعية إلى أوراق خضراء وإلى ثمرات مختلفة الألوان والمذاق والرائحة ؟ وكان في السيميائيين بعض ذوي الأمزجة الصوفية الذين رأوا أن الحصول على الذهب من المعادن الخسيسة لا يتم إلا بقتل المادة الأصلية واستبدالها بعنصر جديد . ولذلك ، فقد أنفقوا سنوات عمرهم في الكشف عن سر المادة التي تقتل روح المادة الأصلية لكي تحولها إلى ذهب . والتي قلنا عنها أنها الاكسير

الاكسير

[illegible] إلى جابر بن حيان — أحد [illegible] السيميائيين . عنده كتب وآراء ونظريات في السيمياء وفصلا عن ذلك [illegible] بكل هذا العلامة بصفحاته جميع الذهب . تفكير هؤلاء [illegible] الأربعة ([illegible] والهواء والنار) ، وإن لم يحدد جابر بن حيان يواصل التفكير في آراء جديدة في مسألة الاكسير

وقد بنى جابر تفكيره على ما كان واضحا من ان خواص الفلزات واللافلزات كانت على طرفي نقيض ، فهل من الممكن أن تكون — الفلزات واللافلزات — مكونة من التراب ، ذلك العنصر الذي يمثل الصلابة ؟ ولذلك ، قرر جابر أن الفلزات لابد أن تحتوي على جوهر خاص إذا أضيف إلى التراب بنسب مختلفة ، نشأت أنواع مختلفة من الفلزات العادية . كما قرر أن صبيغة كل فلز تتوقف على نسبة ما أضيف من ذلك الجوهر إلى التراب ، ولابد أن الزئبق يحتوي على أكبر نسبة من ذلك الجوهر . لأنه سائل ، ومن ثم فلا يحتوي إلا على نسبة ضئيلة من التراب .

وأيضاً ، لاحظ جابر بن حيان أن أنواعا معينة من اللافلزات تشتعل ، في حين أن الفلزات لا تفعل ، وقد عزل هذه الظاهرة بأنه لابد من وجود جوهر خاص . إذ أضيف إلى مادة ما أكسبه خاصيه ، القابلية للاشتعال ، وقرر أن الكبريت لابد أن يحتوي على كمية كبيرة من هذا الجوهر ، لأن الكبريت يشتعل بسهولة ، ومن ثم كان جوهر الاحتراق عنده هو ، الكبريت

ويوصل جابر إلى هذه النتيجة ، وهي أن جميع المواد الصلبة تتركب من جوهرى ، زئبق ، و ، الكبريت ، . ومن ثم فما علينا إلا أن نغير تركيب مادة ما ، إذا كان ذلك ممكناً ، حتى نراها تتحول إلى ذهب

ولذلك ، اهتم السيميائيون القدامى اهتماماً كبيراً بالزئبق كأحد أركان الاكسير ، يقول جابر بن حيان ، لاتشد عليه نارا في أول تدبير فيطير ، ومعنى ذلك انهم عرفوا أن النار تقويه تجعل الزئبق جامداً وهذا صحيح علميا فالزئبق يتبخر عند درجة حرارة ٣٠٠ مئوية ، أما النار الخفيفة فتحوله بطيء إلى أوكسيد الزئبق .

وقد حضر السيميائيون المسلمون الزئبق بتسخين ، القبذر ، . وهو مادة ترابية حمراء إذا سخنت تحللت إلى كبريت يحترق وزئبق يبقى في الإناء ، ولاشك أن خروج الزئبق بخواصه التي تعلمها من جسم ترابي وعودته إلى حالة التراب حين يتأكسد ، كل ذلك بالنار ، قد أوجد أمام هؤلاء السيميائيين مجالا واسعاً لتفسير طبائع الأجسام ، والحلم بالحصول على الذهب من الرمال أو المعادن الأخرى عن طريق التسخين . ومن الجدير بالذكر ، أن الحلم بالاكسير ، أو بتحويل العناصر من حالة إلى حالة أخرى لم يكن مقبولا من جانب بعض علماء المسلمين . فابن سينا — على سبيل المثال — كان يرفض تماما فكرة تحول عنصر إلى عنصر ، وله رسالة في ذلك . وقد ذهب بعض العلماء مذهب ابن سينا في ذلك برفض

تحضير الاكسير

اختلفت طرق تحضير الاكسير وتنوعت ، وكان السيميائي القديم لا يترك مادة يقع عليها بصره أو تطوف ذكراها بخياله دون أن يحاول اختبارها للحصول على الاكسير المزعوم ، وكان كتابع السراب يحلم بالماء في الصحارى الجافة ، وكم كان الواحد منهم يذيب ويبلور صفوفاً كثيرة

من المعدنيات ومن الأملاح الطبيعية ، وكان يجعل الشيء الواحد مرة ، ومرتين ، وعشر مرات ، ومائة مرة ، فكان يذيب ويجبن ويكلس الشب والزاج الأخضر ، وكل مادة نباتية أو حيوانية ، سواء أكانت عشباً أو زهراً أو لحماً أو حتى روثا ، يهضمها في الأثاليق وفي الحوجات ، ويعالجها بالغلي وبالترجيع وبالتقطير وبالتكثيف ، وبالصهر وبالاشعال ، وبالتبسيط وبالتكرار وبالتبخير ، وبالهضم والقران ، وبالترفيع وبالتصعيد ، وبعمليات أخرى عديدة : فيزيائية أو كيميائية

وقد جاء في كتاب الملك أن الاكسير ، قد يخرج — وحق سيدي — الكثير من الناس بالاتفاق — أي بالمصادفة — ويحصل في أيديهم عن عناية ، يكون من نصيبه فلا يعرفونه ويضيعونه ، وقد يعرفونه بعدما يفقدونه ، فيجتهدون في عدته ثانيه فلا يقدرون عليه إلى أن يموتو بحسرته ، وقال بعض السيميائيين ، إن تدبيره لا يفهمه إلا الواصل ، والواصل في عمي عن ذلك » ، وقال جابر بن حيان : « إن العلماء كتمت وقت العمل في كل تدبير » ، وكان جابر يوصي الباحثين عن الاكسير بالعمل في السر ، حيث يقول : « ياقه عليكم لا تجعلوا سهولة صنع الذهب تغريكم فتفضحو سر صنعه ، أو تطلعوا أحداً ممن حولكم على طريقة صناعته ، كان هذا من كان ، وسواء أكان زوجكم ، أو كان ابنكم ، أو أحداً آخر ليس تجمعكم وإياه قرابة ، وأنتم إذا لم تتصحوا بالذي أنصحكم به فسوف تندمون حين لا ينفع الندم ، إنكم إذا فضحتم السر فقد أفسدتموه ، ذلك أن الذهب من بعد ذلك سوف يصنع في سهولة ، كالسهولة التي يصنع بها الزجاج للأسواق » .

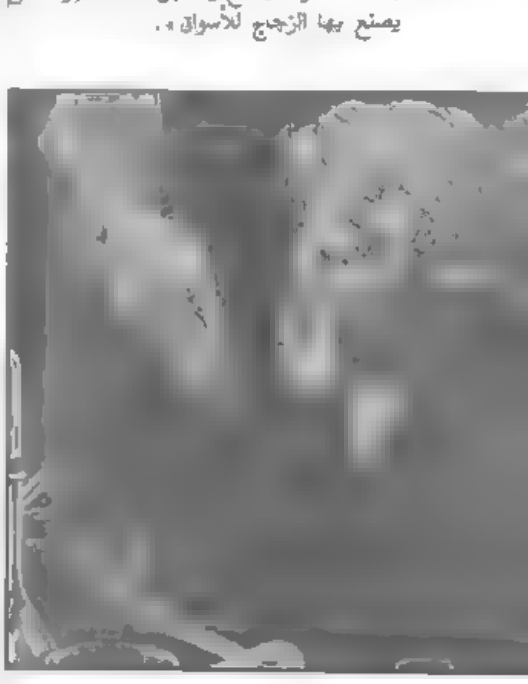

ابن سينا كان يرفض فكرة الحلم بالحصول على الذهب من الرمال أو المعادن الأخرى

في العصور الوسطى

شغلت مسألة البحث عن الاكسير كافة الشعوب والمجتمعات ، وجميع طوائف الشعب الواحد ، وفي أوروبا في العصور الوسطى ، نجد بعض رجال الدين المسيحي يهتمون بهذه المسألة اهتماماً بارزاً ، مثل الراهب الفرنسي جنفريدس لوريه والبابا جون الثاني عشر الذي شاع عنه أنه أقام معملا كيماويا شهيرا في مدينة أفنيون بفرنسا ، وعمل فيه بنفسه بغية صنع الذهب ، وأنه جمع لنفسه من تلك الصناعة ثروة بلغت ١٨ مليوناً من الفلورينات ، وأنه كان يحمي نفسه من منافسيه الكيميائيين بالأوامر البابوية يصدر منها الأمر بعد الأمر

حمى البحث عن الاكسير

وصلت حمى البحث عن الاكسير إلى ملوك أوروب ، وكان للملوك في انجلترا ، على سبيل المثال ، ابتداء من عصر الملك هنري الخامس ، تصاحبهم في حين وآخر ، بعض الافراد ترخيص بالاشتغال بمسألة صنع الذهب ، وكان هدفهم من ذلك ، السيطرة على الذهب لأنفسهم

كما تعرض بعض الملوك لمطالب لنصب وحيث من قد يعض الافراد الذين ادعوا انهم قد توصلوا إلى سر صنع الذهب من أجل خدمتهم ، وكان من أشهر هؤلاء جميعاً الذي يدعى (رامون لي) فقد [illegible] انجلترا ، ولكنه بالطبع لم يفعل شيء من ذلك ، بل في الواقع يبدو أن (لي) كان من السيميائيين القلائل الذين لم يكونوا يعتقدون بأن تحويل الفلزات من الأمور الممكنة ، وبالرغم من ذلك ، فإن الناس كانوا متحمسين لتصديق قصة هذا الانجاز المزعوم !

وتحكي كتب التاريخ التي تتناول سيرة حكام أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين كيف كان هؤلاء الحكام يميلون إلى تصديق السيميائيين الذين كانوا يزعمون لهم أن الذهب يمكن صنعه من الحديد ، مثال ذلك ما يروى عن كريستيان الرابع ملك الدانمرك الذي كان يضرب عملته الذهبية خلال المدة من ١٥٨٨ إلى ١٦٤٨ من الذهب الذي كان يصنعه له أحد السيميائيين ، وكذلك فعل فرديناند الثالث امبراطور الدولة الرومانية خلال الفترة من ١٦٣٧ إلى ١٦٥٧ .

على أن بعض الملوك والأمراء كانوا يتوعدون السيميائيين بأقصى أنواع العذاب إن هم فشلوا في تحويل المعادن الخسيسة إلى الذهب ، وسجلات التاريخ مليئة بقصص من حياة دجالين افتضحوا وماتوا شر ميتة ، منهم ماركو براجادينو الذي شنقه أمير بافاريا ، ومنهم وليم دي كرونيمان الذي شنقه مركيز بيروث ، ومنهم امرأة تدعى ماري زجلرين حرقها يوليوس دوق برنزويك ، أما فريدريك أمير فرتزبرج فقد تعب مشنقة ، وجعلها قائمة دائمة ، يشنق بها كل من وعده بانتاج الذهب ولم ينتج ، ودهن هذا الأمير المشنقة باللون الذهبي إمعاناً في السخرية والاستهزاء !

وفي العصر الحديث تحقق حلم الاكسير .. لكن !

مع التطور العلمي الهائل الذي حدث في القرن العشرين ، تحقق حلم الإنسان في الحصول على الذهب من المعادن الأخرى الأقل قيمة ، ولم يكن الأكسير الذي استخدم لتحقيق هذا الحلم شيئاً معروفاً من قبل ، وإنما كان بعض المكونات الدقيقة للذرة التي عرف الانسان أسرارها مؤخراً .

لقد تمكن العلماء من الحصول على الذهب من غير الزئبق الذي كان القدماء يحلمون بتحويله إلى ذهب ، وذلك عن طريق استخدام قذائف نووية من الجسيمات الدقيقة الذرية ، كما تمكن العلماء أيضاً من الحصول على الذهب عام ١٩٣٦ في جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك عن طريق قذف عنصري الايريديوم والبلاتين بالبيوترونات ذات طاقة عالية ، إلا أن الذهب المكون بهذه الطرق غير مستقر كيميائياً ، إذ أنه سرعان ما يتحلل بمجرد أن يتكون

وقد تمكن العلماء مؤخراً في جامعة كولومبيا من الحصول على الذهب من البلاتين عن طريق وضع البلاتين بجوار عنصر الراديوم المشع الذي تنطلق منه دقائق صغيرة تحول البلاتين إلى ذهب مشع ، وهكذا ، يتحقق قول الشاعر : « ولكن من الأحلام ما يتوقع » ، ولكن للأسف ، فإن البلاتين الذي يحضر منه الذهب أغلى ، وتكاليف عملية التحويل هذه باهظة !!

محمد عبد القادر الفقي

أهم المراجع .

١ — برنارد جاق — بواقق وأثابيق — ترجمة د . أحمد زكي — مكتبة النهضة المصرية ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر — القاهرة

٢ — البحث عن العناصر — تأليف اسحاق اسيمون وترجمة اسماعيل حقي — مكتبة الانجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٦٨ .

٣ — آلان هاريسون ، « الذهب » . الولايات المتحدة — ١٩٤٨

عندما تتحول الخضرة إلى أرقام

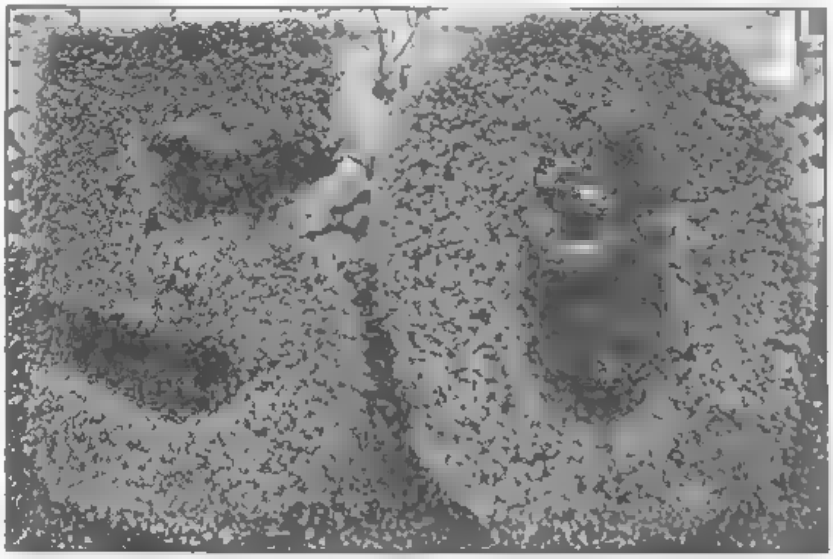

كان من المتوقع والميسور أن يضع صاحب هذا البيت لافتة معدنية تحمل هذا الرقم بوضوح — أى ٥٠ ، لكن ذهنه تفتق عن فكرة مبتكرة وجميلة ، فراح يشذب جزءا من الأعشاب النباتية النامية كسور حول منزله ، حتى أخرج منها رقم البيت ، وهو هنا في

[illegible] بحجر واحد [illegible]
[illegible] فكر [illegible]
[illegible] ، وثانيهما
[illegible] دون أدنى [illegible]
[illegible] حتى [illegible]
[illegible]

كل ما هو طبيعي ، ولاشك أن للناس فيه مشقون مذاهب ، خاصة إذا كان في هذا العشق ما يريح نفوس الآخرين ومع ذلك ، فهذه الخطة مشروكة بتقديرك ، فربما تستحسنها ، وربما يراها غيرك ، تفليعة ، لمجرد جذب الأنظار ، أو دعاية بدائية لصاحب الدار .

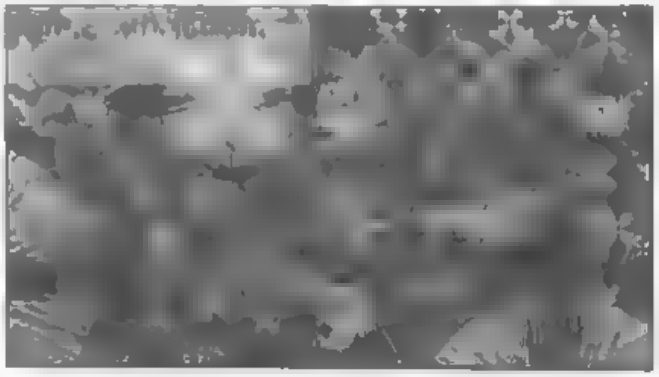

جمال لا يراه الناس

يعيش العلماء حياة البشر في حين ، وفي حين آخر يعيشون مع عوالم أخرى لا يراها الناس ، فهؤلاء يرون الظاهر ، لكن العلماء يرون كثيراً من الباطن ، وغالباً ما يكون هذا الباطن مطوياً على نظام جميل ، وتناسق عظيم ، وهذا ما توضحه تلك اللقطة الغريبة ، التي تبدو بتشكيلات مثيرة ، لأنها جاءت مكبرة بالميكروسكوب مئات المرات ، وهي — كما ترى — تنطوي على تناسق يعبر عن نفسه أجمل تعبير ، وكأنما هي من عمل فنان يقدر الزوايا ، وينظم الأشكال ، ويوزع اللمسات الجمالية بفن واقتدار ترى ، ماذا تعني هذه اللوحة ؟ .. الواقع أنها لأحدى المواد التخليقية المعروفة بالنايلون والتي تنتج من عمليات كيميائية يطلق عليها البلمرة ، أى التي تتشابك فيها جزئيات مادة بسيطة التجانس ، لتؤدي الى جزئيات أكبر فأكبر ، فيظهر على أساسها النايلون أو البولي استر أو الباكالايت الخ ، والصورة توضح بلمرة مادة السيليكون (الرمل) عندما صهر ثم تجمد ، ثم قطع الى شرائح رقيقة ، فظهر تحت عدسات الميكروسكوب على هيئتين مختلفتين ، وللعلماء في هذه التكوينات شرح وتعليل يتشعب الحديث فيها ويطول ، وأيا كانت الأمور ، فان العين البشرية قاصرة عن رؤية ما تنطوي عليه هذه العوالم الدقيقة من نظم مثيرة ، ولهذا فما أعظم ما يخفى على الحواس ، وما أكثر مالا يراه الناس .

بيت من الفقاقيع

كل كائن حي ينشد الأمان ، ويطلب الحماية . ولكل وسيلته التي يراها مناسبة وفعالة . ورغم ذلك تختلف الكائنات اختلافاً عظيماً . لكن أحياناً يجيء تصميم البيت بأنماط غريبة من مواد البناء . الا أن أغرب نمط هو ما تراه في هذه اللقطة . فلقد غامر صاحب البيت واختار تحت سقف من الفقاقيع (الى اليمين) ورغم أن الفقاقيع واهية . الا أنها فعالة ، وتخدم الغرض تماماً ، بدليل أنها قد عبرت بأجيال المخلوق الذي يسكنها عشرات الملايين من السنين ، هذا وصاحب بيت الفقاقيع يسمى « الباصوق » .. وهو اسم على

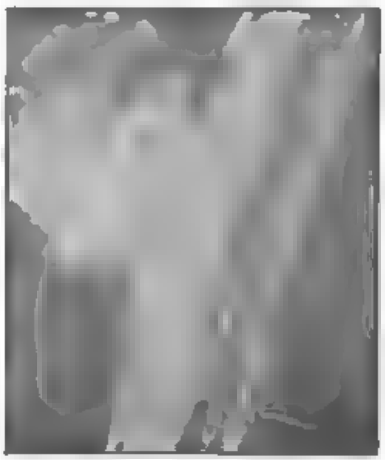

مسمى ، لأنه يبصق لعابه على هيئة رغوة ذات فقاقيع . وله في ذلك وسيلة مبتكرة ، تشبه فكرة نسخة ماصة كانيسه . فعندما تقف يرقه [illegible] فيتحول الى فقاقيع (بداخله

الصورة (الى اليسار) ، والفقاقيع ذات طعم ردىء . وبهذا تحميها من الكائنات الأقوى التي تسول لها نفسها اصطيادها .. بقي أن تعرف أن الفقاقيع تقاوم عملية البخر لفترات تطول ، حتى تكمل اليرقة أطوار حياتها ، وتصبح حشرة يافعة . فأنعم بها من فكرة حشرية

وبيت من الخشب

الحياة حرص وتمر وحذر . ومن لا يأخذ حذره . فلا يؤمن الا نفسه . يستوي في ذلك أرقى وأصأل المخلوقات . وهذه اللقطه المثيره خير تعبير لتلك الحقيقة . فهي لدودة أو يرقة تعرف باسم دودة الحقيبة . والاسم أيضاً على مسمى . فهذه لدودة تخرج الى الحياة صغيرة ، وكأنما هي تدرك أن القوي يأكل الضعيف . ولكي تؤمن على حياتها . راحت تبني لنفسها بيتاً . تحتمي فيه ، وتأوي إليه ، وهي تبدأ أولاً في طلب الحماية قبل أن تطلب الطعام ، وحسناً فعلت . والا راحت في خبر كان . من أجل هذا تهديها عربتها منذ تصغر الى تجهيز « خودة » من القش الصغير . فتضم القشه بجوار قشة بخيوط من حرير . وتغطي بها رأسها . وجزءاً من جسمها . وبمرور الزمن تأكل وتنمو وتكبر . ولابد أن يتسع سكنها ، ليوافق نموها . وعندئذ تبحث عن خامات أكثر صلابة . وأكفأ تمويها . فتقطعها من مصادرها . وترصها وتثبتها بمزيد من خيوط الحرير . وبهذا تحمي بيتها الحشبي عن ظهرها وبه تسير ، ولولا هذه الصورة الواقعية لظن البعض أن ذلك ضرباً من الأساطير !

ناقد كبير يفتري على شكسبير

● لماذا شنّ بن جونسن حملة عنيفة ضد شكسبير بعد وفاته ووصفه بأنه كان فناناً مضحكاً؟

بقلم: عبد الحق فاضل

ليس مستغرب من ضعاف الأدباء أن يتورطوا في نقد مالا يفهمون . لكن من المستغرب جداً من أديب وشاعر ومؤلف مسرحي خطير مثل بن جونسن (١) أن يتدهور في وهدة كهذه تتوارثها الأجيال . وأكثر غرابة ألا يتصدى فرد من الشراح الشكسبيريين لدحض خطأ جونسن دفاعاً عن صواب شكسبير

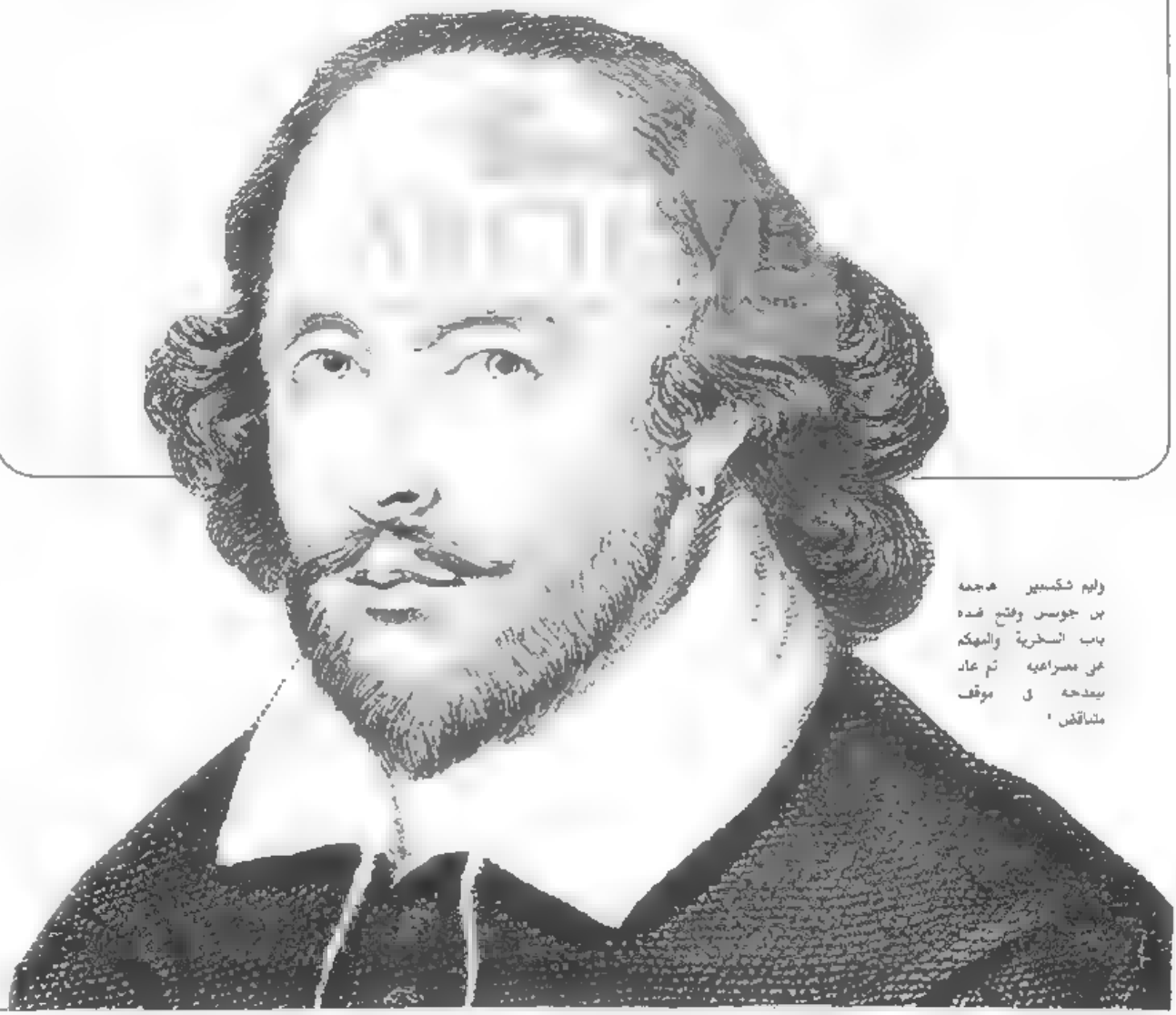

وليم شكسبير هاجمه بن جونسن وفتح ضده باب السخرية والمهكم على معاصريه ثم عاد يمدحه في موقف متناقض !

قال بن جونسن في كتابه (خشب) عن شكسبير: «لقد سقط مراراً في تلك الأشياء (٢) ظم يستطع أن ينجو من الضحك. فمثلاً في أحدهم لقيصر (٣): قيصر ملك مظلمي، فأجبه. إن قيصر لم يظلم قط إلا بسبب عادل، وأشياء ذلك، ما كان مضحكاً» (٣ : ١).

إن بن جونسن الذي كان يعد أكبر كتاب المسرح وأبرز شخصية أدبية في بريطانيا، بعد وفاة شكسبير، هو الذي يسقط هذه سقطتين كبيرتين.

أولاهما مرفوضة حتى لو صدرت عن بعض المبتدئين من المسرحيين.

فان من البَدَاهة أن ما يقوله شخوص التمثيلية إنما يعبر عن نفس المتكلم لا عن نفس المؤلف.

فهذه العبارة التي أضحكت جونسن لم يقلها شكسبير، بل قيصر.

وقيصر — لا شكسبير — هو الذي يحاسب على ما فيها من خطأ إن كان فيها خطأ.

فلم لا نقول، بل لم يقل بن جونسن الذي يحسب لعبارة معبوطة متناقضة مع نفسها باعتبار الظلم والسبب العادل لايجتمعان — أنها من هفوات قيصر التعبيرية، أي أن شكسبير أراد بها تصوير أسلوب قيصر في الكلام، بدلاً من عدها من هفوات المؤلف؟ لكن بن جونسن لم يميز بين قيصر وشكسبير

وعَمَى التمييز بين المؤلف وشخصياته آفة قاصمة لظهر الفن.

ولو كان ما يقوله الشخوص معبراً عن شخصية المؤلف لالتزموا جميعاً بمنطق واحد — سديد أو فاسد — ولا نهار مبدأ الحوار وانتقض الفن المسرحي من أس قواعده.

وهل انتقد جونسن يا ترى قول اكتافيوس زعم أنه كلام شكسبير. «إن بعض من يهتمون لنا أخشى أنهم يضمرون في قلوبهم ملايين الإساءات» (في المسرحية ٤/١ : ٥٠). باعتبار أن الإساءات مهما كثرت لا تعد بالملايين؟

ثم إن كلمة قيصر تلك التي يزدريها جونسن ويضحك منها ضحكاً بلغ صداه مسامعنا عبر القرون. ليست صحيحة فقط بل رائعة. إنها تطبيق بارع للمقالة العربية القديمة: «البلاغة الإيجاز»، فقوله «إن قيصر لم يظلم قط إلا بسبب عادل» يفهم البلغاء وأهل الفطنة أنه يعني «إن قيصر لم يظلم قط (ولم يعاقب) إلا بسبب عادل».

وبديهي أن هذه الصياغة الأخيرة أوضح من عبارة شكسبير المكثفة وأقرب إلى بساطة الفهم.

لكن هل هو شكسبير الذي تجوز مطالبته بالتبسيط والتسطيح؟

هذه القمة الشكسبيرية تذكرنا بالآية الكريمة: «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق» (الأنعام — ١٥١). والمعنى الذي يفهمه بن جونسن من هذه الآية: كيف يمكن قتل النفس (التي حرم الله) بالحق؟ أما من يفهمه ويعجب به العالمون

الشاعر والمؤلف المسرحي بنجامين جونسن الذي شن حملة عنيفة ظالمة ضد شكسبير

فهو «لا تقتلوا النفس إلا بالحق، فان الله حرم قتلها بغير حق».

لكن تركيز المعنى بإزاله المكرر، وإعادة صناعة العبارة بقلبها هذه القلبة الفنية أشيد جعلها مرصوصة مشحونة على هذا الشكل، وإذا بالمعنى أعلى وأغلى وأحلى

[illegible] يتصور [illegible] فيهم مظهر، حتى الرجحسون في كشافه [illegible] على سكة [illegible]، واكتفوا من تفسير الآية بمناحتها [illegible] لأنهم عدوها إيضيح من أن يحتاج [illegible]

[illegible] أخرى [illegible] أنوا لا تأكلوا [illegible] بينكم بالباطل [illegible] لا يأكل بعضكم [illegible] حصر جونسن [illegible] هو [illegible] بعضي حق [illegible] بينهم [illegible] بالباطل اذا كانت تجارة عن تراض منهم

ويلاحظ القارئ من غير ريب [illegible] في تعبير (لا تأكلوا أموالكم بينكم) من إختزال في التعبير (لا يأكل بعضكم أموال بعض) أو (لا تأكلوا أموال بعضكم بعضا)

وفي القرآن عينات كثيرات من روائع الاختزال يتمثل فيهم من البلاغة بالحذف وهي فيه تعتقد من جملة المفاتن النفسانية والذوقية التي خلبت ألباب عرب الحقبة بالبيان القرآني

وإنما تكمن لذة عبارة شكسبير المستلة الحبي تلك في هذا الالتواء والتناقض الظاهري

وهي أنفس من عشرين عبارة مسطحة يصوغها لنا جونسن لأداء هذا المعنى. وكأني بشكسبير قد قال: إن قيصر لم يعاقب بريئاً إلا بالحق تلك إذن غلطة جونسن لا غلطة شكسبير

قال بروتس في خطابه يبرر إشتراكه في اغتيال قيصر: لا لأني أقل حباً لقيصر. لكن لأني أكثر حباً لروما»

في المنطق الأرسطوي لا يمكن أن يكون بروتس أكثر حباً لروما إلا إذا كان أقل حباً لقيصر. لكن هذا الخلل الشكلي والتداخل في المعنى، والتنازع بين الأقل والأكثر، أجمل وأقوى إيحاء مما لو قال «قتلته مع حبي له لأن حبي لروما أكبر».. وأوقع كذلك في قول أرسطو نفسه فيما أثر عنه: «إني أحب أفلاطون لكن حبي الحقيقة أكبر من حبي أفلاطون» — أو كما قال — مع تسجيل إعجابنا بهذه المقولة.

فكيف يا ترى غفل جونسن عن الضحك من قولة بروتس هذه أيضاً. في نفس المسرحية؟ أم تراه انتقدها شفاهاً، أو تحريراً ولم تحفظها السجلات فحملتها الريح؟

على أن عبارة شكسبير — أو قيصر — «إن قيصر لم يظلم إلا بسبب عادل» لم ترد بهذا الشكل في الفوليو الأول (٤) لأنها حرفت بتأثير انتقاد جونسن على الأرجح، فجاء النص في الفوليو هكذا: «اعلم أن قيصر لا يظلم. ولا هو يغير بينة يمكن اقتناعه» (المسرحية ١/٣ : ٤٧ و ٤٨).

كلام سليم لكنه عادي وبارد إذا هو قيس بصيغة شكسبير التي ذهب سحرها بهذا التبسيط، وغدت أقرب إلى ذوق بن جونسن ومتابعيه وهم فيما يظهر جميع النقاد والشراح منذ قرابة أربعة قرون حتى الساعة.

منطق ومنطق.

منطق بن جونسن ومنطق شكسبير، كلاهما صحيح. والفرق بينهما كالفرق بين (١+٢=٣) و رياضيات العليا.

ونحن إذ نعيد إلى التحفة الشكسبيرية اعتبارها هنا نشكر لجونسن الذي سبب هذا التحريف أن أطلعنا على طراز الكلام الذي يضحكه

وها هو شكسبير يرد عليه ضحكه كاملاً مع بعض.

ما أكثر من المؤلفين من يدرجون انتقاد جونسن بنصه في كتبهم دون أن يبدي واحد منهم رأيه فيه أو يعترض عليه انتصاراً لشكسبير كأنهم مجمعون مع بن جونسن على تحصنته

وأحسب ذلك قد استفز شاعر العرب المتنبي، فقال نيابة عن أخيه في العبقرية

أتيت بمنطق (القن) الأصيل
وكان بقدر ما (خلقت) قتيل (٥)
فعارضه كلام كان منه
بمنزلة النساء من البعول!

— مع المقدار المناسب من اعتذارنا إلى النساء عن تفريط شاعرنا بحقهن

قرار التعميم

على أثر انتهاء بروتس القاتل من خطابه الذي هيج به العامة فهتفوا له ونددوا بقيصر القتيل، ارتقى المنبر انطونيو، ومن جملة ما قال في خطابه التأبيني على جثة قيصر:

كلكم احببتموه ذات مرة. لا لغير سبب
فأي سبب يمنعكم إذن أن تندبوه؟

إيه أيها التعيير، لقد فررت إلى البهائم العجماء،

فعدم بشر عقولهم (٢/٣ : ١٠٤ ــ ١٠٧)

وكان (فرار التمييز) إلى البهائم مادة لانتقاد جونسن وسخريته كذلك

وفي مسرحيته (كل امرئ معتكر المزاج) (٦) عرض بشكسبير في عدة مطاعن من جملتها قول أحد الشخوص متهكماً . « إن العقل فر منذ عهد بعيد إلى الحيوانات . كما تعمون » ، وقول آخر في مسرحية أخرى « عندئذ فر العقل إلى الحيوانات ، فيما أرى » .

يلاحظ أن انطونيو ، صديق قيصر ، بل أصدق أصدقائه ، كان يخطب الجمهور بعد أن يتردد بروتس على قيصر الذي كانوا يهتفون له ويمجدونه أمس وحسب ، واذا بهم يذمونه اليوم .

فأراد أنطونيو أن يبكتهم على هذا التقلب في مشاعرهم . لكنه بدلاً أن يقول لهم في غيظه أنهم أحط إدراكاً من البهائم ، بهذا التعبير الغليظ ، المكشوف ، قادها على طريقته الموارية ، المجنحة ، شبه المهذبة ، بعبارة تؤدي المعنى دون أن تخدش مشاعرهم الكثيفة ، لأنه يريد استجلابهم إلى قضيه قيصر القتيل لا تنفيرهم .

وهو أسلوب برهن جونسن نفسه على أنه ناجع جداً ، إلى حد أنه هو الأديب الفهامة لم يدرك المراد بالعبارة ، ناعيك بجمهور العوام

ولا هو ــ جونسن ــ فطن إلى أن مثل هذا الموقف كان قد وقفه (مارلوس) في المشهد الأول من الفصل الأول من نفس المسرحية ، حيث عنف العامة تقريعاً لهم على سيانهم (بومبي) الذي أحبوه ذات زمان ، قبل أربع سنوات (٧) ، فانهال عليهم سباً . صريحاً . مباشراً . غير مقنع

يا أخشاب ، يا أحجار ، يا أحط من الجمادات العديمة الشعور (!) إيه أنتم يا غلاظ القلوب ، يا رجال روما القساة . أما عرفتم بومبي ؟ (١/١ : ٣٥ ــ ٣٧)

أنطونيو كان أكثر كياسة مع غوغائه .

انه رفع مرتبتهم فجعلهم أحط إدراكا من لبهائم فحسب ، بدل الجمادات .

ثم هو يستهويهم ببلاغته وضربه على أوتارهم العصبية . وعندما أقلع في إعادتهم إلى حب قيصر وامجادهم إليه أخبرهم بأن قيصر أوصى لشعب بكل ممتلكاته . فطلبوا بقراءة الوصيه . فكان من الأعيبه الخطابية أن قال لهم لتهييجهم « ما أنتم خشب . ما أنتم حجارة . وانما أنتم بشر (!) وما دمتم بشراً فلئن سمعتم وصية قيصر لتؤججن فيكم ناراه (٢/٣ ١٤٤ ــ ١٤٦)

رد الاعتبار ــ من حيث قصد أو لم يقصد ــ إلى بشريتهم حين انقلبوا على بروتس هذه المرة بعد انقلابهم على قيصر .

إن فرار العقل أو انتقاله من شخص الى شخص ، في المعاني المتكررة عند شكسبير في مختلف مسرحياته ، و (فرار العقل) في مسرحيته (يوليوس قيصر) تخطرف لقول (مارلوس) «يا أخشاب ، يا أحجار ، يا أحط من الجمادات العديمة الشعور» انفاً ، وتشديد لقول كاسيوس في نفس المسرحية « لقد هلكت عقول آبائنا فقدت تحكمنا نفوس أمهاتنا » (١/٣ ، ٨٢ ــ ٨٣)

وعلى سبيل المثال وحسب نذكر قول القائد الفرنسي في مسرحية (هنري الخامس) عن الجنود الانكليز « إن الرجال يشبهون الكلاب في ذوا اجسادهم وخشونه طبائعهم ، ويتركون عقولهم عند زوجاتهم » (٣ ــ ١٢٢ ، ١١)

[illegible] المقصود ان الزوجات أصبحن [illegible] حكيمات [illegible] الأزواج أجسامهم [illegible] عشرة [illegible] فقد [illegible] العقل الذي صار [illegible] جونسن به فيما بعد [illegible] شكسبير [illegible] مسرحياته عما قيل في خط او سواه

وقالها لهم بعد تمجيدهم قيصر وانقلابهم عليه بعد خطبة واحدة . لم ينسوه فقط مثلما نسوا (بومبي) بل جعلوا يثلبونه .

والمقصود طبعاً في جميع الحالات مجموعة الجماهير لا أفراداً معينين منها .

وهذه أيضاً غلطة بن جونسن . لا غلطة شكسبير وجدير بالملاحظة كذلك أن بطوبيو قال إن الذي فر إلى العجماوات هو التمييز (Judgment) الذي يتعرف به المرء الخير من الشر والحق من الباطل ، وأن فراره صير البشر كأنهم فقدوا العقل كله ، لا ملكة التمييز فقط . لكن جونسن لم (يميز) بين العقل والتمييز فقال في المرتين من سخريته أن العقل (Reason) هو الذي فر .

إن ذنب شكسبير أن جونسن ومتابعيه لم يستوعبوا هاتين العبارتين الشكسبيريتين الفنيتين

وهنا يذكرني شاعرنا المتنبي مرة أخرى ، ليقضي بين شكسبير ومخاصميه

وكم من عائب قولاً صحيحاً
وآفته من الفهم السقيم

وما دام جونسن قد فتح باب السخرية والتهكم على معاصريه فمن حق شكسبير كذلك أن يتهكم ويسخر

ومن غرائب المصادفات أن شكسبير قبل أن يعلم ما سيصيبه من مسرحيته هذه من أباطين النقاد ، جازاهم فيها على ما سبق أن قدمت أيديهم من انتقادات واهية شفهية وربما تحريرية أيضاً من جونسن وغيره ، فأعد لهم منصوبة (٨) لا أعرف لها مثيلة في سخريتها وفي عمقها وبراعتها ، هي أنه جعلهم يفهمون عكس ما يقرأون ، مما سنميط عنه النقاب حين يأتي دوره عند تناولنا المسرحية .

فكأنما حجز جونسن في المسرحية مكان الصدارة لنفسه بين طائفة النقاد والشراح الذين استطاع شكسبير أن يغشي على أبصارهم أجمعين ، قرابة أربع مئات من السنين

بحر بوهيميا

عام ١٦١٩ ، بعد ثلاثة أعوام من وفاة شكسبير ، قال جونسن لأحد أصدقائه « كان شكسبير يحوزه الفن » .

ذلك أن شكسبير « أدخل في مسرحيته (حكاية الشتاء)(٩) عدداً من الرجال يقولون إنهم تكبوا بحرق السفينة في بوهيميا ، حيث لا بحر في الجوار الى نحو مئة ميل » (٤/٤٧) .

هذه غلطة جغرافية لا فنية ، في مفهوم عصرنا . غير أن جونسن معذور لأن الجغرافيا كانت عنده هي

والظاهر بالاضافة إلى مفهومه هو أن تعبير (الفن) كان القوم يستعملونه بمعنى العلم فعلاً كالذي وجدناه مثلاً في قول الكاهن (وارد) . « سمعت أن مستر شكسبير كان ذكياً بالفطرة دون أي فن قط » (٥/١٤) ــ أي دون تعلم .

وبهذا المعنى وحده يمكن فهم قول بن جونسن في تقريظه لمجموعة المسرحيات بعد سنوات أربع « يجب ألا أعزو إلى الطبيعة كل شيء ، فإن فنك يا شكسبير المهذب ، يجب أن يحظى بنصيبه . فان الشاعر الحق يصنع ، مثلما أنه يولد »

أي أن معارفه يجب أن توفى حقها من التقدير إلى جانب موهبته . فعلى هذا يكون معنى انتقاد جونسن أنفاً هو (إن شكسبير تعوزه المعرفة) ، وهي هنا المعرفة بجغرافية بوهيميا .

فلو كان جونسن في مكان شكسبير لكان « يمضي حالاً إلى أقرب حبير جغرافي ، ويمحص القضية تمام التمحيص قبل أن يضيف سطراً واحداً إلى مسرحيته » (٢/٢٠٤)

قيصر ... ندى قال عنه بروتس بعد أن شرب في قصه ... لا لأني أقل حبا لقيصر ... لكن لأني أكثر حبا لروما

كان جونسن يترم في تأليف مسرحي بحقائق لعلم ومدونات التاريخ ، ويدرس المراجع ويحقق ويدقق ، ويخضع فنه لمعلوماته لا معلوماته لفنه على حين أن شكسبير يتصرف ـ كما فعل في (يوليوس قيصر) مثلاً ـ أن يجانف التاريخ أو يجاكسه أحياناً

وما يهمه ـ إذا تطلب فنه ـ أن يحور ويحرف .

متكران (١٠) اللذان يدعيان أن المؤلف شكسبير الحقيقي هو (ايرل اكسفورد) يتطوعان للدفاع عنه بقولهما متحمسين بأن مذين مايعو

جونسن في سحرية من إشارته إلى ساحل البحر في بوهيميا بما فضحو جهلهم بأن بوهيميا لم تكن سطوتها كانت تمتد إلى البحر الادرياتيكي (٦٧/٦) .

لكن هل وقعت أحداث المسرحية في ذلك العهد ؟ ثم لن هذه ليست الغلطة الوحيدة في جغرافية شكسبير فإن لها في مختلف مسرحياته لمثيلات

فبحره في بوهيميا يشبه بحره الوهمي بين ميلانو وفيرونا مثلاً حيث لا بحر ولا سفر من إحداهما إلى الأخرى إلا على اليابسة (١١)

فإذا دافع المنكران عن صاحبيهما هناك فما دفاعهما هنا ؟

إن الأمر أهون من هجوم جونسن ودفاع المنكرين على كل حال . فقد وجدت أن شكسبير إنما استعار ، ساحل بحر من قصه حيالية لروبرت كرين كان يعمل فيها في تلك الآونة . ولم يخطر له أن يجرى المسأله ، (٢٠٤) . وما كان ليجراها حتى لو خطر له أن يفعل

وما كان ليحجم عن خلق محيط في بوهيميا أو في أي مكان إذا اقتضت حبكته ذلك ، عامداً لا مخطئاً فقط

الدراما هي التي تهمه لا الجغرافيه ولا التاريخ .

إن تقييم المسرحيات لا يقاس بمقدار ما فيها من علم وجغرافيا بل بمقدار ما تخترنه من فن وتحبوب مع لنفس الانسانية . وبراعة

تهجمات أخرى

م تقتصر تهجمات بن جونسن على شكسبير مع ما تقدم وإنما أورد في مسلاته (كل امرئ معتكر مزاج) تعريضات مختلفة بشكسبير منها تلميحات إلى مسرحيته (هنري الرابع) ومنها وخزات في (يوليوس قيصر) على الأخص مثل برده تعبير ، أنت أيضاً يا بروتس ؟

في هزل عابث ، بالاضافة إلى ما سبق ذكره من (فرار العقل إلى الحيوانات) وبالإضافة إلى (عدم الظلم إلا بسبب عادل) ، وإلى السخرية من شعار النبالة الذي كان قد منح لوالد شكسبير ثم ورثه عنه شكسبير

يعقب (هاللوداي) على هذا بقوله « موجزه ، وربما كان الرد السريع على هذه الطعنات المزعجة هو أن شكسبير تناول جونسن المعارض للابتداعية (الرومانسية) في أشد مسرحياته ابتداعية ـ ممثله في شخصية (جاك) السوداوي . ووسمه باسم يدل حالاً على جونسن لمن كانت له أية معرفة بالفرنسية وكان جونسن قد وصف نفسه في شخصيته (أسبر) Aspar ومن دون تواضع كاذب بأنه ، ذو روح مبدع حر ، مولع ومتماد في التقريع دون خوف متحكم في مسلوءة العالم ... ، .

مع هذا إن كان جاك ضربة لجونسن فقد كانت المهارة وديه ولم تكن صميمة في صورتها الكاريكاتورية ، (٥ ١٨٠)

ونعتقد أنه لابد أن لجونسن انتقادات أخرى شفوية كذلك كان يدلي بها لشكسبير نفسه أو لغيره من الناس

ولسنا نعرف شيئاً عن المناقشات الفنية التي كانت لا محالة تجري بينهما ـ تعقيباً على

ناقد كبير يفتري على شكسبير

مسرحياتهما ومسرحيات سواهما من المؤلفين — لكننا نستطيع أن نرجح أنها كانت هادئة ، لأن « شكسبير كان واحداً من الكتاب النادرين الذين لم يشتبك معهم بن جونسن في شجار علني قط » (٢٠٣/٢) .

ندرة الشطب

همينكز وكوندل (٥) ، رفيقا شكسبير اللذان عملا معه في التمثيل وفي تمثيل مسرحياته على الأخص أكثر من عشرين عاماً قالا إنه « كان ذهنه ويده يسيران معاً ، فما كان يفكر فيه كان يقوله بتلك السهولة ، حتى أننا ندر أن تلقينا منه شطباً في أوراقه » .

حقيقة واقعة قد يذهب الوهم بأحد مذهب الشك في صدقها والظن أن الصديقين الوفيين قد افتعلاها أو بالغا فيها ، لولا أن جونسن شهد بها متذمراً وعابها على نحو ينبئ أنها خصلة كانت شائعة عن شكسبير وكان أصدقاؤه ما فتئوا يذكرونه ويشيدون بها مما أثار غيظه ، بيد أن هو . بن جونسن . مدققاً ومدققاً في كتاباته

سجل في دفتر مذكراته في سنوات لاحقة « إني أتذكر أن الممثلين كثيراً ما ذكروا كمفخرة لشكسبير أنه مهما سطر في كتاباته لم يشطب سطراً قط . وكان جوابي : ليته شطب ألفاً ، فكانوا يحسبونه كلام موجدة ، إني لم أنل ذلك للأجيال التالية بل خاصمت جهلهم الذي اختار تلك الظاهرة لإطراء صديقهم في ما هو على أشد الخطأ فيه ، كان لطيف التعابير ، حين يتدفق بتلك السهولة التي كان من الضروري معها أحياناً أن يوقف » (٥٠/٤) .

أما هذه فأشهد أن جونسن محق فيها . ولعلنا لو أحصينا السطور التي كان يحسن بشكسبير أن يشطبها من مسرحياته الست والثلاثين لأربت على الألف .

وإن كان المتفق عليه في فن المسرح أن من خصائصه التركيز فإن هذه الخصلة لم تكن دائماً من سجايا شكسبير ، فهو كثيراً ما يتبسط من غير داع في حديثه فتسحبه نشوة الكلام وتدفق القريحة الى مسافات بعيدة عن صدده .

وعجيب أن تفوت شكسبير مثل هذه البديهية غير ما مرة في مسرحياته

ولا ينقضي عجبنا إلا إذا اكتشفنا أن أمثال هذه السطور المطنبة مدسوسة على شكسبير ، لكن نقد جونسن ينبئ أنها واقع حق .

ويبقى مبرر آخر يشفع لشكسبير في أمثال هذه الهفوات وكل أنواع الهفوات بوجه عام هو أنه لو كان يعيد النظر فيما يكتب لهذب وشذب

ومبرر ثالث هو أخطاء النسخ والطبع التي ليس في مستطاعنا تقدير مدى تخريبها . والتي تعني الزميلان الناشران معه أن لو كان شكسبير حياً ليصحح مأثره بنفسه

أما نقد جونسن هذا فسواء أكان بمارجه شيء من موجدة وحسد أم لم يكن فأن شخصياً أعتقد أنه مصيب فيه .

إن تأليف تلك المسرحيات الباهرة دون شطب وتنقيح إلا النادر ، يبدو غريباً لايكاد يقبل التصديق . لكن « كان لشركته فيما بعد كاتب آخر هو (جون فليجر) الذي كان يعمل بنفس الطريقة » ، وقد قال ناشره : « إن كل ما رأيته من يد مستر فليجر كان خلواً من التحشية بين السطور ويؤكد أصدقاؤه أنه لم يكتب شيئاً مرتين

ويبدو أنه كان يملك تلك الموهبة النادرة في أن يمحي ويتدفق كل شيء أولاً في ذهنه » . . (١٥٦/٢)

ولا نعرف مستوى نشر فليجر لكي نحكم ما إذا كان يرجع ويتابع شكسبير من حاجب الشك وهو لا ريب يبرر الكثير من محو التي كان يجد . تكون كبر وأكث

شخصية الأديب

ولم يكن بن جونسن هو . . . . . ينفسه . نذر من ادباء زمانه من لم يشتبك معه في مخاصمة أو مهاترة . و « حين كان يكدح في سطوره التلاوية (الكلاسيكية) المضبوطة ، كان يعيش حياته في تطرفات عنيفة . عرف غيابة السجن . ثم دخل السجن ثانية لقتله ممثلاً زميلاً (في مبارزة) . وقد لزعج السلطة بانقلابه كاثوليكياً خلال مدة السجن .

وبعد اثنتي عشرة سنة اراد ثانية بدرجة من الحماس أشد .

وكانت له حزازات مع أناس مسالمين ، وقد ضرب (جون مارستن) وأخذ مسدسه وأخاف (مايكل درايتون) ، وأهان (إيميكو جونز) العظيم كان يحب النكات العملية .

وقد صارح رجلاً مزهواً مثل الملك جيمس في وجهه بأنه لايملك أذنا موسيقية .

كان شريباً مكثراً جداً . « محباً عظيماً لنفسه ، مداحاً لها » ، ورجلاً يحسن الحب ويحسن البغض معاً . « منفعلاً في رقته وغضبه ، غير مبال بأن يكسب ويدخر » .

« صديقه وليم شكسبير يكاد يكون على تمام التضاد وعلى قدر ما تظهره كل الدلائل المتيسرة ، لم يكن قط في السجن ، ولم يقاتل أحداً في مبارزة ، ولم يحمل صعيبة مطلقاً

وكان متدبراً جداً في نقوده

وقد عاش وعمل عشرين سنة بانسجام مع نفس الزمرة من الرجال » (٢٠٤/٢ و ٢٠٥) .

أي أن شكسبير وبن جونسن أشبه بالوجب والسالب في الصورة الفتوغرافية ، ما تراه أبيض في هذه نجده أسود في هذه . لكن لا في السلوك وحسب بل في الفن أيضاً

وكلاهما متناقض مع نفسه فبقدر ما كان شكسبير حريصاً مدبراً في أمواله ومتحفظاً ورقيقاً في سلوكه كان منطلقاً متحرراً سادراً في فنه . عنيفاً سفاحاً في مسرحه ، علاوة على كونه كثير العبث بالحقائق التاريخية والقوانين الفنية المتعارف عليها

يقابل ذلك استهتار جونسن بالمال وتسيبه في التصرفات مع حرص شديد على المواصفات المسرحية ورعاية القواعد والألفاظ وطرق التعبير التلادية وتحريم العنف في اللفظ والحركة على الخشبة وما الى ذلك مما نسفه شكسبير ولم يتقيد منه إلا بما يلائمه في الموطن الملائم له ، نزولاً على حكم الحبكة الفنية والاثارة الدرامية والمصلحة سعياً لجذب أوسع جمهور إلى مسرح شركته .

وعنف شكسبير على خشبة المسرح مع وداعته واستقامته على خشبة الحياة ، يناظر عنف جونسن وتسيبه في سلوكه على مسرح الحياة مع تحفظه وتقيد على مسرح التمثيل .

انطلاق في الفن وتقيد في الحياة يقابله انطلاق في الحياة وتقيد في الفن ، وكأن كل واحد منهما يعوض بقلمه عن ممارساته في حياته

تصفيته الحساب

بعد كل هذا ترانا نتساءل حيال هذه الاختلاطات

ما موقف بن جونسن من صديقه الحميم اللدود شكسبير ؟ وبالها صداقة عدائية تنافسية بين رجل فظ كبير القلب من أشد الرجال تطرفاً في زمانه ، وآخر من أرصنهم وأكثرهم دماثة

إنها مواقف لا موقف .

موقف سوء فهم يشوبه سوء نية ، في مثل التشنيع التهريجي على (الظلم بسبب عادل) و (فرار التمييز إلى المجهولات) وموقف سوء نية خالص مثل الطعن . والسخرية من شعار النبالة الممنوح لوالد شكسبير .

ثم موقف حسد كالذي يكون عادة بين أبناء الحرفة . ولا سيما أن مسرحيات شكسبير كانت تجذب النظارة كالمغنطيس بينما كانت مسرحيات بن جونسن التي يعتز بها ويكدح في تدبيجها بعد مراجعة المصادر العلمية والتثبت من صحة كل خبر وقضية ونظرية ولفظة فيها — تمثل في قاعات شبه خاوية ، وأحياناً في نفس قاعة التي تعود فتكتظ بالنظارة حين تمثل فيها مسرحيات شكسبير

● عنف شكسبير على خشبة المسرح مع وداعته على خشبة الحياة.. يناظر عنف جونسن في حياته وتحفظه على مسرح التمثيل!

● هل هو موقف حسد.. لأن مسرحيات شكسبير كانت تجذب النظّارة كالمغناطيس.. بينما مسرحيات بن جونسن تُمثّل في قاعات شبه خاوية؟!

ثم هناك موقف الخلاف العقائدي في فهم (الفن) من قبيل الاعتراض على غلطة البحر الموهوم في بوهيميا خلافاً لما تصرح به الخرائط الجغرافية والتقيد بالوحدات الثلاث (وحدة المكان والزمان وموضوع) ، وتحريم الألفاظ الجديدة . واستهجان العنف في المقال والفعل على المسرح حتى أنهم كانوا يستميتون عن حوادث القتل بدخول رسول ينبئ الحاضرين بمصرع فلان على يد فلان . فجاءهم شكسبير ليعرض على الخشبة معارزات بالسيوف ومشاهد تقتيل . إلى آخر ما خرقه من قوانين فنية مطاعة .

وأخيراً هناك موقف النقد الفني لتدفق شكسبير في الكتابة دون ضبط ولا تنقيح

ولئن كان جونسن قد اذى شكسبير بأية من الصور وبأي من المواقع فان إيذاء شكسبير لجونسن قد كان أكبر وأوجع ، ولو عن غير قصد في ثلاثة شؤون على الأقل : خروج شكسبير في غلة على القواعد التي يؤمن بها جونسن ولا يستطيع عنها حولا ، وتفوقه الفطيع في الموهبة والنبوغ ، ونجاح مسرحياته على الخشبة .

من جس هذ يبوح انه كان يبغضه قدماً مسقف أولا ، ويحسده مداهنا كاسحاً ثانيا ، ومع ذلك فرضت شمائل شكسبير نفسها عليه وأجبرته على أن يحبه انساناً نبيلاً ثالثاً ــ بالرغم من (عيوبه) هذه

ويظهر في ثناء جونسن نفسه عليه في بعض المواطن وهو الصريح الذي لا يهاب ولا يداجي ، ومن اعجاب (هنري جتل) على أثر التعرف به ، ومن تسميته من قبل معاصريه : شكسبير (الحلو) و (المهذب) ، ومن حب زميليه اللذين تجشما مشقة جمع مسرحياته الست والثلاثين ونشرها بعد وفاته بسبع سنوات في مجموعة واحدة ــ أنه كان جذاب الشخصية آسرها

هنا يأتي من جونسن دور (موقف) الحب والاعجاب ليزيد الأمر تعقيداً والمواقف اضطراباً وتضرباً وتداخلاً وتشابكاً

« لقد أحببت الرجل وافي لأجل ذكراه ــ دونما تعبد ــ بقدر ما يجلها أي أحد كان أميناً حقاً ، ذا طبع متفتح حر ، رائع الخيال ، جرىء الآراء . لطيف التعابير . حين يتدفق بتلك السهولة التي كان من الضروري معها أحياناً أن يوقف » (٤/٥٠) .

مديح حتى في معرض النقد .

ويأتي الاطراء الأكبر في قصيدة جونسن الرثائية التقريظية التي افتتح بها الناشرون مجموعة المسرحيات :

« في ذكرى محبوبي المؤلف وليم شكسبير . وما خلفه لنا » (٢/٣٣٣)

ومما جاء في القصيدة :

« لك النصر يا بريطانيتي ، فإن لديك واحداً تقدمينه تدين له كل مسارح أوربا بالتبجيل . إنه لم يكن لعصر ، بل لكل زمان » (٤/٤٧) .

ومنها

[illegible] (٤/٤٧) ، اي مصر كانت روما قد غوّرت ذات يوم في مدافنها وحلقت على ضفاف التيمس تلك التحليقات التي فتنت الميرا وجيسون » (٤/٤٧)

[illegible] حدثنا لنعرف هذا ولا تتكئه عصا [illegible] من متقاعد الملك ميرك ومن بعده [illegible] فعلا مسرحيات شكسبير

ومن التسجيلات البديعة عن أحد أن مسرحية (تاجر البندقية) التي شاهدها يوم (احد المواهم) . . أن طلب إعادتها يوم الثلاثاء التالي (٥/٢٢٩) ، أي بفاصل يوم واحد

« يجب ألا أعزو الى الطبيعة كل شيء ، فان فنك ياشكسبير المهذب يجب أن يحظى بنصيبه . فإن الشاعر الحق يصنع . مثلما أنه يولد » (٢/٣٣٤)

وهذا اعتراف بفن شكسبير الذي كان أنكره سابقاً ، أي سعة اطلاعه ووفرة معارفه ، المكتسبة خارج مقاعد الدرس .. وكأنه تعديل للقالة الشائعة يومئذ ، من أنه موهوب وحسب ، من جهة . وكأنه تراجع عن قوله إن « شكسبير يفتقر إلى الفن » قبل أربع سنوات ، من جهة أخرى .

ولم يستطع جونسن ، إن يتمالك عن القول ان شكسبير كان يملك القليل من اللاتينية والأقل من الاغريقية ، لكنه استرسل يقول إن أعاظم الدراميين الاغريق وحدهم كان في استطاعتهم مباراته ، وأنه حلق فوق جميع معاصريه » (٢/٣٣٣) .

ومثلما يتكون اللون الأبيض من مزاج ألوان الطيف الشمسي المختلف بعضها عن بعض ــ تمخض مزيج مشاعر بن جونسن المتباين بعضها عن بعض ، عن هذا الحب الفياض والإعجاب الصادق ، والاعتراف له بالتفوق ، مع الاعتراف ضمنياً بخطئه هو في تخطئة شكسبير أو بضآلة شأن انتقاداته على الأقل بالقياس إلى روائع أعظم الرجلين

حتى لو افترضنا انه كان في قصيدته هذه عاطفياً إلى حد ما ، ومنساقاً مع العادة المألوفة من المغالاة بعض الشيء في التقريظ كما قد يرى بعضهم ، فان تعاظم إرتفاع قدر شكسبير منذ وفاته جيلاً بعد جيل ــ قد جعل إطراء جونسن متزناً ومعتدلاً ، وربما قاصراً ، في معايير جيله

ولا نعلم إلى أين سيمضي في معايير أجيال قادمة

على أن قصيدة جونسن هذه لم تنفع شكسبير في شيء لأنه غني عنها ، بقدر ما أفادت جونسن الذي صححت موقفه وخففت من نقمة الأجيال عليه

ولو لم يكتبها لبقي مذموماً متهماً بالحسد والصغار لدى التاريخ ، لا لعصر ، بل لكل زمان »

أية كانت الحال فإن جونسن قد صفى حساباته بهذه القصيدة مع منلوثه ومنافسه وصديقه ، وحقق لنفسه المصالحة مع ضميره

عبد الحق فاضل

هوامش :

١ ــ أقل اسمه بتجاهين جونسن ثم اختزل

٢ ــ قوله (مراراً) ينبيء أن له اعتراضات جرى غير المدونات القليلة التي وصلتنا

٣ ــ في مسرحيه (يوليوس قيصر)

٤ ــ الفوليو الأول هو الطبعة الأولى الكاملة من مجموعة مسرحيات شكسبير الست والثلاثين صدر عام ١٦٢٣ بعد وفاة شكسبير بسبع سنين . وقد آثرنا استعمال كلمة (الفوليو) بصيغتها هذه الأعجمية لانها أصبحت أشبه باسم العلم

٥ ــ أصل البيت

اشبيت بسطى العرب الأسير
وكان بقدر ما عانيت قبلي

٦ ــ Hemiages & Condell

٧ ــ قتل يوليي في ٤٨ ق . م ، وقيصر في ٤٤ ق . م

٨ ــ النصرية بالفصحى هي ما يسمى بالدارجة المصرية (القلب)

٩ ــ Winter's Tale

١٠ ــ هما دوروثي اوكبرن وكارلتن أوكبرن مؤلفا كتاب (شيك ــ مبير) « الرجل الذي وراء الاسم » (٦٧/٦)

١١ ــ مسرحية (سيدان من فيرونا) ــ (١,١ ، ٤٣ و ٥٤)

١٢ ــ Every Man out of his Humour

١٣ ــ التم بالفتح كالمم . هو الأوز البرقي ، وهو أكبر من الوز حجماً وأطول عنقاً

الحرف العربي والصحوة الفنية الجديدة

بقلم : سلمان المالكي

يكاد الحرف العربي أن يصبح قسماً مشتركاً [illegible] صحوة جديدة ، أو ربما مع قديم يتجدد عبر آصر حديثه [illegible] وربما سيبقى لاهتمام بالحرف العربي قائماً مادامت [illegible] يشكل مجالاً خصباً لقنانيف [illegible] حرف العربي رؤياهم الخاصة

تكوين

علي حسن واحد من الفنانين التشكيليين القطريين الذين استهواهم الخط العربي فسغرقوا ليس في خطوطه وشكله المجرد فحسب ، لكن أيضاً — وهو الأهم — بتعبيراته ومعانيه العديدة ، انه دائم البحث عن الجديد في هذا الحرف . لم يكتف بما قدمه بل مازال يسعى بدأب كبير لرسم لوحة حروفية متكاملة تتناسب وعظمة الكلمة ومقدرتها على الفعل .

استخدام الخط العربي

قلت للفنان علي حسن

• يميل عدد من الفنانين التشكيليين العرب الى استخدام الخط العربي ، حتى أن الأمر أصبح بمثابة ظاهرة تستحق الوقوف عندها طويلاً . كيف تفسر ذلك من خلال تجربتك مع الخط العربي ؟ .

— ثمة ظاهرة لابد من الاشارة اليها وتتلخص في أن الفنان التشكيلي العربي ابتدأ من حيث انتهى نظيره في دول العالم وهي الأخص في أوروبا . بمعنى أن مدارس الفن التي عرفها الغرب لم يكن لها وجود في بلادنا فكان أن عشنا هذا الانقطاع بين ماض نفخر به لم نسجله وحاضر منقطع الجذور يبحث عن هوية . وطبيعي والأمر هذا أن نعود الى التراث الغائب حتى الآن فكان أن حظي الخط العربي بكل هذا الاهتمام في محاولة لربط الجذور ووصل ما انقطع .

• وهل ينطبق هذا الأمر على الفن التشكيلي في الوطن العربي بشكل عام ؟

— بشكل عام ، نعم ، لكن هناك خصوصيات معينة تميز عدداً من المناطق العربية ، حيث موضوعات صيد اللؤلؤ على سبيل المثال تشكل سمة أساسية لدول الخليج . البادية ، الصحراء ، حتى اللباس يختلف عما هو سائد في دول عربية أخرى . لاشك اننا نشترك في نواح عديدة بل وكثيرة لكن تبقى هناك خصوصيات لكل دولة ، أو مجموعة دول كما هو الحال بالنسبة لدول الخليج العربية كما ذكرت .

• ولكن الملاحظ أنك استخدمت الحرف في جميع لوحاتك ، كيف تلخص تجربتك والى أي مدى ساعدك في تحقيق طموحاتك الفنية ؟

— هناك سمتان أساسيتان تميزان الحرف العربي . تعبيره عن معنى معين وطبيعة شكله البديع الذي يساعدك على التعبير عما هو أكثر من المعنى المتجسد في الكلمة ، وطبيعي والحال هذا أن تستغرقك التجربة فهو يفتح أمامك مجالات غير محدودة للتعبير ، ودائما اشعر بأن هناك المزيد لأقدمه وطالما لازمني هذا الشعور فأنني بالضرورة

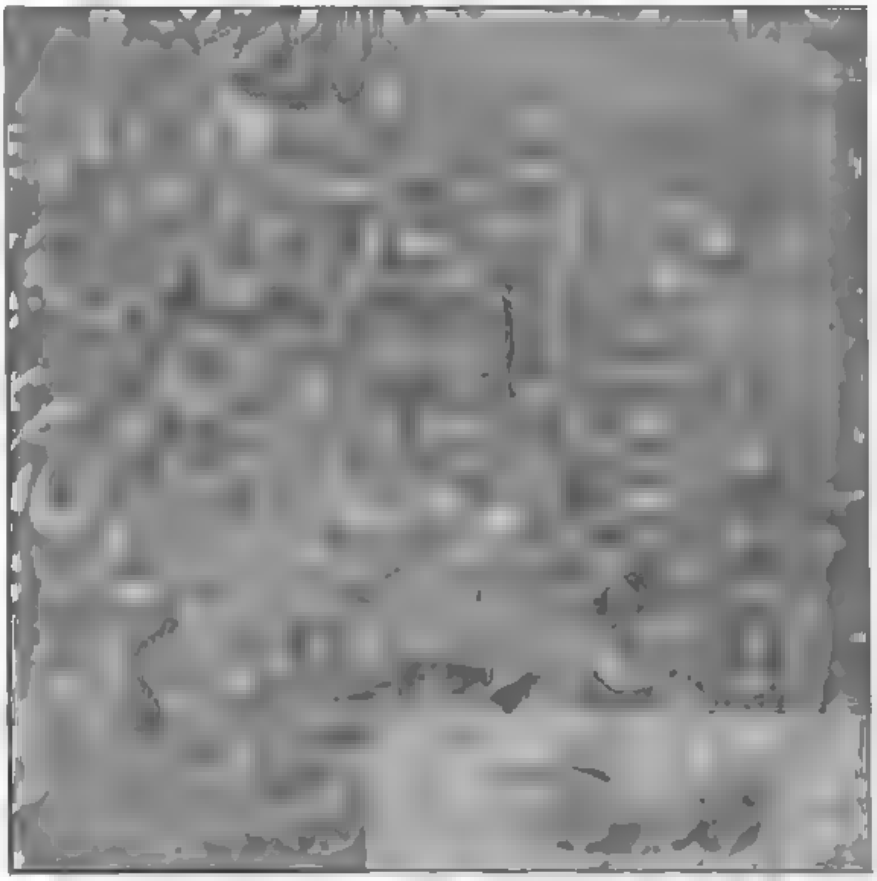

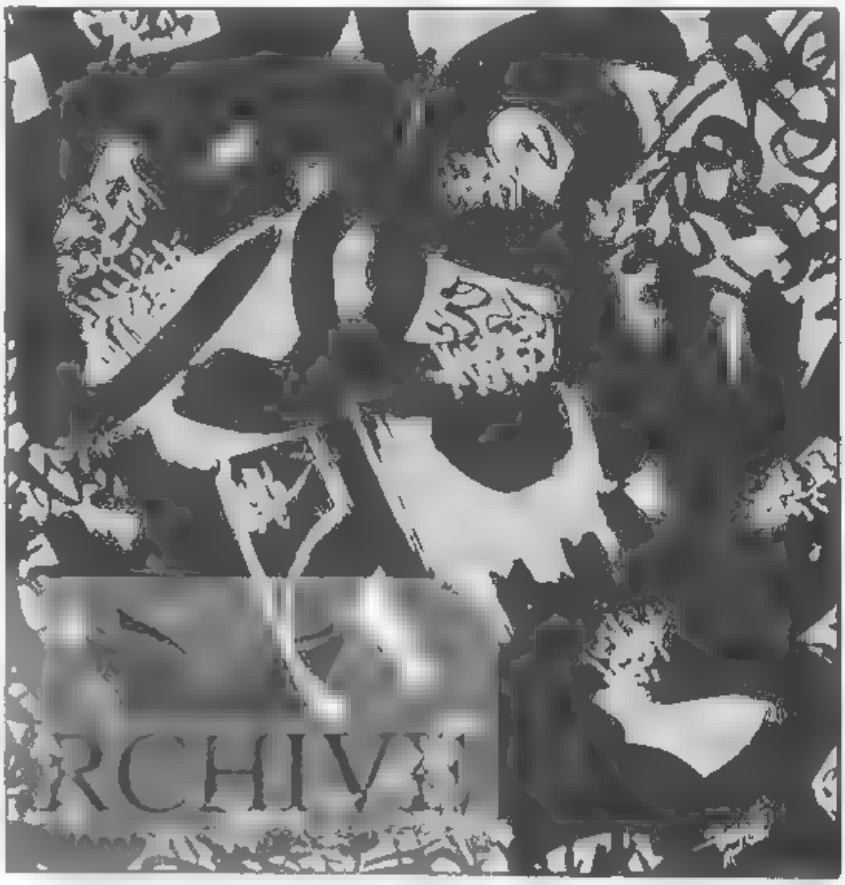

كتابات لوحة استخدم فيها الفنان اللون الابيض والاسود

سأجرب مرة ومرات أخرى

• هذا يعني أن لديك شيئاً تسعى لتحقيقه من خلال الحرف العربي ؟ .

ـ بالتأكيد لكن ليس من خلال الحرف العربي فقط بل من خلال اللوحة التشكيلية ككل فالحرف العربي فيها وسيلة للتعبير تماماً كما هو وسيلة لربط التراث الغائب ، لا أدعي بأني أسعى لتحقيق المعجزات من خلاله ، لكنني بتأكيد أسعى لأعمال متفردة مميزة

الأفكار ومشاكل التذوق

وهنا سألت الفنان علي حسن

• ماذا تريد أن تطرح من خلال لوحاتك ، بمعنى ما هي الأفكار التي تريد ايصالها ؟

ـ من الصعب علي بأني أريد طرح أفكار محددة من خلال لوحاتي ربما الاصح من ذلك التي أسعى للتعبير عن مواقف محددة ، هموم محددة وقضايا محددة اللوحة البعيدة عن هموم المجتمع ليست لوحة ، واللوحة التي لا تصور موقف محدد ليست هي الأخرى لوحة لا يمكن أن ترسم مجرد رسم أو لمجرد طرح فكرة محددة . هناك قضايا عديده لابد من نقلها عبر اللوحة ولئن بدا اهتمامي بالحرف العربي كبير فلأنني أحس بأن الكلمة دوراً هاماً في حياتنا ، منذ أن وجدت هذه الكلمة ونحن مولعون بها وبالتأكيد فأنها قادرة على التعبير عن الكثير من همومنا ومواقفنا

• ولكن هناك مشكلة تتعلق في مدى تذوق الجمهور للحركة الفنية التشكيلية أو لدى تذوق الجمهور للغموض الذي يميز بعضاً منها ، كيف تفسر هذه القضية ؟

ـ لاشك ان الكثير من الفنانين يلجأون الى الغموض أحياناً في لوحاتهم ، لكن الا ترى معي أن الغموض بات يميز جزء كبيرا من حياتنا ؟ طبيعي أمام هذا الواقع ان تأتي اللوحة لتعبر عنه ، انها صدى لما يعيشه وانعكاس حقيقي لما نحيده ، والحقيقة ان غموض اللوحة ليس أكثر من غموضنا نحن واضطرابها ليس أكثر من اضطرابنا ، انها التعبير الأكثر دقة عن حياتنا وربما الأكثر أهمية

• ولكنك شاركت ، في معارض عديدة وجربت أساليب عديدة أيضاً ، هل هناك مشروع محدد لاقامة معرض خاص بلوحاتك ؟

ـ أفكر جدياً في إقامة معرض خاص لكنني مازلت متريثاً في هذا الخصوص ، ليس هناك أسباب محددة لهذا التريث فهذه الخطوة أعتبرها هامة ومنعطف يمكن أن أصادفه في حياتي الفنية ولابد من اتخاذ كافة الاستعدادات لكي تتناسب ومثل هذا الحدث الذي يشكل أهم طموحات كل فنان ، لكنني لا أعتقد أن الوقت سيطول كثيراً

الفنان في سطور

• مواليد ١٩٥٧
• سكرتير الجمعية القطرية للفنون التشكيلية
• بكالوريوس آداب قسم تاريخ جامعة قطر
المعارض الجماعية التي شارك بها :
• جميع المعارض المحلية ٨٣ ـ ١٩٨٥
• النمسا ـ اليابان ـ كوريا ـ الهند ـ باكستان ـ تركيا ـ المعرض العربي بمدريد
• العيد الوطني لدولة الكويت ١٩٨٤
• بينالي القاهرة ١٩٨٤
• معرض المؤتمر الرابع لدول مجلس التعاون الخليجي ـ الدوحة
• معرض المؤتمر الخامس لدول مجلس التعاون الخليجي ـ الكويت
• المعرض التاسع للفنانين التشكيليين العرب (الكويت)

الفنانون القطريون

• ما رأيك بالحركة التشكيلية في قطر ، وإلى أي مدى استطاعت أن تحقق لنفسها ملامح تميزها عن باقي الأقطار العربية ؟

ـ لاشك أن هناك تفاعلا بين التشكيليين العرب من خلال القضايا الواحدة التي تواجههم ، لكن تبقى هناك خصوصية محددة تفرضها البيئة التي ينتمي إليها الفنان ، وهي خصوصية تتعلق ربما بالمفردات وليس بالمدلول العام ، انه نواجه هموماً واحدة على امتداد الوطن العربي ، ومن الطبيعي أن تكون موضوعاتنا واحدة لكن يبقى الخلاف في المفردات الصغيرة ، أو في وسيلة وطريقة التعبير عن تلك الهموم

وإلى هنا ينتهي لقائي بالفنان التشكيلي القطري علي حسن ، الذي استلهم الحرف العربي في لوحاته برؤية خاصة وتفسير متميز

سلمان المالكي

وسرب الفراشات يسأل عنك

إلى الشاعر الراحل
صلاح عبد الصبور

شعر: عزت الطيريكي

(١)

لماذا نعيدُ التحدثَ عنك
ويرشق صمتَ السويعاتِ سهمُ السؤال
فنسأل عنك الليالي
ونسأل عنكَ المطارات .
نسأل عنكَ القناراتِ ،
نسأل ورد الجبالِ
لأنك حين ارتحلتَ . ارتحلنا
الى غابة الجدب والأمسيات الحوالي
لأنك حين ارتحلتَ ، انتهينا
وضاع الحُداة .. وضاعت خيول الخيالِ
وغادرَنا الصحوُ ،
هاجَمَنا القيظُ .
سامَرَنا الغيظُ ،
ماتت مع الفجرِ أغنيةُ البرتقالِ
لأنك تعشق إنشاد لون الفراشات،
تقصير بُعد المسافاتِ .
تطويل هامات نخل الأماني
فيصطك بالغيم . تمطر .
يضحك سهل الشمالِ
فيطلع في الصخر عشب الصفاء
ويبت في الليل نذر الأغاني
فكيف تظن بأنا
نخليك ترحل عنّا
فيقتلنا :
نحبُ النوارس حين تجفُ
بحار الحياةِ وتهوى المرافئ
بكاء القوافل والصَدفاتِ
اذا ما تسمّ رمل الشواطئ
عذاب العصافير عند المساء
اذا غاب ظل الخريف الهاجي
فكيف نخيّلك ترحل عنّا
وكيف خيالك تهرب منّا
لأنّ ...
لأنّ
لأنّ ...

(٢)

وسرب الفراشات يسأل عنكَ .
وسرب العصافير . رجع الغناء العميد .
المواويلُ . دمع اغاديف حين يعاندها الموجُ .
صوت الدفوف . الدراويش حين يغنون للوصل والهجر .
همس المآذن في الفجر . لون الصباح . الورود . البنات .
العبير . القصائد . والعاشقون الذين يحبون في الحبِّ .
والثائرون الذين يموتون في الحُبِ . هل ترجع الآن
سيفاً مجردهُ للزمان الخئون ؟
وهل ترجع الآنَ أغنيةً وبارقْ
وقوس قُزَحْ ؟!!

سينما

القصة الكاملة لفيلم الفائز بالجائزة الكبرى لمهرجان القاهرة

الطائر المهزوم

بقلم:
رءوف توفيق

«بيردى» مع العصافير في محاولة لابتكار نوع من التفاهم معها

فى بداية الفيلم يجلس ومعه قفص الحمام قبل التعرف على مدينة

فى اليوم الأخير لمهرجان « كان » السينمائى تبدو المدينة وكأنها فى حالة « عزال » .. ناس تجرى هنا وهناك .. حقائب وصناديق تتكدس داخل السيارات وشاحنات النقل مئات العمال ينتشرون فى ايقاع سريع . يفكون الديكورات ويزيلون الملصقات واعلانات الأفلام ، ويخلعون الأضواء ..

وفى مساء ذلك اليوم — وبعد الاحتفال الصاخب باعلان النتائج وتوزيع الجوائز — تستردى المدينة بعد طول ارهاق وازدحام ..

ولكن الحال يختلف .. بالنسبة لرجال صناعة السينما الذين جاءوا من جميع أنحاء العالم يعرضون « بضاعتهم » من الأفلام .

انهم — فى ذلك اليوم الختامى — يحسبون نتيجة صفقاتهم . الأرباح والخسائر .. الفرح وخيبة الأمل .. الانتصار والفشل .. والاستمرار أو التوقف !

والحسابات تختلف عند النقاد والعشاق الحقيقيين للسينما .. إنهم يحسبون حصيلتهم من الفن .. ويحطون أسواتهم بما كسبه الفن من اضافات جديدة .. أو اكتشافات متميزة فى الخلق والابداع السينمائى ..

وقد كان الفيلم الأمريكى « بيردى » أحد أهم الاكتشافات السينمائية المثيرة هذا العام .. والذى فاز بالجائزة الكبرى الخاصة بلجنة تحكيم المهرجان

سلاد الصداقه

وكلمة « بيردى » تحمل معنى الاسم والصفة .. فبطل هذا الفيلم اسمه « بيردى » وهو أيضاً

الصديقان بعد رحلة صيد الحمام ليلا يعودان بالأقفاص في سعادة

الطائر المعذب

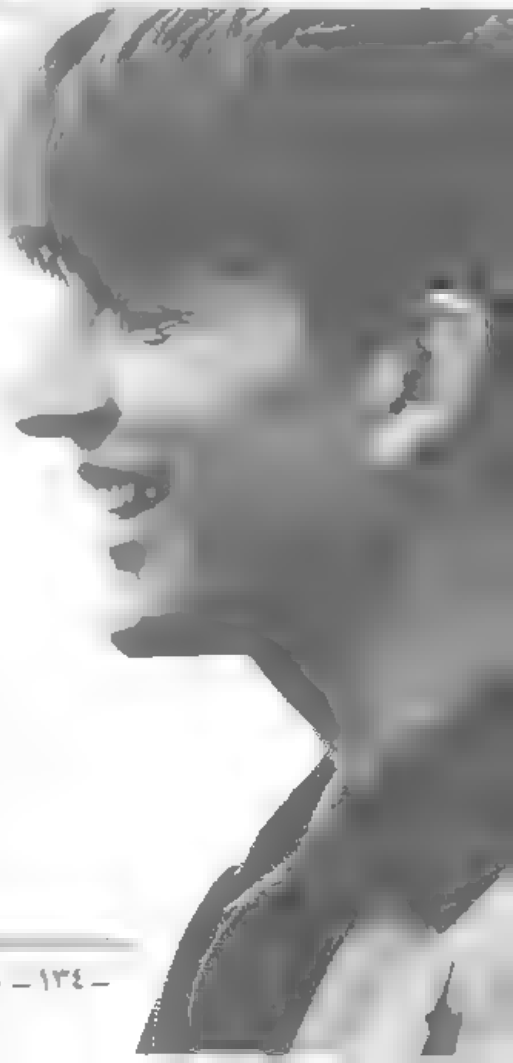

عاشق الطيور الذى يحلم دائماً بأن يحلق مثلها في الفضاء

وقصة الفيلم عن الصداقة بين شابين جمعتهما مشاركة حماسية .. تبادلا الحب والكره والمرح .. ثم اشتهرت الشدة بالتقاط الأوتار والمصالحة ..

هذا ليس كل ما في الفيلم من تفاصيل الحياة اليومية التي نعيشها في «خلاصة» هذا هو نموذج لعالمية السينما الأمريكي الذي يهوى رياضة البيسبول والطائرات والصيد ... و«بيردى» مغرم بالطيور ، وكل طموحه أمنيته في أن يصنع جناحين لنفسه ويطير

عرفته مليئة بصور الطيور والكتب التي تحكي عن نواحيها وخصائص كل منها وتشريح الدقيق لجسم الطائر . وحركته أثناء الطيران

يقول صديقه «هل تحب الحمام» ؟

يرد عليه «ماذا أحب فيه» ؟

ـ إنه يطير

ـ ثم ماذا ؟

ـ هذا يكفي جداً !

ولكن الصديق تبدو عليه الدهشة والفضول .. ويستغل «بيردى» حب المغامرة في صديقه ، ويدعوه لمشاركته في اصطياد الحمام ليلا ، حيث يأوى بين أعمدة الكبارى الحديدية

والمغامرة لذيذة ، فتسلق الأعمدة . والامساك بالحمام بتلك السهولة .. ووضعه في الأقفاص مسألة مثيرة ربطت الصديق بهذه الهواية .

ولكن «بيردى» لايصطاد الحمام لكي يعذبه بالحبس داخل الأقفاص .. وانما لكي يرقبه وهو يحرك جناحيه للطيران .. وفي سبيل ذلك فهو يبني برجاً من بقايا الأخشاب المستخدمة ويشاركه صديقه في بناء أعشاش الحمام وتقديم الحبوب والماء والرعاية لها .

ويمتلئ البرج بالحمام .. الذى يطير في أسراب ثم يعود في تشكيل رائع .. وكل حمامة تعرف عشها ، تأوى إليه في طمأنينة واستقرار .

وتشتد السعادة بالصديقين ليصبح برج الحمام هو مكان لقائهما وهوايتهما معاً .. يواصل «بيردى» تأملاته في الطيور .. أما صديقه فتستهويه مغامرة الامساك بالحمام واحضاره الى هذا البرج .. وفي إحدى محاولاته يتسلق سقف أحد المصانع ليلتقط الحمام النائم في الظلام بين ثنايا السقف . العدد وفير .. والحمام مستكين تماماً .. وتنطلق ضحكته بفرح .. ولكن في لحظة يفقد توازنه ويسقط من هذا الارتفاع الشاهق .. ومن خلفه صوت «بيردى» ينادي بلوعة وحزن وهو يلهث للهبوط من على سقف المصنع ويكاد لا يعرف من شدة الاضطراب أين يضع قدميه !

في المشهد التالي .. نرى عربة اسعاف ولا نتبين ما حدث .

حرب فيتنام .. وما بعدها

ينتقل الفيلم بعد ذلك مباشرة الى داخل أحد المستشفيات العسكرية للأمراض العقلية والعصبية لنرى «بيردى» حليق الرأس .. يجلس منزوياً مكوماً على نفسه في أحد أركان حجرة عارية تماماً الا من سرير حديدي ..

انها ليست حجرة .. بل «زنزانة» سقف عال حوائطها سميكة . وليست هناك سوى نافذة صغيرة ، مغروزة بقضبان الحديد . وباب الغرفة من الحديد الأسود ، يفتح ويغلق من خلال الحراس المسلحين

ويأتي صديقه لزيارته مرتديا زيه العسكري مصفاة في تراخه ورأسه ، مربوط بالشاش .. وفي مشيته بعض العرج . وقد اختفت من وجهه كل ملامح الحيوية والمرح

ونفهم من حديثه مع مدير المستشفى العسكري . أنه كان مع «بيردى» .. في كتيبة واحدة بحرب فيتنام

لقد استدعيا للانضمام الى الجيش الأمريكي والترحيل إلى فيتنام .. في حرب لا يعرفان لها أي مبرر .. وبلا أي قدرة على الرفض !

وها هي النتيجة . إنه مصاب في أكثر من مكان بجسده

أما «بيردى» فقد أصابه اختلال عقلي يرفض الكلام تماماً .. يبدو مذعوراً دائماً .. يجلس على الأرض مثبتاً عينيه على النافذة الضيقة

وقد اعتبرته إدارة المستشفى حالة خطيرة فوضعته في غرفة منفردة وتحت حراسة مشددة

ويظن الصديق الذى جاء لزيارته أنه سينجح في دعوته للنطق والكلام .. ولكن «بيردى» يزوي مذعوراً ينظر إلى صديقه وكأنه لا يعرفه .

هل كان «بيردى» يتصور بعد تحطم الطيران أن يدخر مستشفى الأمراض العقلية

يهرب منه خائفاً .. يتكور على نفسه فى ركن الحجرة ولا ينطق بكلمة

وتنتهى الزيارة ويخرج الصديق تعيساً تعصره مرارة والألم

الذكريات الجميلة.. ومحـــاولات القهر

ويتنقل «فيلم» بين ذكريات الماضى وأهوال الحرب . وتعاسة الحاضر . .

إنها الذكريات كما تتراءى «لبيردى» . أحداث متقطعة تفجرها زيارات صديقه ومحاولاته لدفعه للكلام

إنه يتذكر برج الحمام وكيف ثارت والدته عليه وصرخت غاضبة لأنه أفسد جزءاً من حديقة المنزل .. وأسرعت تحطم برج الحمام ، يشاركها والده ، بكل الانفعال والثورة حتى هشما البرج تماماً . وطار الحمام مذعوراً فى الفضاء .. وكأنه يبحث عن مكان آمن يحط عليه .

إنه يتذكر .. كيف فكر مع صديقه فى شراء سيارة قديمة للانطلاق بها واسترداد حريتهما المكبلة بهذا المكان الضيق المزدحم المليء بالنفايات

وكيف ذهب الى مقبرة السيارات المستهلكة وتقاسما شراء سيارة صدئة .. وعملا معاً ـ بكل الصبر واللهفة ـ لاصلاحها واعادة طلائها . حتى أصبح لسيارة شكل ولون واستجابت بعد ودار محركها وانطلق يصرخ من فرح والسعادة لا يصدقان ما حدث وقررا الاحتفال بهذا الانتصار .. فاستقلا السيارة كأنهما يغسلان كل هموم الأيام الطويلة والانتظار والقلق .. ثم انطلقا بعد ذلك الى الملاهى وقد عادا طفلين يمرحان بلا هموم أو خوف ولكن والده لا يعجبه هذا الحال فيضرب صديقه .. ويبيع السيارة !!

الطائر المكسور الجناح

لقد برع المخرج «آلان باركر» فى نسج هذه المشاهد التى تعبر عن الصداقة الجميلة والرغبة فى التحرر والانطلاق .. ثم تلك الاحباطات القاسية والمتلاحقة .. سواء من عائلته وحواجز سوء الفهم واستخدام البطش والعنف فى تحديد اقامته ، وتحديد أفكاره وطموحه وأحلامه .

واحباطات المجتمع ككل . والزج بهما فى حرب قذرة تستخدم فيها أبشع أسلحة الدمار والموت . لتحصد الأرواح وتحرق المزروعات .. وتمزق أجساد الأطفال والنساء فى فيتنام .. وأيضاً تمزقهم هم ـ شباب الجيش الأمريكى ـ الذين يجدون أنفسهم يواجهون نيران جهنم ومقاومة عنيفة ولا يساندهم ايمان أو هدف !

تمتزج مشاهد الذكريات مع مشاهد مستشفى الأمراض العقلية وكأنما المخرج يؤكد تلك الحقيقة البديهية التى يتناساها الكثيرون وانه

لا شيء مثلي ما فرح ولكن شعر [illegible]

و بيرد [illegible] مخصصة مخصصه التى [illegible] وانسه فى رحيله [illegible] رغبة فى الحياة حتى [illegible] عن [illegible] والكبار [illegible] حتى [illegible] والأبواب كمدينة مكتوبة [illegible] شجرة على انفصال [illegible] من الأصح [illegible]

وقد حاول المخرج [illegible] هذا المعنى [illegible] من خلال شخصية [illegible] الذى يؤدى دور «بيردى» فجعله يجلس القرفصاء . محنى الظهر .. مكتوف اليدين .. لا يقف .. ولا يسير .. وانما يتقافز مضموم الساقين والقدمين .. وكأنه طائر جريح

وعيناه دائماً على النافذة المعلقة فى آخر الحائط العملاق .. حيث لا يرى الا السماء من خلف القضبان الحديدية .. وحيث يتلقى وجهه كتلة الضوء الطبيعى وكأنه يتنفس ويحيا من خلالها

الحلم المستحيل بالطيران !

ويتوالى شريط الذكريات مع زيارات صديقه الذى يحاول جاهداً أن يدفعه للكلام والمشاركة فى الحوار معه

«بيردى» يتذكر علاقته مع عصفور صغير أصفر اللون وكيف كان يجلس بالساعات يلاعبه ويحاول أن يكتشف نغمة أو صوت يتفاهم معه

حتى فوجىء ذات لحظة عابره بقط متوحش يهجم على العصفور محاولا التهامه ويقترب «بيردى» بتحفز وحذر شديد .. ليقفز على القط

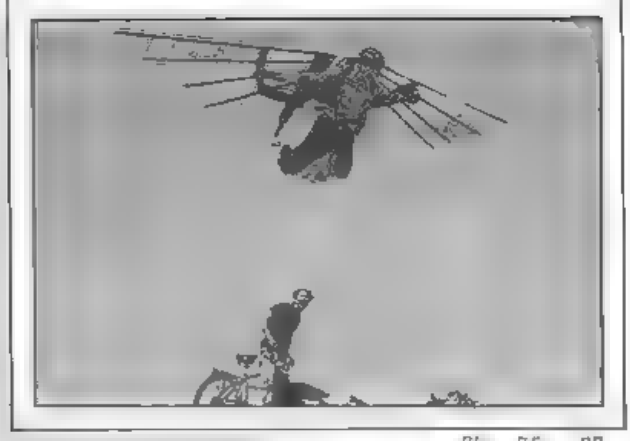

الحصاد المر

المخرج «آلان باركر»

.. ويستخلص العصفور من بين أسنانه (في مشهد سينمائي بارع) .. ثم يمسك العصفور بين أصابعه بربت عليه .. وينفخ الهواء في رأسه .. وكأنما يدفع الحياة لكي تدب مرة أخرى في هذا الجسد الصغير المذعور ..

ويبدأ العصفور في التحرك .. والانطلاق

ويسترد هو أنفاسه .. ويمتلئ وجهه بالسعادة والفرح ويستلقي على أرض حجرته منتشياً .. والعصفور فوق صدره ويحلم بأنه يطير مخترقاً هذه المساكن المزدحمة .. والدروب الضيقة .. ويرتفع في الهواء .. بعيداً عن كل التلوث والشرور.

وتتحرك الكاميرا معه في مشهد بارع التنفيذ .. وكأننا نعلو معه في الفضاء تدريجياً . وتتصاعد الموسيقى في ايقاع يوحي بالانتصار والتدفق.

وتتردد كلمات «بيردي» في مونولوج داخلي شديد العذوبة يقول فيه .. «في أحلامي دائماً .. أن تكون لي أجنحة وأطير .. الطيران هو الصعود .. وكأنما هناك من يسحبك الى أعلى خلال السحب البيضاء .. لتسبح في هواء نقي . وتظل تصعد في طبقات الجو .. حيث لا شيء تلمسه .. ولا مكاناً محدداً تريد الوصول إليه».

وفي واحد من أجمل مشاهد الفيلم .. يحاول «بيردي» مع صديقه .. تجربة التحليق مثل الطيور .. فيرتديان رداءً من ريش الطيور .. ويصنع «بيردي» لنفسه جناحين لهما معصلات استوحاها من دراسته لتشريح أجنحة الطيور. ويضع في قدميه تلك الزحافات التي تستخدم في

يرتدي بيردي ... ليحلق ... بديل صنعهما بنفسه

يرتجل على الجليد ... ويدعو صديقه لدفعه من أعلى ... بسرعه

ويدفعه صديقه ... فينطلق «بيردي» ... بسرعة فائقة ... حتى يصل ... منحدر جبلي ... ويحرك جناحيه ... وكأنه لا يطير ... بل يسقط في مستنقع مياه ... ومحجم الاجنحه ... به أجنحه مستحيل

• الفساد لدرجة التعفن !

وتتكرر زيارات صديقه له في محاولة لا تعرف اليأس لاخراجه من حالة الصمت والشرود .. وفي كل مرة يفتح الصديق صندوق الذكريات لينعش ذاكرة «بيردي» ويدفعه للكلام .. ولكن بلا فائدة.

ويفقد الصديق أعصابه ذات مرة .. ويهز «بيردي» بعنف ... يؤنبه على هذا الصمت ويستفزه أن يدجو بنفسه من هذا السجن الكئيب ولكن بلا فائدة .. ويخرج الصديق من «الزنزانة» هائجاً في غضب وانفعال .. ليواجه بمدير المستشفى العسكري وهو يطلب التحقيق معه والتفتيش في تاريخه وحالته الاجتماعية والنفسية

ويندهش الصديق من هذه الأسئلة المتلاحقة ويدرك أنهم يحققون معه بالفعل، فهناك من يسجل كلماته في محضر الاستجواب .. وكأنما أراد أن يتأكد مما يحدث حوله .. يسأل مدير المستشفى

ـ هل تحققون معي أنا ؟

ويترك الصديق غرفة مدير المستشفى وهو يحمد ربه وكأنه لا يصدق هل هذا هو الثمن الذي يستحقه كل من اشترك في هذه الحرب ؟

إنه يرى حوله .. مرضى ومشوهين .. ومعوقين

تقول الممرضة التي تنحصر مهمتها اليومية في تقديم صحن الطعام لبيردي في زنزانته ..

«كل الحروب تنتج عنها حوادث عرضية .. وربما لم تلاحظ ما حدث لأفراد مثل صديقك لأنهم لا يهمونك في شيء .. لقد فقد بعضهم لدرجة التعفن .. والبعض مات ببساطة وصمت».

وفي مشهد آخر يمرر مدير المستشفى العسكري موافقته بالسماح له بزيارة «بيردي» فيقول له :

ـ عندما علمنا بحالتك .. ظننا أنك من الممكن أن تساعدنا في العلاج

فيرد الصديق بلهجة جادة وساخرة

ـ علاج من ؟ أنا أم بيردي ..؟!

فالكل ضحايا .. ولا أحد يهتم !!

• الهروب

ورغم عدم الاستجابة من «بيردي» للمحاولات التي يبذلها معه صديقه الا أنه في

فى هذه اللقطة يبدو الممثل مع محمود الأصغر بعد انقاذه من فم القط المفترس !

إحدى الزيارات الأخيرة .. ظهرت على ملامح « بيردى » شبح ابتسامة ..

إنه لأول مرة ينتبه .. ولأول مرة تتغير ملامحه المذهورة ويبتسم ..

ويقفز الصديق من الفرح .. إنها بادرة طيبة .. لقد أوشكت محاولاته على النجاح .. ويسرع الصديق الى مدير المستشفى يبلغه بما حدث .. « لقد ابتسم » !

ويبرود شديد يتلقى الطبيب هذا الخبر .. ويعلق « إن هذا لا يعنى شيئاً » !

ويشعر الصديق بإحباط شديد .. ويثور فى انفعال .. ثم يدرك للحظة أن حالة « بيردى » تهمه هو شخصياً .. وقد لا تعنى لادارة المستشفى سوى مجرد « حالة » ..

وبهذا الادراك .. يسحب ثورته .. ويعتذر للطبيب ويخرج .

ويواصل محاولاته مع « بيردى » ويقول له فى توسل وهو يكاد يبكى .. إننى فى كل مرة أحضر الى هنا على أمل أن تكلمنى .. ولكنى أظل أتكلم أنا .. ولا ترد على .. هل أنا مجنون لأتحدث مع نفسى طوال الوقت .. لماذا لا تكلمنى .. لقد تعبت .. تعبت .. واذا كنت لا تريدنى أن أحضر لزيارتك .. فأنا لن أحضر .. وستكون هذه هى زيارتى الأخيرة لك » ..

ولأول مرة يخرج صوت « بيردى » فى لهفة .. « لا .. لاتتركنى » ..

ويفاجأ الصديق بأن « بيردى » تكلم .. ويصرخ عن السعادة والفرح .. وهو يطلب منه أن يتكلم أكثر .. ويهزه بعنف وقوة .. كأنما يريد ألا يضيع الخيط من بين يديه .. وفى نفس الوقت يهتف منادياً الطبيب أن « بيردى » تكلم ..

وتفتح أبواب الزنزانة لتهجم على الصديق .. فرقة من رجال الحراسة التى تقف فى ممرات المستشفى وتحاول اخراجه .. ولكنه يتشبث بمكانه .. ويمسك بذراع « بيردى » ويدفعه للهرب من هذا المكان .. وتدور معركة مع فرقة الحراسة .. وينجح الصديق فى التخلص منهم .. وينطلق مع « بيردى » بأقصى سرعتهما للهرب .

وينتهى الفيلم بخروجهما مرة أخرى الى العالم .. فى مشهد غاية فى الذكاء والاثارة .. والجمال .

ولكن هل يعنى خروجهما مرة أخرى الى العالم .. نهاية لمشاكلهما ؟

بالقطع لا .. ولكنهما حتما سيكونان أكثر فهماً لما يحدث حولهما .. وأكثر صلابة وقوة !

• المخرج .. والمؤلف .. والممثلون

وقد استحق هذا الفيلم أن يفوز بالجائزة الكبرى الخاصة من لجنة تحكيم مهرجان « كان » ...

والفيلم مأخوذ عن رواية صدرت عام ١٩٧٩ للكاتب الأمريكى « وليام وارتون » الذى استقر فى باريس منذ أكثر من ربع قرن .. وقد رشحت هذه الرواية لجائزة البوليتزار .. وفازت بجائزة الكتاب الأمريكى .

والرواية تدور أحداثها أثناء الحرب العالمية الثانية .. ولكن المخرج « آلان باركر » اختار أن يجعل الأحداث متعلقة . بحرب فيتنام .. وكتب السيناريو « ساندى كروبف وجاك بهر » .

والمخرج « آلان بكر » من أصل انجليزى .. لمع اسمه مع فيلم « اكسبريس منتصف الليل » .. ثم « اطلق النار على القمر » .. ثم « شهرة » .

ولكن هذا الفيلم يعتبر من أنضج أعماله .. وقد تعمد أن يختار الثنين من الممثلين الشبان غير المعروفين للقيام ببطولة الفيلم .. وأجرى عدة اختبارات على ألفى شخص — بمعدل ٣٥ شخصاً يومياً — حتى استقر الرأى أخيرا على « مثاو مودين » للقيام بدور « بيردى » .. ونيكولاس كاج » للقيام بدور الصديق ..

ومن الواضح تماماً الجهد الذى بذله المخرج فى ادارة الممثلين واستخراج الانفعالات الدقيقة دون افتعال أو هبوط .

ولكن المخرج يقول إن أصعب ماواجهه فى اخراج الفيلم هو التحكم فى الطيور .. والقطط والكلاب التى ظهرت بمشاهد الفيلم والتى أكدت مهارة المصور « ميشيل مرسين » .

تكلف الفيلم ١٢ مليون دولار ..

• • •

إنه فيلم عن الشباب الأمريكى .. والحروب الأمريكية .. سواء أكانت فى فيتنام .. أو فى أى مكان آخر ..

فالنتيجة واحدة .

رءوف توفيق

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

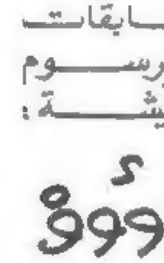

أصل وصورة

بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للفنان العربى دريد لحام الذى أمتعنا بفيلمه « الحدود » اختلافات طفيفة .. حاول أن تتعرف عليها لتحصل على جائزة .

المثل يقول

مازالت أمثالنا الشعبية تعبر فى كل زمان ومكان عن أخلاقيات وسلوكيات يجب أن نتبعها .. ولهذا فإذا تعرفت على المثل الشعبى لهذا الرسم الكاريكاتيرى فى انتظارك جائزة .

لوحة لم تتم

هذه اللوحة التى لم تتم لشاعر عربى راحل اشتهر بقصائده الوجدانية التى غناها كبار المطربين مثل عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ ونجاة .. هل تستطيع اكمالها والتعرف على شخصية الشاعر لتفوز بجائزة ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هات أجمل تعليق :

هل تستطيع أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ .حاول وأرسله الينا لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال

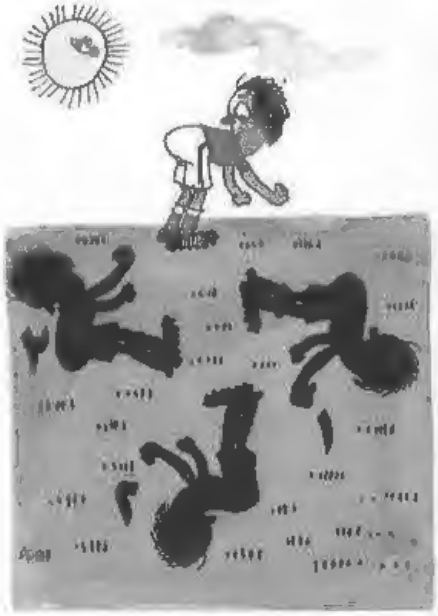

حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ، فقد تحصل على جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط !

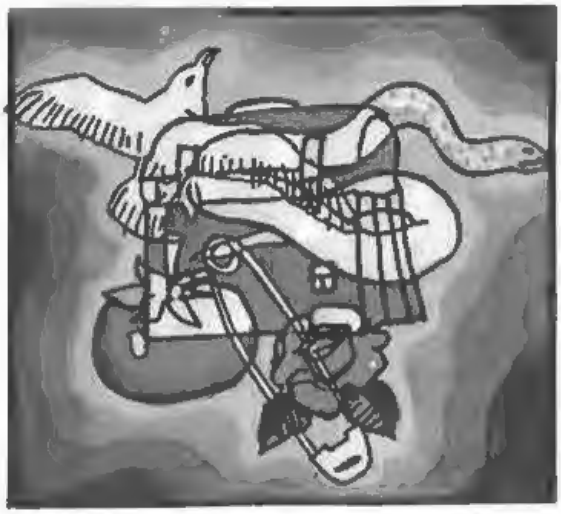

أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، حاول التعرف عليها لتحصل على جائزة

مختلف من الشبه أربعين

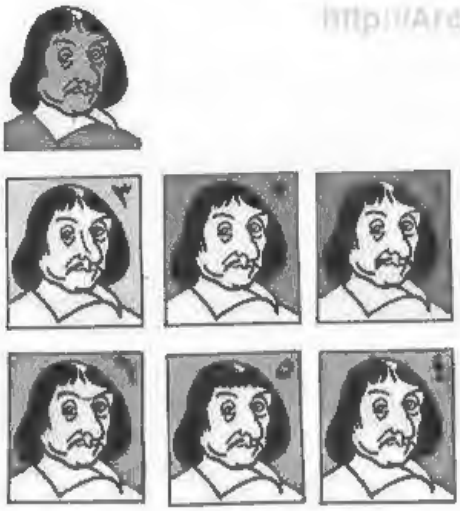

اللوحات الست المنشورة للفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت (١٥٩٦ ــ ١٦٥٠) الذى اشتهر بقواعده فى البحث عن الحقيقة كأساس للتربية الحديثة التى تدرب العقل على التفكير المنظم الحر .. وفى هذه اللوحات واحدة تشبهه تمام الشبه ، وفى البقية اختلافات بسيطة .. حاول التعرف عليها لتحصل على جائزة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الورقة الأخيرة

بقلم
عبد الله الجفري

من الذي ضاع ؟!

ـ يا من رأى منكم امرأة ضائعة ؟!

كان هذا النداء يتردد باللغة الانكليزية من ميكروفونات البوليس وهم يتلقون الأخبار باللاسلكي !

أما المرأة التي ضاعت ، فهي ليست قصيرة وأيضاً لم تعد تصلح أن تكون « أنثى » ومطابقة لقصيدة شعر ، ولم يعد في وقتها ما يسمح لها بسماع الموسيقى ، أو بأن تبدو هي « تكنم » رنيقي متماوج !

أبداً ... هي سيدة تسكن في حارة من حارات أوروبا ذات السوق المتحدة ، ولم تكن ترتاد الشوارع الكبيرة الواسعة في مدينتها كثيراً إلا عند الحاجة القصوى !

ولكن هذه السيدة ضاعت فجأة ؟!

تركت بيتها صباحاً ولم تعد ، وخرج زوجها وأولادها يبحثون عنها ولم يعثروا عليها أبداً ..

وفي أوروبا .. من المستحيل أن تضيع المرأة بالذات عن عنوان بيتها ما دام انها نجحت في اقامة بيت ، ولكنها من الممكن أن تضيع عن عناوين كثيرة في نفسها من الداخل !

واتصل زوجها بالبوليس عنه يعثر عليها ..

والبوليس يسأل زوجها : هل تشاجرتما في الصباح ، هل تحبها ، هل لكما اصدقاء وأعداء . هل هي جميلة ، نحيفة ، رفيعة ، تشرب أم انها عطشى ! متزنة ، عاقلة ، أم « خلبوصة » على حل شعرها ؟!

ولا يطيق الزوج هذه الأسئلة ، ويصرخ : أولاً أعيدوها .. أوجدوها وسأجيب على جميع أسئلتكم ، وسأعد أن أضيف اليها أسئلة وأجوبة من عندي !

وطبعاً مرت ثلاثين ساعة كان الرجل يجري على قدم وساق ، وسيارة وطائرة هليكوبتر .. حتى كاد الناس أن يصدقهم .

وأخيراً وجدوها ، كانت سيدة عاقلة ، متزوجة ، ولوداً !!

كانت سيدة تحسن القراءة والكتابة ، ولكنها ترفض الكثير مما تقرأه في الصحف ، وتحب أن تقرأ الكتب بطريقة خاصة !

كانت سيدة تحب زوجها بهدوء شديد .. تحبه فقط كلما خرج من البيت أو خرجت هي ، لأنها تقيس ميزان أشواقها له طالما هو بعيد عن وجهها !

كانت سيدة يحكمها المزاج ـ في بعض الوقت فقط ـ ولكنها تعتقد أن المزاج يحكم العالم كل الوقت !

. . .

وهكذا عثروا على تلك المرأة ـ وهي ذات وجه جميل ومريح ـ وكانت تجلس في إحدى الحدائق ، وبجانبها كتاب تقرأ منه ، وهي مستغرقة تماماً .. مبتعدة عن كل ما حولها .. حتى أنها نسيت الوقت ، ولم تهتم بذهاب النهار ، ووضعت الكتاب بجانبها لأن الليل قد ساد ، ولم تفكر أن تعود الى البيت في هذا الوقت .. فما دام أننا نشعر باحساس معين فالوقت هو ملك الأحساس ، والوقت يبقى متوقفاً بأمر الاحساس !

كانت سيدة في منتصف الثلاثين .. رشيقة ، مبتسمة ، وعندما لقيها رجال البوليس لم يسألوها : أين أنت .. ما الذي تفعلين ؟ .. بل قالوا لها عبارة واحدة فقط هي : لقد تأخرت على زوجك ويريد أن ينام دون أن يترك باب البيت مفتوحاً !!

وعندما دخلت بيتها .. كان زوجها قد هدأ بعد أن أخبروه بالعثور عليها تليفونياً ، واستقبلها مبتسماً وهو يتفرج على التلفاز ، ودخلت إلى المطبخ وأعدت العشاء وقالت لزوجها بهدوء : أريدك أن تقرأ هذه الرواية التي شغلتني اليوم عنكم .. اسمها (حيثما اتفق) وكاتبها هو : جيمس هيلتون ، وتحكي قصة عضو في مجلس العموم البريطاني تورط في عدة مشكلات بسبب فقدان الذاكرة ، ومن هذه المشكلات التي تورط فيها ....

ـ وقاطعها زوجها قائلاً : لا أرغب أن تقصي أحداث الرواية .. فأنا أعرف أنك خيالية أحياناً ، وأنك عاطفية جداً ، ولكني اكتشفت اليوم صفة جديدة فيك وهي أنك فقدت ذاكرتك !

ـ وابتسمت الزوجة وقالت : ألسنا نحيا عصراً بهذه الصفة ؟ .. انه العصر الذي فقد ذاكرته ، فلا تتوتر ، وإنما عالج ذلك بقراءة القصص القديمة يا عزيزي . والمهم أنني وأنت نحب بعضنا للأبد !!

فمن الذي ضاع في هذه الحكاية .. الزوجة ، أم الزوج ؟!

جدة